تم تصدير هذا الكتاب آليا بواسطة المكتبة الشاملة
(اضغط هنا للانتقال إلى صفحة المكتبة الشاملة على الإنترنت)

الكتاب : الدرر الملتقطة في تفسير الآيات القرآنية

الدُّرَرُ المُلتَقَطَةُ

في تفسير الآيات القرآنية

مقدمة ... ٥
مقدمة المؤلف ... ٣١
سورة الفاتحة ... ٤٣
سورة البقرة ... ٥٧
سورة آل عمران ... ٧٣
سورة النساء ... ٨٧
سورة المائدة ... ٩٩
سورة الانعام ... ١٠١
سورة الاعراف ... ١٠٩
سورة التوبة ... ١١٣
سورة يونس ... ١٢١
سورة هود ... ١٢٣
سورة الرعد ... ١٣٩
سورة ابراهيم ... ١٤١
سورة النحل ... ١٤٣
سورة الكهف ... ١٤٥
سورة مريم ... ١٤٧
سورة طه ... ١٤٩
سورة الانبياء ... ١٥٥
سورة الحج ... ١٦٩
سورة المؤمنون ... ١٧٥
سورة النور ... ١٨١
سورة الشعراء ... ١٨٧
سورة القصص ... ١٨٩

سورة الاحزاب ... ١٩٣
سورة فاطر ... ٢٠١
سورة يس ... ٢٠٧
سورة الصافات ... ٢١٣
سورة فصلت ... ٢١٩
سورة الشورى ... ٢٢٣
سورة محمد ... ٢٢٩
سورة الرحمن ... ٢٣٥
سورة الحديد ... ٢٣٧
سورة الحشر ... ٢٤٣
سورة الجمعة ... ٢٤٧
سورة المنافقون ... ٢٥٣
سورة الطلاق ... ٢٥٥
سورة الجن ... ٢٥٧
سورة التكوير ... ٢٦١
سورة الشرح ... ٢٦٣
سورة القدر ... ٢٦٥
سورة الاخلاص ... ٢٧٥

سلسلة آثار المحقق الخواجوئي

(٦٧)

الدُّرَرُ المُلتَقَطَةُ

في تفسير الآيات القرآنية

للعلامة المحقق

محمد اسماعيل بن الحسين بن محمد رضا المازندراني الخواجوئي

المتوفى سنة ١١٧٣ هـ ق

جمعه ورتبه وحققه

السيد مهدي الرجائي

دار القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً

الاحزاب : ٣٣

---

(٤)

---

(٥)

حياة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة على خير خلقه وافضل بريته محمد وآله الطيبين الطاهرين .

قد كتبنا حول حياة المؤلف رسالة مبسوطة جامعة ، وتكلمنا حول حياته الاجتماعية والثقافية ، وعن عصره الذي كان يعيش فيه ، ذلك العصر الذي جرت فيه على الشيعة وعاصمتها اصفهان اهوال من الاضطراب والخوف .

وكان العلماء والزعماء الدينية في عصره : اما من شريد ، او محبوس ، او شهيد ، او في زاوية من الخمول والوحدة .

ونرى كثيراً من العلماء بعدما كانوا مشهورين ومعروفين ، وكانت لهم رئاسة وزعامة دينية ، لما قدموا في هذا العصر ، خبا ذكرهم واسماؤهم ، فلا نرى لهم ذكراً ولا اثراً ، كأكثر البيوتات العلمية التي كانت في اصفهان عاصمة الشيعة انذاك .

---

(٦)

ونجد بعضهم مع خمول ذكرهم وانزاوئهم عن الخلق ، خدموا الشيعة بآثارهم وكتبهم الممتعة ، وحفظوا الآثار عن الانمحاء والاندراس .

ونرى امتداد نشاطهم وحركتهم الفكرية الى كل ما كان هناك من علوم معروفة ومتداولة ، وشملت حركتهم الى جانب الفقه واصوله والكلام وعلوم القرآن واللغة والادب .

ونجد هذا النشاط بارزاً على مؤلفاتهم الكثيرة التي تعكس اتجاههم العلمي ونشاطهم الفكري .

ومن الواجب والانصاف علينا ان لاننسى لهم ما قاموا به من الادوار الكبيرة في الحركة الثقافية في الاحقاب الاسلامية الماضية ، وما ساهم به اتجاههم هذا الممعن بحثا ، الذي جاب مناطق الانسان والحياة في بناء الحضارة الاسلامية واقامة دعائمها على اسس قويمة منتجة .

ومن زعماء الشيعة الذين برزوا في هذه الميادين العلمية والعملية ، هو الشيخ الفقيه المحقق الحكيم المتأله العارف الموالي لاهل البيت . عليهم السلام . المولى محمد اسماعيل المازندراني الخواجوئي الاصفهاني اسكنه الله بحبوحات جنانه .

وها انا أذكر نبذة عن حياته الشريفة مما ذكرته مفصلا المطبوعة في اول المجموعة الاولى من الرسائل الاعتقادية للمؤلف قدس سره .

اسمه ونسبه

المولى محمد اسماعيل بن الحسين بن محمد رضا بن علاء الدين محمد المازندراني الاصفهاني المشهور بالخواجوئي .

المازندراني نسبة الى منطقة في شمال ايران ، لعل آباؤه واسلافه كانوا يسكنونها ، او كانت ولادته فيها ، كما يظهر من بعض آثاره .

والاصفهاني نسبة الى بلدة معروفة في ايران ، كان منشأ ترعرعه فيها الى

---

(٧)

ان توفي ودفن فيها .

والخواجوئي نسبة الى محلة معروفة في اصفهان ، متصلة بالجسر العتيق على نهر زاينده رود المعروف بـ « جسر الخواجو » وقد انتقل اليها المترجم في فتنة الافاغنة ، وكانت المحلة في زمانه خارج بلدة اصفهان ، واخذها مسقط رأسه حتى اشتهر بالنسبة اليها .

اولاده واحفاده

له من الاولاد الملا محمد جعفر ، وكان من علماء وفضلاء عصره في اصفهان .

وللملا محمد جعفر ابن فاضل عالم محقق اسمه الملا محمد اسماعيل الثاني الخواجوئي ، وتوفي في اصفهان في (٢٥) ربيع الاول سنة (١٢٨٢) هـ ق .

الاطراء عليه

قد ذكر المؤلف في اكثر المعاجم والتراجم الرجالية مع التجليل والتبجيل التام ، واثنوا عليه كل الثناء والاطراء ، واليك نص عباراتهم :

قال الشيخ عبد النبي القزويني قدس سره من معاصريه في كتاب تتميم امل الآمل ص ٦٧ : كان من العلماء الغائصين في الاغوار ، والمتعمقين في العلوم بالاسبار ، واشتهر بالفضل ، وعرفه كل ذكي وغبي ، وملك التحقيق الكامل ، حتى اعترف به كل فاضل زكي .

وكان من فرسان الكلام ، ومن فحول اهل العلم ، وكثرة فضله تزري بالبحور الزاخرة عند الهيجان والتلاطم ، والجبال الشاهقة والاطواد الباذخة ، اذا قيست الى علو فهمه كانت عنده كالنقط ، والدراري الثاقبة اذا نسبت الى نفوذ ذهنه كأنها حبط .

حكى عنه الثقات انه مر على كتاب الشفاء ثلاثين مرة : اما بالقراءة ، او بالتدريس ، او بالمطالعة .

---

(٨)

واخبرني بعضهم انه كان سقط من كتاب الشفاء عنده اوراق ، فكتبها من ظهر قلبه ، فلما عورض بكتاب صحيح ما شذ منه الا حرفان او حرف .

وبالجملة الكتب المتداولة في الحكمة والكلام والاصول كانت عنده اسهل من نشر الجراد ، حتى يمكن للناس ان يقولوا : ان هذا الشيء عجاب ، ان هذا الشيء يراد .

وكان رحمه الله مع ذلك ذا بسطة كثيرة في الفقه والتفسير والحديث مع كمال التحقيق فيها .

وبالجملة كان آية عظيمة من آيات الله وحجة بالغة من حجج الله . وكان ذا عبادة كثيرة ، وزهادة خطيرة ، معتزلاً عن الناس ، مبغضا لمن كان يحصل العلم للدنيا ، عاملا بسنن النبي صلى الله عليه وآله ، وفي نهاية الاخلاص لأئمة الهدى . عليهم السلام ، وذا شدة عظيمة في تسديد العقائد الحقة وتشديدها ، وذا همة جسيمة في اجراء امور الدين مجراها وتأديدها .

والميرزا محمد علي الكشميري ترجم عبارة تتميم الامل المتقدمة بالفارسية في كتابه نجوم السماء في تراجم الرجال ص ٢٦٩ .

وقال المحقق الخوانساري في الروضات : ١ / ١١٤ العلم العالم الجليل مولانا اسماعيل ... كان عالما بارعا ، وحكيما جامعاً ، وناقداً بصيراً ، ومحققاً نحريراً ، من المتكلمين الاجلاء ، والمتتبعين الادلاء ، والفقهاء الاذكياء ، والنبلاء الاصفياء .

طريف الفكرة ، شريف الفطرة ، سليم الجنبة ، عظيم الهيبة ، قوي النفس ، نقي القلب ، زكي الروح ، وفي العقل ، كثير الزهد ، حميد الخلق ، حسن السياق ، مستجاب الدعوة ، مسلوب الادعاء ، معظما في اعين الملوك والاعيان ، مفخما عند اولي الجلالة والسلطان .

حتى ان النادر شاه . مع سطوته المعروفة وصولته الموصوفة . كان لا يعتني من بين علماء زمانه الا به ، ولا يقوم الا بأدبه ، ولايقبل الا قوله ، ولا يمتثل الا امره ، ولا يحقق الا رجاه ، ولا يسمع الا دعاه .

---

(٩)

وذلك لاستغنائه الجميل عما في ايدي الناس ، واكتفائه بالقليل من الاكل والشرب واللباس ، وقطعه النظر عما سوى الله ، وقصده القربة فيما تولاه .

ثم قال : غير ان هذا الشيخ الجليل لما كان في زمن فاسد عليل ، وعصر لم يبق لاحد فيه الى نصر العلم والدين سبيل . من جهة استيلاء الافغان على ممالك ايران ، واستحلالهم اعراض الشيعة ودمائهم واموالهم في كل مكان ، سيما محروسة اصبهان . لم يبق له ، مع كونه الفحل المحل العجب العجاب ، كثير ذكر بين الاصحاب ، ولا جدير اشتهار لما صنف من رسالة وكتاب .

بل لم يعرف من اجل ذلك له استاد معروف ، او اسناد متصل اليه او عنه على وجه مكشوف ، وكأن ذلك كان مفقودا فيه معوذا عليه ، والا لنقله ونقل عنه في مبادي كتاب اربعينه لا محالة ، كما هو ديدن مؤلفي الاربعينات ، ولم يكن يعتذر هناك عن تركه ذكر الاسناد منه الى المعصوم . عليه السلام . بأعذار غير سديدة .

أقول : سيأتي شهرته بين الاصحاب والاعلام المتأخرين عنه ، وله مشايخ وتلامذة ، وسلسلة اسناد يتصل اليه ومنه الى المعصوم . عليه السلام ، فانتظر .

(٤/٢)

ثم قال : وكان رحمه الله مرتفعا جدا في محبتهم . اي : في محبة السادة الفاطميين . والاخلاص لهم الوداد ، كما حكاه الثقات .

وكان رحمه الله ايضا صاحب مقامات فاخرة ، وكرامات باهرة ، يوجد نقل بعضها في بعض المواقف ، ويؤخذ بالسائر من الافواه ، وانما اعرضنا عن تفصيلها حذرا عن الاطناب الممل ، المخل بوضع هذه العجالة .

وخطه رحمه الله ايضا قد كان بقسميه المعهودين في قاصي درجة من الجودة والحسن والبهاء ، كما اطلعنا عليه من اكثر ارقامه ومصنفاته الموجودة لدينا بخطوطه المباركة انتهى .

والمحدث النوري في خاتمة المستدرك : ٣ / ٣٩٦ ذكر من الاطراء ما ذكره الشيخ القزويني في التتميم والمحقق الخوانساري في الروضات ، وذكر نص بعض

---

(١٠)

عبارتيهما .

وقال السيد العاملي في اعيان الشيعة : ٣ / ٤٠٢ عن بعض الكتب في حقه : عالم عارف حكيم متأله جامع ناقد بصير محقق نحرير عابد زاهد جليل معظم نبيل ، مكتف من الدنيا بالقليل ، قاطع نظره عما سوى الله تعالى ، مستجاب الدعوة ، معظم عند الملوك والسلاطين ، وكان نادر شاه مع سطوته يعظمه ويمتثل اوامره ، خطه في نهاية الجودة .

ثم ذكر عن كتاب تجربة الاحرار في علماء قزوين قال : المولى اسماعيل الخواجوئي الفاضل النبيل ، جامع مسائل الحكمة والفقاهة ، والعالم بأخبار الرواية والدراية ، من قدماء العلماء ومشاهير الفضلاء ، ممتاز بحدة الذهن ، فضائله لاتعد ، وله تعاليق كثيرة ، ولم يكن له نظير ، وقد كان في اصفهان التي كانت تفتخر به .

وذكر السيد الصفائي الخوانساري في كتابه كشف الاستار : ١ / ١٣٢ في مقام الاطراء عليه ما ذكره المحقق الخوانساري في الروضات ، فراجع .

وقال الميرزا المدرس الخياباني في ريحانة الادب : ٢ / ١٠٥ ما هذا نص عبارة الكتاب باللغة الفارسية : عالمى است جامع ، وحكيمى است بارع ، متكلم زاهد عابد ، خبير بصير ، از اكابر فقهاء ومتكلمين اماميه عهد نادرى ، كه به حسن اخلاق وعزت نفس واخلاص ائمه هدى ، وعدم اعتناء به اكابر واغنياء ، وعمل بسنن نبويه موصوف ، ومستجاب الدعوه بود .

از كسانى كه علم را وسيله مقاصد دنيويه مى نموده اند بسيار تنفر داشت . داراى نفسى سليم ، واز خوراك وبوشاك به بسيار كمى قانع ، ودر اثر شهامت نفس از مال ومتاع مردم مستغنى بود ، به كسى اعتنا نمى كرد ، به همين جهت در نظر سلطان واكابر وقت بسيار احترام داشت ، حتى نادر شاه باآن صولت وسطوتى كه داشته به جز او كسى ديكر را وقعى نمى كذاشت ، فقط اوامر ودستورات اورا لازم العمل مى دانست ، ومتأدب به آداب وى بود .

---

(١١)

وقال الشهيد التبريزي في كتاب مرآة الكتب : ١ / ٤٦ كان عالما فاضلا محققا ، وكان مهابا معظما عند النادر شاه ، وكان لا يعتني الا به .

وقال المحدث القمي في الكنى والالقاب : ٢ / ١٧٩ العالم الورع الحكيم المتأله الجليل القدر من اكابر علماء الامامية قالوا في حقه كان آية عظيمة من آيات الله وحجة بالغة من حجج الله ، وكان

ذا عبادة كثيرة وزهادة خطيرة ، معتزلا عن الناس مبغضا لمن كان يحصل العلم للدنيا ، عاملا بسنن النبي . صلى الله عليه وآله .

وكان في نهاية الاخلاص لائمة الهدى . عليهم السلام . مستجاب الدعوة ، مسلوب الادعاء ، معظما في اعين الملوك والاعيان ، مفخماً عند اولى الجلالة والسلطان .

وقال الفاضل كحالة في معجم المؤلفين : ١ / ٢٩١ محدث متكلم ، مشارك في بعض العلوم .

وغيرهم ممن ذكره في تراجمهم الرجالية وغيرها .

الفتنة الهائلة الافغانية

لا بأس بالاشارة الى ابتلاء اهل هذا الزمان الذي كان يعيش فيه المترجم في محروسة اصفهان بجنود وافرة من الافغان ؛ ليكون عبرة للناظرين ، وغيرة للشاكرين ، وتنبيها للغافلين ، وتذكيرا للجاهلين ، وتسلية للاحزان ، وتعزية لاهل الايمان .

وكان هذا الرجل الجليل في عين هذه النائرة العظيمة ، ولذا لم يبق له كثير ذكر ، وكان هذا هو السبب لخمول ذكر اكثر علمائنا الذين كانوا يعيشون في هذا الفترة ، وضاع كثير من اساميهم وتآليفهم ، فنحن نذكر نص عبارات اصحاب التراجم وغيرهم :

قال المترجم نفسه في آخر كتابه الاربعين : جمعتها في زمان والفتها في

---

(١٢)

مكان كانت عيون البصائر والضمائر فيه كدرة ، ودماء المؤمنين المحرم سفكها بالكتاب والسنة فيه هدرة ، وفروج المؤمنات مغصوبة فيه مملوكة بايمان الكفرة الفجرة ، قاتلهم الله بنبيه وآله الكرام البررة .

وكانت الاموال والاولاد منهوبة فيه مسبية مأسورة ، وبحار انواع الظلم مواجة فيه متلاطمة ، وسحائب الهموم والغموم فيه متلاصقة متراكمة ، زمان هرج مرج مخرب الاثار ، مضطرب الاخبار ، محتوي الاخطار ، مشوش الافكار ، مختلف الليل ، متلون النهار ، لا يسير فيه ذهن ثاقب ، ولا يطير فيه فكر صائب .

نمقتها وهذه حالي وذلك قالي ، فان عثرتم فيه بخلل ، او وقفتم فيه على زلل فاصلحوه رحمكم الله ، ان الله لا يضيع اجر المصلحين .

وقال صاحب الروضات في ترجمة المؤلف : وقد تواتر اضعاف ذلك النقل من معمرينا الذين ادركوا

ذلك الزمان ، وحسبك شاهدا عليه بقاء خراب اكثر محلات محروسة اصبهان من تلك الواقعة الكبرى والداهية العظمى الى الآن ، كما نراه بالعيان .

وممن اشار الى نبذة من تلك الوقعات ، وشرح عن جملة منها على وجوه الالواح والورقات ، سيدنا العالم الفاضل النسيب الحسيب ذي المجدين وصاحب الفخرين الامير محمد حسين بن الامير محمد صالح الحسيني الخاتون آبادي سبط العلامة المجلسي (ره) في اجازته التي كتبها للشيخ الفاضل الكامل زين الدين بن عين علي الخوانساري ، بقرية خاتون آباد من قرى اصبهان ، وسماها مناقب الفضلاء .

وكذا المولى الفاضل الاديب النجيب الآقا هادي بن مولانا محمد صالح المازندراني في بعض مجاميعه ، ونحن نذكرهما وان طال الكلام بعين ما عبرا عنه .

ثم قال فنقول : قال الاول منهما بعد جملة من مواعظه للمولى المستجيز ، وشرحه عن بعض ما جمع الله تعالى من خير الدارين للسلف الصالحين

---

(١٣)

المجتبين :

فتغير ذلك الزمان ، وتنزل عاماً فعاما ، الى ان فشى الظلم والفسوق والعصيان في اكثر بلاد ايران ، وظهرت الدواهي في جل الافاق والنواحي ، لا سيما عراق العجم والعرب ، فلم يزل ساكنوها في شدة وتعب ، ومحنة ونصب ، وانطمس العلم ، واندرست آثار العلماء ، وانعكست احوال الفضلاء ، وانقضت ايام الاتقياء .

حتى ادرك بعضهم الذل والخمول ، وادرك بعضهم الممات ، فثلم في الاسلام ثلمات ، وضعفت اركان الدولة ، ووهنت اساطين السلطنة ، حتى حوصر بلدة اصفهان ، واستولت على اطرافها جنود افغان ، فمنعوا منها الطعام ، وفشى القحط الشديد بين الانام ، وغلت الاسعار ، وبلغت قيمة لم يبلغ اليها منذ خلقت الدنيا ومن عليها .

وصارت سكنة اصل البلد : اما مقيمين فيه جائعين ، وعن المشي والقيام عاجزين ، مستلقين على اقفيتهم في فراشهم ، لا يقدرون على السعي في تحصيل معاشهم ، او مشرفين على الهلاك في مجلسهم ، يجودون للموت بأنفسهم ، حتى صاروا امواتا غير مدفونين في قبورهم ، وان اتفق دفن بعضهم . وقليل ما هم . ففي دورهم .

واما هاربين من داخل البلد الى الخارج ، فأرسل عليهم شواظ من نار مارج ، من صواعق نصال السهام والرماح من جيوش اعدائهم ، فاستحيوا مخدرات نسائهم ، وقتلوا رجالهم ، وذبحوا اطفالهم ، وغصبوا اموالهم ، ولم يبق منهم الا قليل نجاهم الاسر والاسترقاق ، فهم اسراء مشدودوا الوثاق ، فأكثر سكنة تلك الاقطار : اما مريض ، او مجروح ، او مذبوح على التراب مطروح .

ثم آل الامر الى ان استولوا على تلك الديار ، فدخلوا في اصل البلدة ، وتصرفوا في كل دار وعقار ، وجعلوا اعزة اهلها اذلة ، فحبسوا الملك ، وقتلوا اكثر الامراء مع بعض السكنة ، وباد بقية اهلها ، وخرب جبلها وسهلها ، ولم يبق من

---

(١٤)

اوطانها الا مقر يتيم ذي مقربة ، او مسكن مسكين ذي متربة .

فيا اسفاً على الديار واهلها ، ولا سيما الخلان والاصدقاء ، وواحزناه على تخريب المدارس والمعابد وفقدان الفضلاء والعلماء والصلحاء ،ووامصيبتاه على اندراس كتب الفقهاء وانمحاء اثارهم بين الاذكياء الطالبين للاهتداء . ولست افشي لديك مما قصصت عليك شكاية الدهر الغرار الفتون ، بل انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون .

ثم اني وان كنت في تلك الاحوال مبتلى بالضرب والحبس وغصب الاموال ، الا ان الله تعالى بمنه وطوله تفضل عليّ بحفظ العرض والحياة والايمان ، وبقاء بعض الاهل والاولاد والاخوان ، ونزر من الاقارب والخلان .

وكنت قد حمدت الله ربي في خلال تلك الاحيان راجيا من الله سهولة المخرج ، متمسكا بذيل الصبر ، فان الصبر مفتاح الفرج ، محتسبا من الله الاجر ، مفوضا اليه كل امر .

لكن لما تعسرت في اصل البلد اقامتي لكثرة الشدائد والدواهي ، ترحلت الى بعض القرى . يعني به خاتون آباد التي هي على فرسخين من اصبهان . في جمع من اخواني في الدين وخلاني المتقين ، خلد الله ظلالهم وكثر امثالهم .

ولما كانت تلك القرية آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان ، اطمأن فيها قلبي بعض الاطمينان ، فحمدت الله سبحانه ثانيا ، واقمت فيها متوكلا عليه ، لعل الله يحدث بعد ذلك امرا ،

ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، ان الله بالغ امره ، قد جعل الله لكل شيء قدرا .
ثم قال : وقال الفاضل الآقا هادي في ذيل ما نقله عن بعض التواريخ المعتمدة من الاسعار غلت بمصر سنة (٤٦٥) وكثر الموت ، وبلغ الغلاء الى ان امرأة تقوّم عليها رغيف بألف دينار ، وسبب ذلك انها باعت عروضا لها قيمتها الف الف دينار بثلاثمائة دينار ، واشترت عشرين رطلا حنطة ، فنبهت من ظهر الحمال ، فنبهت هي ايضا مع الناس ، فأصابها مما خبزته رغيفا واحدا .
---
(١٥)
وأقول : ان من حضر وقعة اصفهان من مخاذلة افغان ومحاصرة هذا العام ، وهو سنة اربع وثلاثين ومائة بعد الالف ، وشاهد ما جرى في ثمانية اشهر من شدة الغلاء ، حتى ان مناً من الحنطة . وهو ثمانية عشر رطلا بالعراقي . بيع بخمسة توامين ، وهو الف درهم ، ثم نفذت الحنطة والارز وسائر الحبوبات ، وانتهى الامر الى اللحوم ، فمن الغنم الى البقر ، ومنه الى الفرس والبغل ، ثم الحمير ثم الكلاب والسنور ، ثم لحوم الاموات ، ثم قتل بعضهم بعضا ابتغاء لحمه . وما وقع في طي ذلك من الموت والقتل ، حتى انه كان يموت في كل يوم الف الف نفس ، وكان يباع الضياع والفراش والاثاث بربع العشر ودونه ، لا يحصل منه شيء اصلا .
وبالجملة فورب البيت ما بولغ من ذلك فما كان جزافا ، اعاذنا الله من مثله . لم يتعجب مما في ذلك التاريخ ، بل يجزم بتا قطعا انه ما وقعت شدة عظيمة وبلية مرزية من يوم خلق السموات والارضون ، ولايقع مثلها الى الساعة ، ومع ذلك كان في خارج البلد في غاية الرخص والوفور ، نعوذ بالله من شرور انفسنا وسيئات اعمالنا انتهى .

(١٠/٢)

ثم قال : فهذان ايضا اقوى شاهدين على صحة ما بيناه ، وبكلام نفس صاحب العنوان ايدناه ، فلولا انه ادرك برهة من الزمان بعد فتنة الافغان لما بقي منه اثر ، ولا بلغ من نحوه خبر .
وقال ايضا صاحب الروضات في ترجمة الفاضل الهندي : ان مرقده الشريف الواقع في شرقي بقعة تخت فولاد اصفهان بجنب معبر القوافل الى الديار الفارسية من ممالك محروسة ايران ليس على حد سائر مراقد علمائنا الاعيان ، المتوفين في ذلك الزمان ، بل خال عن القبة والعمارة والصحن والايوان ، وكل ما كان يضعه السلاطين الصفوية على مقابر العلماء الاثنا عشرية من رفيع البنيان .
وظاهر انه لم يكن ذلك الا من جهة وقوع هذه القضية الهائلة في عين
---

(١٦)

اشتغال نائرة غلبة جنود الافغان ، واستيصال سلسلة الصفوية بظلم اولئك النواصب في تلك البلدة فوق حد البيان .

فان تفصيل ذلك بناء على ما ذكره بعض المعتمدين الحاضرين في تلك المعارك ، ان بعد طول ازمنة محاصرتهم البلدة على النحو الذي اشير اليه في ذيل ترجمة مولانا اسماعيل الخواجوئي ، وسيدنا الامير محمد حسين الحسيني الخاتون آبادي رحمة الله عليهما .

وانتهاء الامر الى الجاء اهل البلدة الى التسليم والتمكين من اولئك الملاعين ، وفتح باب المدينة على وجوه تلك الكفرة بدون المضايقة بمقدار حين دخلها اميرهم المردود المسمى بسلطان محمود مع جميع الاتباع والجنود ، وجلس على سرير السلطنة فيها بمحض وروده الغير المسعود ، في حدود سنة ثلاث وثلاثين بعد المائة . وقيل : سنة ست وثلاثين بعد المائة .

(١١/٢)

ثم امر فيها باهلاك جماعة من عظماء تلك الدولة العلية ، وكبراء الفرقة الصفوية ، بعد حكمه بحبس سلطانهم الشهيد المظلوم الشاه سلطان حسين بن الشاه سليمان المبرور المرحوم ، وهم كانوا اربعة من اخوانه العظام ، واربعة وعشرين من اولاده المنتجبين الفخام ، وذلك في اواخر جمادي الاولى من شهور سنة السبع والثلاثين التي هي بعينها سنة وفاة مولانا الفاضل المعظم عليه الرحمة .

ثم امر بعد ذلك بقتل ستة افاخم من اركان الدولة وذروي اسمائهم الذين كانوا من ارباب الصولة ، وهم صائمون متعبدون في اليوم السابع والعشرين من شهر رمضان عين تلك السنة ، مصادفا لثالث يوم وفاة مولانا الفاضل عليه الرحمة ، وكان نفس السلطان الممتحن باقيا بعد ذلك في حبس اولئك الى زمن جلوس طاغيتهم الثاني الباني للبارة المرتفعة المشهورة في البلدة ، وهو الاشرف سلطان الذي كان اولا في زي الملازمين لركاب محمودهم المردود .

الى ان ابتلاه الله الملك القهار بعقوبة ما فعله بأولئك السادة الرفيعة المقدار

---

(١٧)

بعارضة شبه الجنون ، فحبسه بمقتضى مصلحة وقته هذا الملعون ، الى ان هلك او اهلك بعد ذلك في ظلمات السجون ، فجلس مجلسه المنحوس من غير مزاحم له في ذلك الجلوس ، عصيرة يوم الاحد الثامن من شعبان هذه السنة بعينها الى اخره فراجع .

وذكر نحوه العلامة السيد العاملي في اعيان الشيعة في ترجمة المترجم ، فراجع .

مشايخه في الدراية والرواية

لم يصل الينا تفصيل مشايخه العظام الذين تلمذ لديهم او روى عنهم ، نعم ورد في بعض المعاجم نبذة قليلة من مشايخه في الرواية والدراية وهم :

١ . العالم الجليل الشيخ حسين الماحوزي .

ذكره المحدث النوري في المستدرك : ٣ / ٣٩٦ ، راجع حول ترجمته تتميم امل الآمل واللؤلؤة ، وصرح في اللؤلؤة بأنه بلغ من العمر ما يقارب تسعين سنة ومع ذلك لم يتغير ذهنه ولا شيء من حواسه .

وقال في التتميم : كان الشيخ حسين رحمه الله في عصره مسلم الكل لا يخالف فيه احد من اهل العقد والحل الى آخره .

٢ . المولى محمد جعفر بن محمد طاهر الخراساني الاصفهاني صاحب كتاب الاكليل وغيره ولد سنة ثمانين والف .

قال في الروضات : ٣ / ٢٦١ ، وظني ان قراءة مولانا اسماعيل الخواجوئي المتقدم ذكره ايضا كان عليه وخصوصا في فنون الدراية والرجال .

وعد في بعض التراجم مشايخه في العلوم النقلية والعقلية المحقق النحرير الفاضل الهندي صاحب كشف اللثام . وايضا الحكيم المتأله الملا محمد صادق الاردستاني . وايضا الحكيم المتأله الملا حمزة الكيلاني .

---

(١٨)

تلامذته ومن روى عنه

ايضا لم يصل الينا تفصيل تلامذته العظام الذين تلمذوا لديه او رووا عنه ، الا ما ورد في بعض التراجم الرجالية ، واليك نبذة مما وقفنا عليه في كتب التراجم وهم :

١ . العالم النحرير والمولى الخبير الملا مهدي النراقي صاحب كتاب اللوامع ومشكلات العلوم وجامع السعادات وغيرها من المؤلفات ، ذكره في المستدرك : ٣ / ٣٩٦ .

اقول : وكان اكثر تلمذه في العلوم لديه حتى قيل : انه كان في مدة ثلاثين سنة يتلمذ لديه لا يفارقه ليلا ولا نهارا حتى بلغ ما بلغ من العلم والعمل . وبعد الفراغ من التحصيل رجع من اصفهان وتوطن في بلدة كاشان وكان خاليا من العلماء ، وببركة انفاسه الشريفة صار مملواً من العلماء والفضلاء الكاملين ، وصار مرجعا ومحلا للمشتغلين ، وبرز من مجلسه جمع من العلماء الاعلام ، وتوفي

سنة ١٢٠٩ هـ .

٢ . العالم العارف الآقا محمد بن المولى محمد رفيع الجيلاني المشهور بالبيد آبادي الاصفهاني ، كان من اعظم حكماء عصره ماهرا في العقليات توفي سنة سبع وتسعين ومائة بعد الالف من الهجرة .

٣ . المولى محراب الجيلاني الحكيم العارف المشهور ، المتوفى سنة (١٢١٧) هـ ق .

٤ . الميرزا ابو القاسم المدرس الاصفهاني الخاتون آبادي المتوفى سنة (١٢٠٢) هـ ق .

تآليفه القيمة

كتب المترجم مؤلفات ورسائل وحواش كثيرة ، قد تجاوزت جهود الفرد الواحد ، تمثل اضطلاعه بجوانب المعرفة الشاملة ، وقد يعجب المرء من وفرة تأليفه ذات المواضيع المختلفة في شتى العلوم والمعارف المتعددة ، على الرغم كما عرفناه

---

(١٩)

من سيرة حياته من عدم استقراره وتفرغه للعلم ، للفتنة الهائلة الافغانية .

ولا ريب ان ذكاءه المفرط وذاكرته العجيبة ووعيه الشامل ، كان ذلك من الاسباب الرئيسية في تغلبه على تلك العقبات التي تحول دون تأليفه وتصنيفه ، وقد اشار اكثر ارباب التراجم الى وفرة تآليفه .

قال في تتميم الامل : وله رحمه الله تآليف كثيرة وحواش على كتب العلوم .

وقال في الروضات بعد عد جملة من تصانيفه : الى غير ذلك من الرسائل والمقالات الكثيرة التي تبلغ نحوا من مائة وخمسين مؤلفا متينا في فنون شتى من العلوم والحكم والمعارف .

وقال في موضع آخر : اكثرها لم يتجاوز نسخة الاصل الى زماننا هذا انتهى .

اقول : قد وفقني الله تبارك وتعالى لجمع اكثر مؤلفاته ورسائله ، وتحقيقها ونشرها ، وتطبع آثاره الممتعة تحت عنوان سلسلة آثار المحقق الخواجوئي ، وانا اذكر اولا ما طبع من آثاره تحت عنوان سلسلة آثار المحقق الخواجوئي :

١ . بشارات الشيعة .

وهو من احسن ما كتب في بابه مشحون بالتحقيقات وبيان النكات وانواع التنبيهات ، شرع فيه سنة (١١٥٥) وفرغ منه اواخر شوال من تلك السنة .

٢ . ذريعة النجاة من مهالك تتوجه بعد الممات .

في ذكر فضائل الامام امير المؤمنين واولاده المعصومين . عليهم السلام . وانهم افضل من سائر

الانبياء . عليهم السلام . غير نبينا . صلى الله عليه وآله . والاستدلال على ذلك بالآيات والروايات الواردة في ذلك .

٣ . الفوائد في فضل تعظيم الفاطميين .

رسالة مبسوطة في فضل اكرام ذرية فاطمة الزهراء . عليها السلام . وكون المنتسب اليها بالأم منهم ، ويستحق الخمس ، ويحرم عليه الصدقة .

---

٤ . رسالة ميزة الفرقة الناجية عن غيرهم .

رسالة استدلالية اعتقادية في بعض احكام المخالفين للشيعة .

٥ . رسالة في تحقيق وتفسير الناصبي .

تحقيق حول معنى الناصبي لغة واصطلاحا ، واي الفرق من الفرق الاسلامية محكوم به ، وان الناصبي على صنفين : صنف محكوم بأحكام الاسلام ، والآخر خارج عن ربقة الاسلام ومحكوم بالكفر .

٦ . طريق الارشاد الى فساد امامة اهل الفساد .

في الادلة الدالة على جواز لعن الغاصبين لحقوق الائمة . عليهم السلام . وما جرى منهم على فاطمة البتول . عليها السلام . من الاذى والظلم .

٧ . الرسالة الاينية .

رسالة تحقيقية حول نفي الاين عن الله جل ذكره ، وتأويل ما ورد من اثبات الاين له تعالى ذكره .

٨ . رسالة في توجيه مناظرة الشيخ المفيد .

رسالة مختصرة حول مناظرة الشيخ المفيد قدس سره مع القاضي عبد الجبار المعتزلي في مسألة خلافة الامام امير المؤمنين . عليه السلام .

اقول : طبعت هذه الرسائل من الرقم الاول الى هنا في المجموعة الاولى من الرسائل الاعتقادية .

٩ . تذكرة الوداد في حكم رفع اليدين حال القنوت .

رسالة استدلالية في استحباب رفع اليدين الى السماء في حال القنوت .

١٠ . رسالة في شرح حديث الطلاق بيد من اخذ بالساق .

رسالة استدلالية حول الرواية المذكورة عن النبي . صلى الله عليه وآله . وانه هل الوكيل والولي في الطلاق بمنزلة الزوج ام لا ؟ .

١١ . رسالة في حرمة النظر الى وجه الاجنبية .

رسالة استدلالية متقنة في عدم جواز النظر الى وجه الاجنبية الا ما

استثني حال الضرورة وغيرها .

١٢ . رسالة خمسية .

رسالة استدلالية في احكام الخمس ومصارفه في زمن الغيبة ، وهي في مقدمة واربع فصول وخاتمة .

١٣ . رسالة في اقل المدة بين العمرتين .

رسالة استدلالية ذهب المؤلف فيها الى القول بجواز التوالي بين العمرتين ، وناقش الاقوال الأُخر في ذلك .

١٤ . رسالة في الرضاع .

رسالة استدلالية في جواز النكاح بين اخوان واخوات المرتضعين ، ورد على رسالة الملا ابو الحسن الفتوني النباطي المتوفى سنة (١١٣٨) هـ ق .

١٥ . رسالة في جواز التعويل على اذان الغير في دخول الوقت .

رسالة استدلالية في حكم التعويل على دخول الوقت بأي امارة حصلت ، كأذان المؤذن ، او صيحة الديك ، او وقت ساعة وغيرها ، وذهب الى جواز التعويل على تلك الامارات لو لم يحصل له العلم بدخول الوقت .

١٦ . رسالة في حكم الاستيجار للحج من غير بلد الميت .

رسالة استدلالية حول الحديث المروي في التهذيب عن ابي عبد الله . عليه السلام . عن رجل اعطى حجة يحج بها عنه من الكوفة فحج عنه من البصرة ، قال . عليه السلام : لا بأس اذا قضى جميع المناسك ، فقد تم حجه .

١٧ . رسالة في حكم الاسراج عند الميت ان مات ليلاً .

رسالة استدلالية مختصرة ، ذهب فيها الى عدم استحباب ذلك ، وانه لا دليل عليه .

١٨ . رسالة في شرح حديث توضؤوا مما غيرت النار .

١٩ . رسالة في حكم الغسل في الارض الباردة ومع الماء الباردة .

٢٠ . رسالة في افضلية التسبيح على القراءة في الركعتين الاخيرتين .

---

٢١ . رسالة في تحقيق وجوب غسل مس الميت .

٢٢ . رسالة في حكم شراء ما يعتبر فيه التذكية .

رسالة استدلالية حول شراء الفراء واللحوم والجلود وغيرها مما يعتبر فيها التذكية .

٢٣ . رسالة في حكم لبس الحرير للرجال في الصلاة وغيرها .

(١/٣)

رسالة استدلالية في جواز لبس الحرير المحض مطلقا للنساء والاطفال والخناثي ، وكراهته للرجال الا في حال الضرورة والحرب ، ويعبر عنها المؤلف في بعض رسائله بالرسالة الحريرية .

٢٤ . رسالة في حكم الغسل قبل الاستبراء .

٢٥ . الفصول الاربعة في عدم سقوط دعوى المدعي بيمين المنكر .

رسالة استدلالية في عدم سقوط دعوى المدعي لو حلف المنكر على الوجه الشرعي ، خلافا لجماعة من الفقهاء .

٢٦ . رسالة في وجوب الزكاة بعد اخراج المؤونة .

رسالة استدلالية في وجوب زكاة الغلات بعد اخراج المؤونة والخراج .

٢٧ . رسالة في صلاة الجمعة .

رسالة استدلالية في حرمة صلاة الجمعة وعدم وجوبها عينا في زمن الغيبة ، والرد على رسالة الشهاب الثاقب للمحقق الكاشاني ، مع عناوين قال اقول .

اقول : طبعت هذه الرسائل من رقم ٩ . الى هنا في المجموعة الاولى من الرسائل الفقهية .

٢٨ . رسالة في شرح حديث ما من احد يدخله عمله الجنة وينجيه من النار .

٢٩ . رسالة في شرح حديث لو علم ابو ذر ما في قلب سلمان لقتله .

٣٠ . رسالة في شرح حديث اعلمكم بنفسه اعلمكم بربه .

---

(٢٣)

٣١ . رسالة في شرح حديث لا يموت لمؤمن ثلاثة من الاولاد فتمسه النار الا تحلة القسم .

٣٢ . رسالة في شرح حديث انهم يأنسون بكم فاذا غبتم عنهم استوحشوا .

٣٣ . رسالة في شرح حديث النظر الى وجه العالم عبادة .

٣٤ . رسالة في تفسير آية « فاخلع نعليك انك بالواد المقدس » .

٣٥ . رسالة في تعيين ليلة القدر .

رسالة لطيفة في تعيين ليلة القدر مع اختلاف الافق في انحاء العالم شرقها وغربها ، ثم استدل على

ان ليلة القدر التي تقدر فيها المقدرات مطابق للافق الذي يعيش فيه الامام . عليه السلام .

٣٦ . الحاشية على اجوبة المسائل المهنائية .

٣٧ . رسالة عدلية .

(٢/٣)

رسالة مبسوطة في معنى العدالة ، وما تحصل به العدالة ، وما تزول به العدالة ، والمناقشة في اقوال الفقهاء في ذلك ، في ثلاث ابواب ، وكل باب يشتمل على عدة فصول .

٣٨ . رسالة في نوم الملائكة .

رسالة لطيفة حول الرواية المروية في الاكمال عن الصادق . عليه السلام . انه سئل عن الملائكة اينامون ؟ فقال : مامن حي الا وهو ينام الحديث .

٣٩ . هداية الفؤاد الى نبذ من احوال المعاد .

رسالة مبسوطة استدلالية في المسألة الخلافية بين المتكلمين والحكماء في ان ما سوى الله تعالى هل يفنى على عمومه مجرداته وماديا ته حتى لا يبقى منه شيء ولا يدوم منه موجود ام يبقى منه باق ببقاء الله تعالى ؟

اختار المؤلف الشق الثاني ، واستدل عليه بالآيات والروايات .

٤٠ . رسالة في بيان الشجرة الخبيثة .

---

(٢٤)

٤١ . رسالة في الجبر والتفويض .

شرح لطيف حول كلام الامام امير المؤمنين . عليه السلام . في نهج البلاغة « انا لا نملك مع الله شيئا ولا نملك الا ما ملكنا » تكلم في هذا الشرح حول الجبر والاختيار ، والقضاء والقدر ، وما يستفاد من الآيات والروايات وغيرهما .

٤٢ . رسالة في شرح حديث من احبنا اهل البيت فليعد للفقر جلبابا او تجفافا .

٤٣ . المسائل الخمس .

٤٤ . رسالة في تفسير قوله تعالى « وكان عرشه على الماء » .

٤٥ . رسالة في ذم سؤال غير الله .

وفيها ذكر مكاشفة وقعت للمؤلف قدس سره .

اقول : وطبعت هذه الرسائل الشريفة من رقم . ٢٨ . الى هنا في المجموعة الثانية من الرسائل الاعتقادية .

٤٦ . رسالة في احكام الطلاق .

رسالة استدلالية في الطلاق الرجعي وحقيقته ، وفيها بيان حقيقة الطلاق المزيل لعلاقة النكاح .

٤٧ . رسالة في شرح حديث لسان القاضي بين جمرتين من نار .

٤٨ . رسالة في ارث الزوجة .

رسالة استدلالية في بيان كيفية ميراث الزوجة من الزوج في مقدمة واربع فصول وخاتمة .

٤٩ . رسالة في الحبوة .

رسالة استدلالية في ست فصول في بيان احكام الحبوة وما يختص من الميراث بالولد الاكبر .

٥٠ . رسالة في حرمة تزويج المؤمنة بالمخالف .

---

(٢٥)

رسالة استدلالية في جواز التزويج وعدمه في ثلاث عشرة فصلاً .

٥١ . رسالة في استحباب كتابة الشهادتين على الكفن .

٥٢ . رسالة في حكم التنفل قبل صلاة العيد وبعدها .

٥٣ . رسالة في بيان عدد الاكفان .

٥٤ . رسالة في جواز التداوي بالخمر عند الضرورة .

رسالة استدلالية الفها للسيد مير محمد طاهر ، في اربع فصول .

٥٥ . رسالة في حكم الحدث الاصغر المتخلل في غسل الجنابة .

رسالة استدلالية في ثمان فصول في حكم الحدث الاصغر المتخلل اثناء الغسل ، وانه هل يبطل الغسل ام لا ؟

٥٦ . المسائل الفقهية المتفرقة .

يبحث عن ثلاثين مسألة فقهية وغيرها ، وفيها مباحث هامة .

٥٧ . رسالة في استحباب رفع اليدين حالة الدعاء .

٥٨ . رسالة في بيان علامة البلوغ .

٥٩ . رسالة في من ادرك الامام في اثناء الصلاة .

٦٠ . الرسالة الهلالية .

رسالة إستدلالية مبسوطة في كيفية ثبوت الهلال .

٦١ . الرسالة الذهبية .

رسالة استدلالية في جواز لبس الذهب واللباس المذهب والصلاة فيه وعدمه .

٦٢ . الفصول الاربعة في من دخل عليه الوقت وهو مسافر فحضر وبالعكس والوقت باق .

٦٣ . رسالة في حكم من زنا بامرأة ثم تزوج بابنتها .

رسالة استدلالية في المسألة المذكورة ، رد فيها على المحقق السبزواري قدس سره حيث اجاز ذلك على كراهية .

---

(٢٦)

٦٤ . رسالة في شرائط المفتي .

مناظرة ومناقشة مع احد اساتذته فيما يشترط في المفتي والافتاء .

٦٥ . رسالة في منجزات المريض .

رسالة استدلالية في منجزات المريض اذا كانت تبرعا ومات في ذلك المرض .

أقول : وطبعت هذه الرسائل الشريفة من رقم . ٤٦ . الى هنا في المجموعة الثانية من الرسائل الفقهية .

٦٦ . الاربعون حديثا . تحت الطبع .

٦٧ . الدرر الملتقطة في تفسير الآيات القرآنية ، سيأتي الكلام حوله .

---

٦٨ . رسالهء اصول الدين . مبسوط .

٦٩ . رسالهء اصول الدين ، كليات .

٧٠ . رسالهء بيان اجل محتوم وغير محتوم .

٧١ . رسالهء تحقيق در حديث سهو النبي ورد صوفيان .

٧٢ . رسالهء تحقيق در بارهء كوه قاف .

٧٣ . ترجمة المناظرة ، وهي ترجمة مناظرة المأمون مع جمع من العلماء في مسألة الخلافة .

٧٤ . رسالهء رضاعيه .

٧٥ . رسالهء اخبار واحوال ابو هذيل علاف .

٧٦ . رسالهء نوروزيه .

٧٧ . اجوبه مسائل ميرزا محمد حفيظ .

٧٨ . رسالهء جواب از بعض مسائل ضروريه .

اقول : وهذه الرسائل من رقم . ٦٨ . الى هنا كلها باللغة الفارسية قد تم استنساخها وتحقيقها ،

وسيطبع عن قريب انشاء الله تعالى تحت عنوان مجموعة الرسائل الفارسية .

---

(٢٧)

٧٩ . الفوائد الرجالية . من اعظم ما الف في هذا الباب ، والتي تقر العين برؤيته .

٨٠ . التعليقة على مشرق الشمسين .

٨١ . جامع الشتات . كتاب لطيف مشتمل على فوائد متفرقة ، واكثرها شرح للاحاديث المنتخبة في المواضيع المختلفة .

٨٢ . التعليقة على مفتاح الفلاح للشيخ البهائي .

٨٣ . مفتاح الفلاح ومصباح النجاح في شرح دعاء الصباح .

أقول : هذه الكتب الخمسة الأخيرة قد تم استنساخها وتصحيحها وتحقيقها ، وهي مستعدة للطبع ، وأسأل الله تبارك وتعالى ان يسهل لي طبعها ونشرها .

هذا ما عثرت عليه من آثاره القيمة ، وهناك عدة آثار أُخر للمؤلف قدس سره لم اعثر الى الان عليها . والملتمس من المكاتب العامة والخاصة ان يمنوا علينا بارسال ما عندهم من الكتب والرسائل للمؤلف غير ما عرف وذكر هنا .

ولادته ووفاته

لم اعثر الى الان على تاريخ ولادته ، ولم يتعرض لذلك ارباب المعاجم والتراجم .

وأما وفاته ، فالصحيح انه توفي في حادي عشر من شهر شعبان سنة (١١٧٣) هـ ق .

والذي ظهر لي من عمره الشريف انه قدس سره ناهز حوالي الثمانين سنة ، وذلك انه ادرك الفتنة الهائلة ، وكان ابتداؤها من سنة (١١٣٣) هـ ق ، وانتقل المؤلف عند ذاك الى محلة خواجو مع اهله واولاده ، والف في حين الفتنة عدة كتب ورسائل ، منها كتابه « الاربعون حديثاً » المحتوية على التحقيقات والتدقيقات اللطيفة ، واشار في اخر الكتاب الى بعض الوقائع الحادثة في عصره .

وكان يعد مع ذلك من العلماء والفحول ، فمن كان في تلك الرتبة والمرتبة ، فلا

---

(٢٨)

اقل من ان يكون عمره الشريف في حوالي الاربعين سنة ، ومن ابتداء الفتنة الى وفاته ايضا اربعون سنة ، فيبلغ المجموع الى حوالي الثمانين سنة ، والله اعلم بحقائق الامور .

ومزاره في اصفهان في المزار المعروف بـ « تخت فولاد » في بقعة لسان الارض المشحونة بالعلماء

والصلحاء والاولياء ، وقبره الشريف بين قبر الفاضل الهندي والشيخ العارف على اكبر الاژه اي ، وهو اقرب الى الاخير .

حول الكتاب

هذا الكتاب الذي بين يديك كما يظهر من عنوانه ، تفسير لبعض الآيات الشريفة ، التقطتها حين استنساخي وتحقيقي لاثار المحقق العلامة الخواجوئي قدس سره ، المشار اليها في فصل تآليفه القيمة .

واكثر فوائده التفسيرية مشحونة بالتحقيقات الانيقة والمطالب الجلية ، ربما عز وجودها في غير هذا الكتاب ، وكان هذا هو السبب لجمع فوائده التفسيرية ، ليستفيد منها اهل النظر والتفسير والطالبين لمعارف القرآن الكريم .

وهذه الفوائد التفسيرية نص الفاظ عبارات المؤلف المستخرجة من آثاره الممتعة من دون دخل وتصرف في المنقولة منها .

ثم بعد الاستخراج والالتقاط رتبت الآيات الشريفة حسب ترتيب الكتاب العزيز ، ليسهل للمراجعين الوصول الى الآية الشريفة التي يريدون تفسيرها .

والمؤلف قدس سره . كما اشار اليه المحقق القزويني في كتابه في الاطراء عليه . كان من المفسرين المضطلعين في تفسير القرآن الكريم ، وله رسائل وكتب في علوم القرآن ومعارفها ، منها : ما هو المطبوع في آثاره ، ومنها : لم يطبع بعد ، كتعليقته على الآيات الاحكامية للمحقق الاردبيلي قدس سره .

وبالختام : في هذا المجال اقدم ثنائي العاطر لنشر دار القرآن ، لاخراج هذا الكتاب بهذه الحلة القشيبة والطباعة الانيقة ، واسأل الله تبارك وتعالى ان

يوفقهم ويسددهم لنشر اثار سلفنا الصالح ، والله خير ناصر ومعين .

والحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله ، ونستغفره مما وقع من خلل وحصل من زلل ، والسلام على من اتبع الهدى .

السيد مهدي الرجائي

١٠ / ربيع الثاني / ١٤١٢ هـ ق قم المشرفة

ص ب ٧٥٣ . ٣٧١٨٥

---

(٣٠)

---

(٣١)

الدرر الملتقطة

في تفسير الآيات القرآنية

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد حمد من صيرنا من امة نبيه ، وشيعة عليه ، واحبة ذرية وليه ، الذين جعل مودتهم اجر الرسالة ، ومحبتهم في الثواب بمثابة الشهادة ، صلى الله عليهم وعلى من انتسب بالمودة اليهم .

فهذه فوائد وملتقطات تفسيرية ، التقطها من مجموعة ما وصل الينا من اثار المحقق المدقق العلامة المتتبع الشيخ محمد اسماعيل بن الحسين بن محمد رضا المازندراني الاصفهاني الخواجوئي قدس الله سره .

وترى في هذه الفوائد التفسيرية : مباحث لغوية ، وفقهية ، وكلامية ، وحكمية ، وحديثية ، وتفسير الآيات الاحكامية ، والتعرض لتفسير الآيات الواردة في اهل البيت . عليهم السلام . وفيها مناقشة لاراء بعض المفسرين ، كالزمخشري والبيضاوي وغيرهما .

وقبل الخوض في المقصود نقدم خمس فوائد هامة في شأن القرآن الكريم ، وهي كلها للمؤلف قدس سره ، واليك نص عباراته والفاظه الى نهاية الكتاب :

---

(٣٢)

١ . فائدة

[القرآن افضل من كل شيء دون الله تعالى]

(٧/٣)

قد بلغ القرآن في عظم شأنه ورفعة مكانه الى ان ورد انه افضل من كل شيء دون الله .

قال في جامع الاخبار في الفصل التاسع والعشرون في فضيلة القرآن وقراءته ، قال . عليه السلام : القرآن افضل من كل شيء دون الله عز وجل ، فمن وقر القرآن فقد وقر الله ، ومن لم يوقر القرآن ، فقد استخف بحرمة الله ، وحرمة الله على القرآن كحرمة الوالد على ولده (١) .

اقول : والله يعلم ، لعل المراد بتوقيره اعتقاد انه افضل كل شيء دون الله ، او العمل بما فيه من الاحكام ، والتصديق بحقية ما يشتمل عليه من الاخبار .

او احترامه بترك خلاف الادب بالنسبة اليه ، والى ما يتعلق به من الجلد والغلاف .
او تعظيمه بالقيام له عند حضوره ، وترك القارىء توقير غيره بانحناء وشبهه ، داخلا او خارجا ، ظاهرا او ناظرا .
وأما اذا كان الداخل او الخارج حاملا للقرآن ، فان كان الغرض الاصلي توقيره ، فالظاهر عدم الحرمة .
٢ . فائدة
[تجلى الله لعباده في كلامه]
قال الصادق . عليه السلام : لقد تجلى الله لعباده في كلامه ، ولكن لا يبصرون (٢) .

---

(١) جامع الاخبار : ٤٠ .
(٢) بحار الانوار : ٩٢ / ١٠٧ .

اقول : معناه انه سبحانه لقنهم في كتابه العزيز ادلة وجوده ووحدته وذاته وصفاته ووعدهم واوعدهم ، وبشرهم وانذرهم بما ينبغي ان يبشر وينذر .
وامرهم بالطاعات ، ونهاهم عن السيئات ، ودلهم على الحسنات ، وارشدهم الى طريق النجاة ، وحذرهم عما يؤدي الى الهلكات .
وبالجملة هداهم النجدين ، طريقي الشرور والخيرات ، فكأنه بذلك تجلى لهم في كلامه . ولكنهم لعدم تدبرهم فيه وتفكرهم لا يبصرون ، كما قال « افلا يتدبرون القرآن أم على قلوب اقفالها » (١) .

يدل على ذلك كلام سيدنا امير المؤمنين سلام الله عليه في بعض خطبه : الحمد لله الذي بعث محمداً بقرآن قد بينه ، واحكمه ، ليعلم العباد ربهم بعد ان جهلوه ، وليقروا به بعد ان جحدوه ، وليثبتوه بعد ان انكروه ، فتجلى سبحانه لهم في كتابه ، من غير ان يكونوا رأوه بما اراهم من قدرته ، وخوفهم من سطوته (٢) .
٣ . فائدة
[القرآن ذلول ذو وجوه]
قال . عليه السلام : القرآن ذلول ذو وجوه ، فاحملوه على احسن الوجوه (٣) .
اقول : في نهاية ابن الاثير : الذلول من الذل بالكسر ضد الصعب (٤) .

وفي مجمع البيان في فصل اللغة في كريمة « جعل لكم الارض ذلولاً » (٥) :

---

(١) محمد : ٢٤ .

(٢) نهج البلاغة : ٢٠٤ ط ١٤٧ .

(٣) عوالي اللالي : ٤ / ١٠٤ ، برقم : ١٥٣ .

(٤) نهاية ابن الاثير : ٢ / ١٦٦ .

(٥) الملك : ١٥ .

الذلول من المراكب ما لا صعوبة فيه (١) .

فالظاهر في وجه الشبه ان يقال : كما ان الذلول من المراكب ينقاد لراكبه ويطيعه حيث يشاء ، والى اي وجه يريد انعطافه .

كذلك القرآن لما كان ذا وجوه كثيرة ، كما يشعر به الاتيان بصيغة جمع الكثرة يمكنهم حمله على اي وجه ارادوا واي مذهب شأوا .

ولذلك قال علي . عليه السلام . في وصيته لعبد الله بن عباس لما بعثه للاحتجاج على الخوارج : لاتخاصمهم بالقرآن ، فان القرآن حمال ذو وجوه ، تقول ويقولون ، ولكن حاججهم بالسنة ، فانهم لم يجدوا عنها محيصا ، كذا في نهج البلاغة (٢) .

ومن هنا ترى الامة بعد نبيهم . صلى الله عليه وآله . قد كثر اختلافهم في المذاهب والاعتقادات ، وكلهم يحتجوا بآي منه ، وقلت آية لم يذكروا فيها وجوها عديدة ومحامل سنية ، ولم ينقلوا فيها اقوالا ومذاهب ، كما يشهد به تتبع التفاسير والسير ، وخاصة التفسير الكبير (٣) للامام الطبرسي رحمه الله .

لكن الواجب على ما دل عليه ظاهر الخبر ، ويؤيده قوله تعالى « فبشر عبادي الذي يستعمون القول فيتبعون احسنه » (٤) حمله على احسن الوجوه ، وهو ما كان ظاهرا قريبا متبادرا محفوفا بشواهد شرعية ، مقرونا بقواعد عربية ، مطابقا للامر نفسه ، موافقا لميزان العقل وقانونه من غير كلفة وسماجة .

ولذا كان مدار الاستدلال بالآيات والروايات من السلف الى الخلف على

---

(١) مجمع البيان : ٥ / ٣٢٥ .
(٢) نهج البلاغة : ٤٦٥ ، برقم : ٧٧ .
(٣) وهو تفسير مجمع البيان ، والتفسير الصغير هو جوامع الجامع له .
(٤) الزمر : ١٨ .

الظاهر المتبادر ، لا ان يفسره بمجرد رأيه وميله واستحسان عقله من غير دليل ولا شاهد غير معتبر عقلا او نقلا .
كما يوجد في كلام المبتدعين ، فانهم يأولونه على وفق آرائهم ، ليحتجوا به على اغراضهم الفاسدة واديانهم الكاسدة . ولولا ذلك الرأي لم يكن لهم من القرآن ذلك المعنى .
وهذا يكون مع العلم تارة ، كالذي يحتج بآية على تصحيح بدعته ، وهو يعلم انه ليس المراد بها ذلك ، ولكن يلبس به على خصمه ، ومع الجهل اخرى .
ولكن اذا كانت الآية محتملة ، فيميل فهمه الى الوجه الذي يوافق غرضه ، ولولا رأيه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه .
وتارة يكون له غرض صحيح ، فيطلب له دليلا من القرآن ، ويستدل عليه بما يعلم انه غير مراد ، ولكن يقول به لتغرير الناس ودعوتهم على مذهب الباطل ، فينزل القرآن على رأيه ومذهبه على امر يعلم قطعا انه ما اريد به ذلك .
وذلك كما روى الصدوق في معاني الاخبار عن الصادق . عليه السلام . قال : من اتبع هواه واعجب برأيه كان كرجل سمعت غثاء العامة تعظمه وتصفه (١) .

فأحببت لقاءه من حيث لا يعرفني ، لانظر مقداره ومحله ، فرأيته قد احدق به خلق كثير من غثاء العامة ، فوقفت منتبذا عنهم ، متغشيا بلثام ، انظر اليه واليهم ، فما زال يراوغهم (٢) حتى خالف طريقهم وفارقهم ولم يقر ، فتفرقت العوام عنه لحوائجهم .
وتبعته اقتفي اثره ، فلم يلبث ان مر بخباز ، فتغفله فأخذ من دكانه رغيفين

---

(١) في المصدر : وتسفه .
(٢) يراوغهم يخالفهم ، ويميل عن طريقتهم ، راغ الرجل روغا وروغانا مال وحاد عن الشيء « منه » .

---

(٣٦)

مسارقة ، فتعجبت منه ، ثم قلت في نفسي : لعله معاملة .

ثم مر بعده بصاحب رمان ، فما زال به حتى تغفله ، فأخذ من عنده رمانتين مسارقة ، فتعجبت منه ، ثم قلت في نفسي : لعله معاملة ، ثم اقول : وما حاجته اذا الى المسارقة .

ثم لم ازل اتبعه حتى مر بمريض ، فوضع الرغيفين والرمانتين بين يديه ومضى ، وتبعته حتى استقر في بقعة من الصحراء .

فقلت له : يا عبد الله لقد سمعت بك واحببت لقاءك ، فلقيتك ولكني رأيت منك ما شغل قلبي ، واني سائلك عنه ليزول به شغل قلبي .

قال : ما هو ؟ قلت : رأيتك مررت بخباز وسرقت منه رغيفين ، ثم بصاحب الرمان وسرقت منه رمانيتين .

قال فقال لي : قبل كل شيء حدثني من انت ؟ قلت : رجل من ولد آدم . عليه السلام . من امة محمد . صلى الله عليه وآله .

قال : حدثني من انت ؟

قلت : رجل من أهل بيت رسولا الله . صلى الله عليه وآله .

قال : اين بلدك ؟

قلت : المدينة .

قال : لعلك جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب صلوات الله عليهم .

قلت : بلى .

فقال لي : فما ينفعك شرف اصلك مع جهلك بما شرفت به ، وتركك علم جدك وابيك ، لئلا تتكر ما يجب ان يحمد ويمدح عليه فاعله ؟

قلت : وما هو ؟

قال : القرآن كتاب الله .

قلت : وما الذي جهلت منه ؟

---

(٣٧)

قال : قول الله عز وجل « من جاء بالحسنة فله عشر امثالها وما جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها » (١) واني لما سرقت الرغيفين كانت سيئتين ، ولما سرقت الرمانتين كانت سيئتين ، فهذا اربع سيئات ، فلما تصدقت بكل واحد منهما كان لي بها اربعين حسنة ، فانتقص من اربعين حسنة اربع بأربع سيئات ، بقي لي ست وثلاثون حسنة .

قلت : ثكلتك امك ، انت الجاهل بكتاب الله ، اما سمعت انه عز وجل يقول : « انما يتقبل الله من المتقين » (٢) .

انك لما سرقت رغيفين كانت سيئتين ، ولما سرقت رمانتين كانت ايضا سيئتين ، ولما دفعتهما الى غير صاحبيهما بغير امر صاحبيهما ، كنت انما اضفت اربع سيئات الى اربع سيئات ، ولم تضف اربعين حسنة الى اربع سيئات ، فجعل يلاحظني فانصرفت وتركته .

قال الصادق . عليه السلام : بمثل هذا التأويل القبيح المستكره يَضلون ويُضلون .

وهذا نحو تأويل معاوية لما قتل عمار بن ياسر رحمه الله ، فارتعدت فرائص خلق كثير ، وقالوا : قال رسول الله . صلى الله عليه وآله : عمار تقتله الفئة الباغية .

فدخل عمرو على معاوية وقال : يا أمير المؤمنين قد هاج الناس واضطربوا . قال : لماذا ؟ قال : قتل عمار . فقال معاوية : قتل عمار فماذا ؟ قال : اليس قد قال رسول الله . صلى الله عليه وآله : عمار تقتله الفئة الباغية ؟ فقال له معاوية : دحضت في قولك ، انحن قتلناه ؟ انما قتله علي بن ابي طالب لما القاه بين رماحنا .

---

(١) الانعام : ١٦٢ .

(٢) المائدة : ٣١ .

فاتصل ذلك بعلي بن ابي طالب . عليه السلام . فقال : اذاً رسول الله . صلى الله عليه وآله . هو الذي قتل حمزة لما القاه بين رماح المشركين .

ثم قال الصادق . عليه السلام : طوبى للذين هم كما قال رسول الله . صلى الله عليه وآله : يحمل هذا العلم من كل خلف عدول ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين (١) .

وفي هذا الخبر احكام ، اذا تأملها عارف يعرفها .

وفي الخبر الاول دلالة ظاهرة على بطلان قول من لا يجوز تفسير شيء من ظاهر القرآن الا بخبر وسمع « افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها » (٢) .

ونحن قد فصلنا القول فيه في تعليقاتنا على الآيات الاحكامية للفاضل المولى احمد الاردبيلي قدس سره ، فمن اراد الاطلاع عليه فليراجع اليه ، والى الله المرجع والمآب ، وهو يهدي من يشاء الى الصراط السوي والطريق الصواب .

٤ . فائدة

[عدم تطرق التحريف الى القرآن]

عن ابي عبد الله الصادق . عليه السلام . قال قال رسول الله . صلى الله عليه وآله : يحمل هذا الدين في كل قرن عدول ينفون عنه تأويل المبطلين ، وتحريف الغالين ، وانتحال الجاهلين ، كما ينفي الكير خبث الحديد (٣) .

اقول : فيه دلالة على ان الصحابة والصحابيات والتابعين لهم واللاحقين بهم ، وهكذا في كل قرن من القرون ، كانت طائفة منهم عدول بالغون حد التواتر ، ينفون عن القرآن تحريف المحرفين على وجه لا يشوبه شائبة تغيير ولا

---

(١) معاني الاخبار : ٣٣ . ٣٥ .

(٢) محمد : ٢٤.

(٣) اختيار معرفة الرجال : ١ / ١٠ . ١١ .

تبديل ، ولا زيادة ولا نقصان ، بوجه من الوجوه ، وبطريق من الطرق ، كما يصرح به التشبيه المذكور .

ويدل عليه ايضا ما في خبر آخر : يحمل هذا العلم من كل خلف عدول ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين (١) .

وحمل العدول على الائمة . عليهم السلام . يدفعه « في كل قرن » لانه لا يكون فيه الا واحد منهم ، وهو عدل لا عدول . والدين يشمل القرآن ، بل هو مبنى اصول الديانات وفروعها ، ومنه يستنبط مسموعها ومعقولها .

ويدل عليه ايضا قوله تعالى : انزلت عليك كتاباً لا يغرقه الماء ولا تحرقه النار .

اذ ليس المراد به ظاهره ، فانا نرى عياناً ان القرآن يغرقه الماء وتحرقه النار .

روي عن الصادق . عليه السلام . انه قال : وقع مصحف في البحر ، فوجدوه وقد ذهب ما فيه ، الا هذه الآية « الا الى الله تصير الامور (٢) » (٣) .

بل المراد به ان شياطين الانس والجن اللذين هما كالنار في ازالة احكام الله وآياته ، لا يقدرون على تحريفه حروفا ، وان كانوا يحرفونه حدوداً .

كما دل عليه ما في روضة الكافي في رسالة ابي جعفر . عليه السلام . الى سعد الخير : وكان من نبذهم الكتاب ان اقاموا حروفه وحرفوا حدوده (٤) .

او المراد انه كلوء عن التغيير ، محفوظ عن الزوال ، على وجه لو فرض القاؤه على الماء والنار لا يؤثران فيه ، لحفظه تعالى اياه ، كما اخبر عنه بقوله

---

(١) اصول الكافي : ١ / ٣٢ ح ٢ .

(٢) الشورى : ٥٣ .

(٣) اصول الكافي : ٢ / ٦٣٢ ح ١٨ .

(٤) روضة الكافي : ٨ / ٥٣ .

تعالى : « نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » (١) . فيكون كناية عن صونه من جميع انحاء شوائب التغيير والزوال .

او انه لما كان محفوظا في الصدور ، يتلوه اكثر الامة ظاهرا ، كما قال الله تعالى : « بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم » (٢) ولذا جاء في صفة هذه الامة : صدورهم اناجيلهم .

بخلاف سائر الكتب السماوية ، فانها ما كانت تقرأ الا من المصاحف ، كما ذكره صاحب الكشاف (٣) ، لا يقدر احد على تحريفه وتغييره ، فكأنه تعالى لما جعله محفوظا في الصدور ، جعله على وجه لا يغرقه الماء ولا تحرقه النار .

وفي نهاية ابن الاثير : فيه انه قال فيما حكى عن ربه : وانزل عليك كتابا لا يغسله الماء تقرؤه نائما ويقظان ، اراد انه لا يمحى ابدا بل هو محفوظ في صدور الذين اوتوا العلم ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وكانت الكتب المنزلة لا تجمع حفظا ، وانما يعتمد في حفظها على

الصحف ، بخلاف القرآن ، فان حفاظه اضعاف مضاعفة لصحفه . وقوله « تقرؤه نائماً ويقظان » اي : تجمعه في حالة النوم واليقظة . وقيل : اراد تقرؤه في يسر وسهولة (٤) انتهى .

وفي حديث عقبة بن عامر : لو كان القرآن في اهاب ما اكلته النار (٥) .

قال ابو عبيد : اراد بالاهاب قلب المؤمن وجوفه الذي قد وعي القرآن فيكون المعنى من علمه الله القرآن لم تحرقه نار الاخرة ، فجعل جسم حافظ

---

(١) الحجر : ٩ .

(٢) العنكبوت : ٤٩ .

(٣) الكشاف : ٣ / ٢٠٩ .

(٤) نهاية ابن الاثير : ٣ / ٣٦٧ .

(٥) كنز العمال : ١ / ٥١٧ ، برقم : ٢٣١٢ .

القرآن كالاهاب (١) .

وقال ابن الانباري : معناه ان النار لاتبطله ، ولا تقلعه من الاسماع التي وعته ، والافهام التي حصلته ، كقوله في الحديث الاخر : وانزلت عليك كتابا لا يغسله الماء . اي : لا يبطله ، ولا يقلعه من الاوعية الطيبة ومواضعه ؛ لان وإن غسله الماء في الظاهر ، لا يغسله بالقلع من القلوب .

وعند الطبراني من حديث عصمة بن مالك : لو جمع القرآن في اهاب ما احرقته النار (٢) .

وعنده من حديث سهل بن سعد : لو كان القرآن في اهاب ما مسته النار (٣) .

ولنا في تلك المسألة رسالة مفردة جامعة للاقوال ، محتوية على اكثر ما يمكن ان يتمسك في الاستدلال ، فليطلب من هناك حقيقة الحال ، والصلاة على محمد وآله خير آل .

٥ . فائدة

[اول ما نزل من القرآن المجيد]

مختار كثير من العلماء ان فاتحة الكتاب عندهم اول السور نزولاً .

وفي رواية : اول ما نزل من القرآن « بسم الله الرحمن الرحيم * اقرأ باسم ربك » وآخره « اذا جاء نصر الله » (٤) .

وقيل : اول سورة نزلت هي المدثر .

وقيل : هي سورة القلم .

---

(١) نهاية ابن الاثير : ١ / ٨٣ .
(٢) كنز العمال : ١ / ٥١٧ ، برقم : ٢٣١٣ .
(٣) كنز العمال : ١ / ٥٣٦ ، برقم : ٢٤٠٤ .
(٤) اصول الكافي : ٢ / ٦٣٨ ح ٥ .
---
(٤٢)
وعن سيدنا امير المؤمنين . عليه السلام . قال : سألت النبي . صلى الله عليه وآله . عن ثواب القرآن ، فأخبرني بثواب سورة سورة على نحو ما نزلت من السماء ، فأول ما نزل عليه فاتحة الكتاب ، ثم اقرأ باسم ربك (١) .
وظاهر الفاضل العلامة يعطي انه نزل بهذا الترتيب المفتتح بالتحميد المختتم بالاستعاذة ، حيث قال في جواب مسألة : الحق انه لا تبديل فيه ولا تقديم ولا تأخير ، وانه لم يزد ولم ينقص ، نعوذ بالله من اعتقاد مثل ذلك ، فانه يوجب التطرق الى معجزة الرسول المنقولة بالتواتر (٢) .

وظاهر الكشاف حيث قال في ديباجته : وجعله بالتحميد مفتتحا وبالاستعاذة مختتما (٣) . انه يذهب الى هذا المذهب . وهذا هو الحق ، وما ينافيه : اما مؤول ، او مطروح .

---
(١) راجع مجمع البيان : ٥ / ٥١٤ .
(٢) اجوبة المسائل المهنائية : ١٢١ .
(٣) الكشاف : ١ / ٥ .
---
(٤٣)
سورة الفاتحة
* بسم الله الرحمن الرحيم .
* الحمد لله رب العالمين .
اختلف في كلمة « الله » هل هو علم شخصي ، او من الصفات الغالبة المخصوصة به تعالى ، بحيث صار كالعلم له ؟ فخليل بن احمد وسيبويه والمبرد على انه اسم غير مشتق ، انفرد الحق سبحانه به ، كأسماء الاعلام ، وعليه كثير من العلماء .
وقيل : انه من الاسماء المشتقة ، وعليه جمهور المعتزلة . واستدل الامام على كونه علما ، بأنه لو

كان صفة مشتقة ، غلبت في الاستعمال على المعبود بالحق ، لم يكن قولنا « لا اله الا الله » صريحاً في التوحيد ؛ لان المفهوم من المشتق هو الموصوف بالمشتق منه .

وهذا مفهوم كلي لا يمنع نفس تصوره عن وقوع الشركة فيه ، فثبت انه لو كان صفة لكان كليا ، ولو كان كليا لم يكن قولنا « لا اله الا الله » صريحا في التوحيد ، فعلم انه اسم علم وليس من الصفات .

واجيب بأنه وان كان في الاصل وصفا ، الا انه غلب عليه تعالى ، بحيث لا يستعمل في غيره ، وصار كالعلم له في عدم تطرق احتمال الشركة اليه ، فحصل التصريح بالتوحيد .

واستدل القائل بكونه صفة ، بأنه لو كان علما لذات مخصوصة لم يكن للحكم عليه بأنه احد فائدة ، وقد قال الله تعالى « قل هو الله احد » .

واجيب عنه : بأن المعنى انه احد في المعبودية بالحق ، لا يشاركه فيها أحد ، وهذه الصفة لازمة له تعالى مفهومة من لفظ « الله » كما يقال لزيد الذي هو

العالم الكامل في البلد : ان زيداً واحد في البلد ، بمعنى انه واحد في العالمية على وجه الكمال ، بحيث لا يشاركه فيها احد في البلد .

على ان ما ذكره مشترك بين كونه علما وصفة غالبة الاستعمال في ذاته المخصوصة ، بحيث صارت كالعلم له ، ولا يطلق على غيره .

وقد يجاب : بأن المراد من الاحد ما لا جزء له بوجه ، لا الوحدانية الدال عليه الله .

والحق ان شيئا من الادلة لا تفيد الجزم بكونه علما ، او صفة ، فتأمل .

وأما حمده سبحانه على بعض صفاته ، كقول القائل حمد الله على علمه ، فراجع الى الحمد على آثاره المرتبة عليه من الافعال المحكمة المتقنة الدالة على ان فاعلها عليم حكيم ، وهو عين ذاته المقدسة .

خلافا للاشعرية القائلة بزيادة الصفات على الذات ، فهي مستندة الى الذات صادرة عنه من غير اختيار منه ، والا لزم منه : اما تقدم الشيء على نفسه ، او التسلسل ، فالحمد عليه ليس هو الثناء على مزية اختيارية ، فتأمل .

و « الحمد » لما عم الفضائل والفواضل ، فالمحمود لا بد وان يكون على احد من هذه الامور : اما كاملا في ذاته وصفاته ، او محسنا ، او مرجو الاحسان ، او يكون ممن يتقى منه ويخاف .

فذكر الصفات المذكورة بعد اسم الذات ، للاشارة الى ان المحمود في هذا المقام جامع للفضائل الكاملة والفواضل الشاملة ، فهو احق بالحمد والتعظيم من كل من يحمد ويعظم ، لجمعه جميع ما يحمد عليه ، بخلاف غيره من المحمودين .

* الرحمن الرحيم .

الرحمة رقة القلب وانعطاف ، اي : ميل روحاني يقتضي التفضل والاحسان ، واذا وصف الله تعالى بها ، كان المراد بها غايتها ، وهي التفضل

والاحسان ؛ لان الرقة من الكيفيات المزاجية التابعة للتأثر والانفعال ، والله منزه عنها .

وهو : اما من باب المجاز المرسل ، بذكر السبب وارادة المسبب ، اذ الرحمة سبب التفضل والاحسان .

(٣/٤)

واما على طريقة التمثيل ، بأن شبه حاله تعالى بالقياس الى المرحومين في ايصال الخير اليهم ، بحال الملك اذا عطف على رعيته ورق لهم ، فأصابهم بمعروفه وانعامه ، فاستعير الكلام الموضوع للهيئة الثانية للاولى ، ومن غير تمحل في شيء من مفرداته .

وقيل : ان صفات الله التي على صيغة المبالغة كلها مجاز ؛ لانها موضوعة للمبالغة ، ولا مبالغة فيها ، فانها في صفات تقبل الزيادة والنقصان ، وصفاته تعالى منزهة عن ذلك .

فيه ان صيغ المبالغة قسمان : قسم تحصل المبالغة فيه بزيادة الفعل ، والثاني بتعدد المفعولات ، ولا شك ان تعددها لا يوجب للفعل زيادة ؛ اذ الفعل الواحد قد يقع على جماعة ، وعليه تنزل صفاته تعالى ، ويرتفع الاشكال .

والرحمن ابلغ من الرحيم ، فعند اعتبار الابلغية فيه باعتبار الكمية ، نظرا الى كثرة افراد المرحومين ، يقال : يا رحمن الدنيا ورحيم الاخرة ، لشمول رحمة الدنيا للمؤمن والكافر .

وعند اعتبار الابلغية فيه باعتبار الكيفية ، وهي جلالة الرحمة ودقتها بالنسبة الى مجموع كل من الرحمتين ، يقال : يا رحمن الدنيا والاخرة ورحيم الدنيا ، لجلالة رحمة الاخرة بأسرها ، بخلاف رحمة الدنيا .

وباعتبار نسبة بعض افراد كل من رحمة الدنيا والاخرة الى بعض ، يقال : يا رحمن الدنيا والاخرة ورحيمهما ؛ لان بعضا من كل منهما أجل من بعض ، وبعضا من كل منهما أدق . وقد ورد كل ذلك في الادعية المأثورة عنهم . عليهم السلام .

---

(٤٦)

وأما وجه تقديم الرحمن على الرحيم ، فقيل : لما كان الملتفت اليه بالقصد الاول في مقام العظمة والكبرياء ، جلائل النعم وعظائمها دون دقائقها ، قدم الرحمن واردف بالرحيم كالتتمة ، تنبيهاً على ان الكل منه ، وان عنايته شاملة لذرات الوجود ، كيلا يتوهم أن محقرات الامور لا تليق بذاته ، فيحتشم عنه من سؤالها .

(٤/٤)

ففيه اشارة الى ان العاقل ينبغي له ان يرجع في حوائجه كلها اليه وينزلها به ، جليلة كانت او حقيرة ، ولا يأنف من رفع المحقرات اليه ، فانه غاية التوكل عليه .

يا موسى سلني كل ما تحتاج اليه حتى علف شاتك وملح عجينك .

* مالك يوم الدين .

لما وصف الله سبحانه نفسه بالرحمن الرحيم الدالين على كمال لطفه واحسانه وجوده وامتنانه على العباد في الاخرة والاولى ، اوجب ذلك غروراً ، وغلب به الرجاء على الخوف ، بل صار رجاءً بحتاً ، فكان موضع طغيان ومحل عصيان .

فعقب ذلك بما يدل على غاية قدرته ، وكمال سطوته في يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والامر يؤمئذ لله ، دفعا لذلك الغرور ، وحسما لمادة الشرور .

فهذه الاضافة والتخصيص للتهويل والتخويف ، وبذلك يصير الرجاء معادلا للخوف ، بحيث لا يرجح احدهما على الاخر .

فهذا في الحقيقة اشارة الى اسباب الخوف والرجاء ، فالرحمن الرحيم ينشأ منهما الرجاء ، ومالك وملك يوم الدين يورثان الخوف لمكان الجزاء .

---

(٤٧)

* اياك نعبد واياك نستعين .

« اياك نعبد » مدحة وثناء لله رب العالمين ؛ لانه بيان للحمد « واياك نستعين » مسألة ودعاء وطلب حاجة ؛ لانه مبين بـ « اهدنا الصراط المستقيم » . ومن شرائط اجابة الدعاء تقديم المدحة لله والثناء عليه قبل المسألة ، كما ورد في غير واحد من الاخبار : اذا طلب احدكم الحاجة ، فليثن ربه وليمدحه ، فان الرجل منكم اذا طلب الحاجة من السلطان هيأ له من الكلام احسن ما يقدر عليه . (١)

وفي حديث سيدنا امير المؤمنين سلام الله عليه : المدحة قبل المسألة (٢) .
فهذا منه سبحانه تعليم للعباد ، وارشادهم الى طريق المسألة ، وكيفية الدعاء ، وطلب الحاجة منه عز اسمه .

(٥/٤)

وأما ايثار صيغة المتكلم مع الغير على المتكلم وحده ، فلعل النكتة فيه ارشاد الله تعالى الى ملاحظة القارىء دخول الحفظة ، او حضار صلاة الجماعة ، او جميع حواسه وقواه الظاهرة والباطنة ، او جميع ما حوته دائرة الامكان واتسم بسمة الوجود .
وذلك لان هذه السورة نزلت لتعليم العباد ، وارشادهم الى طريق الاخلاص ، وسبيل الاختصاص ، والاقبال عليه تعالى .
فكأنه قال لهم : قولوا اياك نعبد بصيغة المتكلم مع الغير ، ارشدهم الى ان عبادته سبحانه لا ينبغي ان تكون بمجرد اللسان ، حتى تكون منزلة صلاة الفذ ؛ بل به وبالجنان المستلزم لمتابعة القوى والاركان ، فيتحقق به مصداق صيغة

---

(١) اصول الكافي : ٢ / ٤٨٥ ح ٦ .
(٢) اصول الكافي : ٢ / ٤٨٤ ح ٢ .

المتكلم ، فحينئذ تكون تلك الصلاة بمثابة صلاة الجماعة .
بيان ذلك : انه لما كانت بين الجوارح والقلب علاقة شديدة ، يتأثر كل منهما بالاخر ، كما اذا حصلت للاعضاء آفة ، سرى اثرها الى القلب فاضطرب ، واذا تألم القلب بخوف مثلا سرى اثره الى الجوارح فارتعدت ، كان القلب بمنزلة السلطان ، والجوارح بمنزلة العسكر .
فمتى توجه القلب الى جناب الله تعالى ، كان كل جارحة على الوجه المطلوب في احوال الصلاة ، بأن لا يطرق رأسه ، وينظر حال القيام الى موضع سجوده ، ولا يسمع الى كلام احد غير ما يقوله مع معبوده ، وتكون يده ورجله وحركاته وسكناته على الوجه المطلوب ، بأن لا يلتفت الى غير جنابه الاقدس ، وبذلك تصير الصلاة صلاة جماعة ، فيحقق مساغ نون المتكلم مع الغير ، فيصح له ان يقول : اياك نعبد واياك نستعين .
والحاصل : انه انما اختار صيغة المتكلم مع الغير على صيغة المتكلم وحده ، ليدل بذلك على

عظم شأن عبادة الله تعالى ، لما فيه من الاشارة الى ان هذا الامر العظيم والخطب الجسيم مما لا يمكنه ان يتولاه وحده ، بل يحتاج الى معاون ونصير وممد وظهير . وكذا الكلام في طلب الاعانة .

(٦/٤)

وأما ما قيل بلزوم الاحتراز بذلك عن الكذب الظاهر ، وما نقل عن مالك بن دينار انه قال : لولا اني مأمور بقراءة هذه الآية ما كنت قرأتها قط ، لاني كاذب فيها .

فهو غير لازم ؛ لان نبينا واوصياءه . عليهم السلام . كانوا يقرؤون هذه الآية مع استعانتهم بغير الله تعالى في الامور الدينية والدنيوية ، وهذا مما لا يمكن انكاره .

كيف ؟ والانسان مدني بالطبع يحتاج بعضهم في امور معاشه ومعاده الى بعض . فالاستعانة بغيره تعالى من حيث انه جعله سبباً ، وابى ان يجري الاشياء الا بأسبابها ، راجعة الى الاستعانة به تعالى ، ولا يلزم منه كذب ولا

---

(٤٩)

تهور ، فان لكل امرء ما نوى ، وانما الاعمال بالنيات .

وكذا الكلام في الخضوع لاهل الدنيا من الملوك والوزراء ونحوهم ، فانه ان كان من باب التقية ودفع الضرر ، فظاهر انه لا ينافي دعوى حصر الخضوع في الله .

وان كان من باب التعظيم ورعاية الادب من حيث ان لوجودهم مدخلا في حفظ بيضة الاسلام وترويج شريعة سيد الانام عليه وآله السلام ، فكذلك .

ولذلك جوز بعض علمائنا السجود الذي هو اقصى غاية الخضوع للملوك والابوين والاخوة ، كما وقع في اخوة يوسف . عليه السلام . على قصد الادب والتعظيم ، واعتقاد انهم عبيد مخلوقون .

فان الخضوع للانسان يقع على وجه الادب والتعظيم ، ويكون راجحا اذا كان في العرف تركه اهانة والانسان اهل التعظيم ، لانه عبد الله ، فتعظيمه تعظيم الله .

وبالجملة الاستعانة بغير الله وتعظيمه وتكريمه بالقيام له ، بل الخضوع ونحوه اذا كان اهلا له ، او من باب التقية ودفع الضرر ، او لان له مدخلا في تحصيل المعاش والمعاد ونحو ذلك ، لا ينافي دعوى حصر العبادة والاستعانة في الله تعالى ، بعد ان كانت نيته صادقة وغرضه ما ذكرناه ، فتأمل .

(٧/٤)

اقول : والعبادة نسبة بين العابد والمعبود ، فتحققها ذهناً وخارجاً موقوف على تحققهما ، لكن المعبود ادخل في ذلك من العابد ، اذ لولاه لما عبد العابد ، فلم يتحقق العبادة .

فينبغي للعابد ان يعبده كأنه بحضرته ويراه ، فان لم يكن يراه فانه يراه ، كما قال سيد الاوصياء وسند الاتقياء سلام الله عليه وعلى ذريته الاصفياء : اعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك .

فينبغي لك التبتل والانقطاع اليه بتجافيك عن دار الغرور ، وترقيك الى عالم النور ، ومؤانستك به ومجالستك له ومكالمتك معه ، فتكون صلاتك

---

(٥٠)

بذلك معراجك ، تعرج فيها الى سماء الحقيقة .

كما ورد في الخبر عن سيد البشر . صلى الله عليه وآله . عدد قطرات المطر : الصلاة معراج المؤمن .

فانه يعرج فيها بنعت بعد نعت ، ووصف بعد وصف ، من مرقاة الى مرقاة ، ودرجة الى درجة ، حتى اذا بلغ محل الحضور وعالم النور ، يرفع عنه الحجاب ، ويقام على الباب ، ويرخص في الخطاب ، فيقول بلسان ذليق طليق اياك نعبد واياك نستعين .

فيصير جليسا لربه ، دثارا لخالقه ، مقترحا على رازقه ، منادما لمالك دار الفناء ودار البقاء ، مشرفا بحضرة سلطان السماء ، فيقول : اهدنا الصراط المستقيم .

فيكون حاله حال راهب لما قيل له : ما اصبرك على الوحدة ؟ قال : انا جليس ربي ، اذا شئت ان يناجيني قرأت كتابه ، واذا شئت ان اناجيه صليت .

* اهدنا الصراط المستقيم.

الهداية هي الدلالة على ما من شأنه الايصال الى البغية من غير ان يشترط في مدلولها الوصول ، ولذلك كانت الدلالات التكوينية المنصوبة في الافاق والانفس ، والبينات الواردة في الكتب السماوية على الاطلاق ، بالنسبة الى البرية كافة برها وفاجرها هدايات حقيقية فائضة من الله تعالى .

وهداية الله تعالى انما يتحقق باحداثه الشوق في السالك ، واهتياجه قلبه وجذبه الى ارادته ومحبته والمواظبة عليه .

فان الشوق وهو ادراك لذة المحبة اللازمة لفرط الارادة الممتزجة بالم المفارقة ، يكون في حال السلوك بعد اشتداد الارادة ضروريا .

وربما كان حاصلا قبل السلوك ، وذلك اذا حصل الشعور بكمال المطلوب ، ولم تنضم اليه القدرة على السير ، وقل الصبر على المفارقة ، وكلما ترقى السالك

---

(٥١)

في سلوكه كثر الشوق وقل الصبر ، حتى يصل الى المطلوب ، فتخلص حينئذ لذة نيل الكمال من الالم ، وينتفي الشوق .

ولكن هذا الطريق مع كمال وضوحه مخوف ، وفيه مهالك ومواقع ، والسالك فيه يحتاج الى العنايات الربانية والهدايات السبحانية ، فانه ما دام في سيره الى الحق يكون مضطربا غير مستقر الخاطر ، لخوف العاقبة ، وما يعرض في اثناء السير والسلوك من العوارض العائقة ، كالانحراف عن القصد في عبادة الله ، واستيلاء القوى الشهوانية ، بحسب مجرى العادة في استعمال الشهوات المألوفة ، فان هذه وامثالها تصد السالكين عن السلوك الى الله ، وهم على خوف منها ومن خواطر الشيطان ، ونعم ما قيل :

كيف الوصول الى سعادة ودونها * قلل الجبال ودونهن حتوف

والرجل حافية ومالي مركب * والكف صفر والطريق مخوف

فاذا هب نسيم العناية الازلية ، وارتفعت الحجب الحائلة الظلمانية ، تنور القلب بنور العيان ، وحصلت الراحة والاطمئنان ، وزال الخوف وظهر تباشير الامن والامان .

كما اشار اليه امام الانس والجان سيدنا امير المؤمنين عليه سلام الله الملك المنان ، عند ذكر السالك على ما هو المذكور في نهج البلاغة بقوله :

قد أحيا عقله ، ومات نفسه ، حتى دق جليله ، ولطف غليظه ، وبرق له لامع كثير البرق ، فعن له الطريق ، وسلك به السبيل ، وتدافعته الابواب الى باب السلامة ودار الاقامة ، وتثبتت رجلاه بطمأنينة قلبه (١) في قرار الامن والراحة ، بما استعمل قلبه وارضا ربه (٢) .

---

(١) في المصدر : بدنه .

(٢) نهج البلاغة : ٣٣٧ ، ك : ٢٢٠ .

---

(٥٢)

أقول : فمعنى « اهدنا » زدنا هدىً بمنح الالطاف ، وعن علي . عليه السلام . معناه ثبتنا .
ولفظ الهداية على الثاني مجاز ؛ اذ الثبات على الشيء غيره .
وأما على الاول ، فان اعتبر مفهوم الزيادة داخلا في المعنى المستعمل فيه ، فمجاز ايضا . وان اعتبر خارجا عنه مدلولا عليه بالقرائن ، فحقيقة ، اذ الهداية الزائدة هداية ، كما ان العبادة الزائدة عبادة ، فلا جمع فيه بين الحقيقة والمجاز .
واما المراد بالصراط المستقيم المبين بصراط المنعمين عليهم دون المغضوب عليهم ولا الضالين ، فهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون وحسن اولئك رفيقا .
وصراطهم في الدنيا ما قصر عن الغلو وارتفع عن التقصر واستقام ، فلم يعدل الى شيء من الباطل ، وهو دين الاسلام الحاصل لكل من اصحاب المرتبتين جميعاً ، وان كان حصوله لهم وثباتهم عليه مقولاً بالشدة والضعف .
ثم ان هذا هو بعينه صراطهم في الاخرة ؛ لانه يوديهم الى الجنة . فيدخلونها خالدين فيها لا يبغون عنها حولا ، وما هم منها بمخرجين .
فان قلت : هذه الآية قد تلاها نبينا واوصياؤه . عليهم السلام . فما كانوا يريدون بالهداية المذكورة فيها ؟
قلت : كانوا يريدون بها الثبات على الصراط المستقيم ، وهو دين الاسلام ، لان ميلهم عنه كلاً او بعضاً امر ممكن بالذات ، وهذا القدر كاف في طلب الثبات عليه ، وذلك لان العصمة البشرية لاتجعل المعصوم مسلوب القدرة على المعصية ، والا لم يكن له في تركها ثواب ، وكان احدنا اذا كف نفسه عن المعصية اكثر ثواباً منه ؛ لان له دواعي وبواعث عليها دونه على ما هو المفروض .
او يقال : هو بالنسبة اليهم تعبد محض . او هو من قبيل بسط الكلام مع المحبوب ، فلا يضر امتناع ميلهم عنه . والوجه هو الاول .
وسمي بالمستقيم لانه يؤدي من يسلكه الى الجنة ، كما ان الصراط يؤدي
---
(٥٣)
من يسلكه الى المقصد .
وروي ان المراد به كتاب الله (١) .

فالمطلوب الهداية الى فهم معانيه ، والتدبر في مقاصده ومبانيه ، واستنباط الاحكام منه ، والتعمق في بطون آياته ، فان لكل آية ظهرا وبطناً .

وعن علي . عليه السلام . في « اهدنا الصراط المستقيم » قال : ادم لنا توفيقك الذي به اطعنا في ماضي ايامنا حتى نطيعك كذلك في مستقبل اعمارنا (٢) .

والصراط المستقيم هو صراطان : صراط في الدنيا ، وهو ما قصر عن الغلو وارتفع عن التقصير واستقام ، فلم يعدل الى شيء من الباطل . وصراط في الاخرة ، وهو طريق المؤمنين الى الجنة الذي هو مستقيم ، لايعدون عن الجنة الى النار ، ولا الى غير النار سوى الجنة .

* صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين .

قيل : المراد بهم المسلمون ، فان نعمة الاسلام رأس جميع النعم .

أقول : وذلك لان من انعم الله عليه بنعمة الاسلام لم يبق نعمة الا اصابته ، لاشتمالها على سعادة الدارين .

واجل نعمة انعم الله بها على عباده هي نعمة العقل ، ونعني به ما من شأنه ان يعبد به الرحمن ويكتسب به الجنان ، ثم توفيقه لهم على تحليتهم انفسهم بالاخلاق الزكية ، والتخلية عن الملكات الردية .

---

(١) مجمع البيان : ١ / ٢٨ .

(٢) معاني الاخبار : ٣٣ ح ٤ .

فانها مستتبعة لجميع الخيرات الدنيوية ، من فعل الطاعات وترك السيئات وغيرهما ، والاخروية مع الحور والقصور وغيرهما مما هو موجود في الجنة من انواع الملذات ، فانها كلها تنشأ من تلك الاخلاق ، الا انها لا يلزم آثارها الا بعد المفارقة الى الاخرة .

وذلك لان الجنة الصورية ، وهي الابواب والجدران وما فيها من الانهار والاشجار والحور والقصور وغيرها ، صورة الاخلاق الحميدة والافعال الحسنة الناشئة منها ، والعلوم والآراء المطابقة للواقع .

كما ان النار الصورية وما فيها من العقارب والحيات وغيرهما من انواع المؤذيات ، صورة اضدادها من الاخلاق الذميمة والملكات الردية ، والعلم بالاشياء على خلاف ما هي عليه . وفوق كل ذلك هو المعارف الالهية ، واقتناؤها من فروع العقل .

قال الفاضل العارف كمال الدين بن ميثم البحراني في شرح نهج البلاغة عند قوله . عليه السلام . « درجات متفاضلات » : اعلم ان الذ ثمار الجنة هي المعارف الالهية ، والنظر الى وجه الله ذي الجلال والاكرام ، والسعداء في الوصول الى نيل هذه الثمرة على مراتب متفاوتة .

فالاولى من اوتي الكمال في حدس القوة النظرية ، حتى استغني عن معلم بشري رأساً ، واوتي مع ذلك ثبات قوة المفكرة واستقامة وهمه ، منقاداً تحت قلم العقل ، فلا يلتفت الى العالم المحسوس بما فيه ، حتى يشاهد عالم المعقول بما فيه من الاحوال ، ويستثبتها في اليقظة .

فيصير العالم وما يجري فيه متمثلا في نفسه ، فيكون لقوته النفسانية ان تؤثر في عالم الطبيعة ، حتى تنتهي الى درجة النفوس السماوية ، وتلك هي النفوس القدسية اولات المعارج ، وهم السابقون السابقون اولئك المقربون ، وهم افضل النوع البشري واحقه بأعلى درجات السعادة في الجنة (١) .

---

(١) شرح نهج البلاغة : ٢ / ٢٧٧ .

وبما قررناه ظهر ان الجنة بما فيها من انواع اللذات والملذات الجسمانية والروحانية من توابع العقل والاخلاق الزكية وفروعهما ، فهما من اجل النعم على الانسان .

وأما غيرهما من النعم الجسمانية والروحانية ، فانها خلقت لتكون وصلة ووسيلة اليهما ، فهذه الآية اذا تلاها تال ، فينبغي له ان يراد بالنعمة المذكورة فيها هاتين النعمتين الجليلتين ، فانهما نعمتان مشتركتان بين جميع المنعمين عليهم من الانبياء والصديقين والمقربين والشهداء والصالحين .

وأما غفران الذنوب بعد التوبة او بدونها ، فليس بنعمة مشتركة بينهم ، فكيف يراد من النعمة المذكورة فيها ، فتأمل .

اعلم ان كلمة « غير » وضعت للمغايرة ، وهي مستلزمة للنفي ، فتارة يراد بها اثبات المغايرة . كما في « غير المغضوب عليهم ولا الضالين » فتكون اثباتا في حكم النفي لتضمنه اياه ، فيجوز تأكيده بـ « لا » .

واخرى يراد بها النفي ، كقولك انا غير ضارب زيد ، اي : لست ضاربا له ، لا اني مغاير لشخص ضارب له ، فلفظة « لا » مزيدة لتأكيد ما في « غير » من معنى النفي .

ثم في عدوله سبحانه عن اسناد الغضب الى نفسه جل شأنه مع التصريح باسناد عديله اعني النعمة اليه عز سلطانه تشييد لمعالم العفو والرحمة ، وتأسيس لمباني الجود والكرم حتى كأن الصادر عنه

هو الانعام لا غير ، وان الغضب صادر عن غيره .
ومثله بل احسن منه قوله عز اسمه « نبىء عبادي اني انا الغفور الرحيم * وان عذابي هو العذاب الاليم » (١) .

---

(١) الحجر : ٤٩ . ٥٠ .

وفي الخبر عن سيد البشر . صلى الله عليه وآله . انه قال : ليغفرن الله تعالى يوم القيامة مغفرة ما خطرت قط على قلب احد ، حتى ان ابليس ليتطاول لها ان تصيبه (١) .
اقول : وكيف لا يكون كذلك ، وهو عز اسمه كتب على نفسه الرحمة ، وآية رحمته « رحمتي وسعت كل شيء » (٢) وهو الجواد المطلق الذي لا يرحم لمنفعة تعود اليه ، ولا مضرة يدفعها عنه ، وكل رحيم سواه فرحمته لغرض من الاغراض : اما ثناء دنيوياً ، او اجراً اخروياً ، او رقة ناشئة من الجنسية ، او نحو ذلك .

---

(١) بحار الانوار : ٧ / ٢٨٧ .
(٢) الاعراف : ١٥٦ .

(سورة البقرة)
*واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال اني جاعلك للناس اماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين . [الآية : ١٢٤]

قال البيضاوي بعد قوله تعالى في قصة خليله . عليه السلام . لاينال عهدي الظالمين » : فيه تنبيه على انه قد يكون من ذريته ظلمة ، وانهم لا ينالون الامامة ؛ لانها امانة من الله وعهده ، والظالم لا يصلح لها ، وانما ينالها البررة الاتقياء منهم (١) .
وقال الفاضل المحشي عصام الدين محمد في حواشيه على هذا التفسير : معناه لاينال عهدي الظالمين ما داموا ظالمين ، فالظالم اذا تاب لم يبق ظالما .
وكيف لا يكون المراد ذلك ؟ وقد نالت الامامة ابا بكر وعمر وعثمان ، ومراده ان هذه قضية سالبة

، والمراد من السالبة المطلقة . كما ذكره المنطقيون . هو العرفية العامة ، فالآية لا تدل على عدم نيل الامامة الظالم بعد توبته ؛ لعدم صدق الظالم عليه حينئذ .

اقول : أية فائدة في الاخبار بأن الظالم ، اي الكافر ، كما هو مراد المحشي ، ويدل عليه قوله تعالى « والكافرون هم الظالمون » (٢) ما دام كافراً لا تناله الامامة ؛ وهي الرئاسة العامة في امر الدين والدنيا خلافة عن الله او عن النبي .

فان من الاوليات بل الاجلى منها ان الامامة والظلم بالمعنيين المذكورين لا

---

(١) انوار التنزيل : ١ / ٥٤ .

(٢) البقرة : ٢٥٤ .

يجتمعان ، ولا يتوهمه عاقل ، ليحتاج الى دفعه بانزال آية من السماء ، ضرورة ثبوت التنافي بينهما ، فكيف يصير هذا الحكم موضعا للافادة ؟ وخاصة اذا صدر من الحكيم العليم الذي لا يتطرق اليه ولا الى كلامه عبث ولا لغو ، ولا يكون كلامه ككلام الساهي والنائم والهاذي .

فظهر انه لا يمكن ان يراد بالظالم المنفي عنه الامامة ، من يباشر الظلم ويرتكبه ، حتى يصح ان يقال : انه اذا تاب عنه ويصلح لم يبق ظالما ، فيمكن ان تناله الامامة ، بل هو واقع ، لانها قد نالت هؤلاء بثلاثتهم ، بعد ان تابوا عن ظلمهم وكفرهم واصلحوا .

وهل هذا الا مصادرة وتفسير للاية بما يطابق اهواءهم ، بل المراد به من وجد منه الظلم وقتا ما ، وان لم يكن في الحال ظالما ، بل كان تائبا .

لان ابراهيم . عليه السلام . لم يسأل الامامة لبعض ذريته المباشرين للظلم من قبل ان يتوبوا عنه ، فلانه قبيح عمن يدعي صحبة عاقل من العقلاء ، فكيف لا يكون قبيحا عمن هو من اعقل الأنبياء .

فتعين ان سؤاله الامامة : اما لبعض ذريته مطلقا ، او للذين لم يظلموا منهم اصلا ، او ظلموا ثم تابوا عنه .

والاول لا يحتمل المباشرين للظلم منهم ، كما مر لما مر ، فيتحقق في ضمن احد الاخيرين ، فقوله تعالى في جوابه « لا ينال عهدي الظالمين » منهم ، صريح في ان الذين ظلموا منهم ، اي : سبقوا في الظلم والكفر لا ينالهم عهد الله ، وان تابوا بعد ظلمهم واصلحوا ، ولم يكونوا في الحال ظالمين .

فدلت على ان الامامة عهد من الله وامانة منه لا تنال من كان ظالما ولو وقتا ما .
ويدل عليه ما رواه الفقيه ابن المغازلي الشافعي ، عن عبد الله بن مسعود في تفسير الآية ، قال قال رسول الله . صلى الله عليه وآله : انتهت الدعوة الي والى

علي ، لم يسجد احد منا لصنم قط ، فاتخذني الله نبياً ، واتخذ علياً وصياً . (١) وهذا نص بالباب .
والى ذلك اشار صاحب التجريد بقوله : وسبق كفر غير علي . عليه السلام . فلا يصلح للامامة غيره ، فتعين هو (٢) .
وجواب القوشجي بأن غاية الامر ثبوت التنافي بين الظلم والامامة ، ولا محذور اذا لم يجتمعا . مندفع بما سبق .
واعلم ان الشافعي وشيعته كالبيضاوي ، ذهبوا الى ان اطلاق المشتق بعد وجود المشتق منه وانقضائه ، كالظلم لمن قد ظلم قبل وهو الان لا يظلم ، حقيقة مطلقا ، سواء كان مما يمكن بقاؤه ، كالقيام والقعود ، اولا كالمصادر السيالة نحو التكلم والاخبار .

(١٥/٤)

فعلى قاعدتهم هذه يرد عليهم ان الظالم وان انقضى ظلمه وتاب عنه وقبل توبته لا يصلح للامامة ؛ اذ يصدق عليه انه ظالم حقيقة على ما ذهبوا اليه ، وقد نفى الله عنه الامامة .
فكيف نالت الامامة من يعتقدون امامته مع ظلمه وكفره بالاتفاق ، وهذا مع قطع النظر عما سبق منا امر يلزمهم بخصوصهم وهم لا يشعرون . وما وقفت في كلام احد تفطن بهذا ، فهو من سوانح الوقت والحمد لله .
واذا ثبت ان الظالم وهو من وضع الشيء في غير موضعه وان كان وقتا ما ، او من تعدى حدود الله التي هي الاوامر والنواهي ، لقوله تعالى : « ومن يتعد حدود الله فقد ظلم »(٣) لا تناله الامامة .

---

(١) مناقب ابن المغازلي : ٢٧٧ .
(٢) التجريد : ٢٣٧ .
(٣) البقرة : ٢٢٩ .

ثبت ان الامام لابد وان يكون معصوما ، والا لكان ظالما : اما لنفسه ، او لغيره ، وقد سبق ان منفي عنه الامامة ، فالآية مما دل على اعتبار العصمة في الامام ، والحمد لله وحده ذي الجلال والاكرام .

* ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار . [الآية : ٢٠١]

قيل : المراد بالحسنتين : أما في الدنيا ، فالصحة والامن والكفاية ، والولد الصالح ، والزوجة الصالحة ، والنصر على الاعداء . واما في الاخرة ، فالفوز بالثواب ، والخلاص من العقاب .

وعنه . صلى الله عليه وآله : من اوتي قلباً شاكراً ، ولساناً ذاكراً ، وزوجة مؤمنة تعينه على امر دنياه وآخرته ، فقد اوتي في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة ووقي عذاب النار (١) .

وعن مولانا امير المؤمنين . عليه السلام : الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة ، وفي الاخرة الحوراء ، وعذاب النار امرأة السوء (٢) .

وفي الكافي : في الصحيح عن ابي عبد الله . عليه السلام . في هذه الآية رضوان الله ، والجنة في الاخرة ، والمعاش وحسن الخلق في الدنيا (٣) .

وقيل : هي في الدنيا فهم كتاب الله ، وفي الاخرة الجنة .

وقيل : في الدنيا العلم والعبادة ، وفي الاخرة الجنة .

وقيل : الاولى المال والنعمة ، والثانية تمام النعمة ، وهو النجاة من العقاب ،

---

(١) مجمع البيان : ١ / ٢٩٨ .

(٢) تفسير الصافي : ١ / ٢١٧ .

(٣) فروع الكافي : ٥ / ٧١ ح ٢ .

والوصول الى دار الثواب .

وقيل : الاولى الاخلاص ، والثانية الخلاص . الى غير ذلك من الاقوال .

ولما كان دفع الضرر اهم من جلب النفع ، صرح بذلك في قوله « وقنا عذاب النار » قيل : معناه واحفظنا من الشهوات والذنوب المؤدية الى النار .

* ولاتنكحوا المشركات حتى يؤمنّ . . . [الآية : ٢٢١]

قال في الكشاف : « ولا تنكحوا المشركات » اي : الكافرات مطلقا كتابية وغيرها ، فان الكتابي ايضا يقال له : مشرك ، بدليل قوله تعالى : « وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله » الى قوله سبحانه « عما يشركون (١) » . (٢) .

وفيه ان شمول المشرك للكتابي الذي يقوله بوحدانية الواجب غير ظاهر لغة وعرفا .

والقول بأن لله ابنا لا يستلزم الشرك الحقيقي ، واطلاقه عليه في الآية لابد من كونه حقيقة فيهم ايضا ، حتى يرادوا منه مطلقا ، فاطلاق الشرك مع القرينة لا يدل على اطلاقه بدونها .

وايضا قول كل اهل الكتاب بالابن غير ظاهر . والعطف في « لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين » (٣) ظاهر في التغاير ، وله مؤيدات من الايات والاخبار .

---

(١) التوبة : ٣٠ . ٣١ .

(٢) الكشاف : ١ / ٣٦٠ .

(٣) البينة : ١ .

---

* حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين [الآية : ٢٣٨]

قال ابن الاثير في النهاية : فيه « تفكر ساعة خير من قنوت ليلة » وقد تكرر ذكر القنوت في الحديث ، ويرد بمعان متعددة ، كالطاعة ، والخشوع ، والصلاة ، والدعاء ، والعبادة ، والقيام ، وطول القيام ، والسكوت ، فيصرف في كل واحد من هذه المعاني الى ما يحتمله لفظ الحديث الوارد فيه .

وفي حديث زيد بن ارقم « كنا نتكلم في الصلاة حتى نزل « وقوموا لله قانتين » فأمسكنا عن الكلام » اراد به السكوت .

وقال ابن الانباري : القنوت على اربعة اقسام : الصلاة ، وطول القيام ، واقامة الطاعة ، والسكوت (١) انتهى .

وقال في القاموس : القنوت الطاعة ، والسكوت ، والدعاء في الصلاة ، والامساك عن الكلام ، واقنت دعا على عدوه ، واطال القيام في صلاته ، وادام الحج ، واطال الغزو ، وتواضع لله (٢) .

وقال في الصحاح : القنوت الطاعة ، هذا هو الاصل ، ثم سمي القيام في الصلاة قنوتا . وفي

الحديث « افضل الصلاة طول القنوت » ومنه قنوت الوتر (٣) انتهى .
ولا ريب في ان المراد من لفظ القنوت الوارد في الاحاديث التي دلت على وجوبه او استحبابه على اختلاف القولين فيه من هذه المعاني ، هو الدعاء لا غير

---

(١) نهاية ابن الاثير : ٤ / ١١١ .
(٢) القاموس المحيط : ١ / ١٥٥ .
(٣) صحاح اللغة : ١ / ٢٦١ .

بقرينة المقام .
وقال ابن عباس في قوله تعالى : « وقوموا لله قانتين » معناه داعين . والقنوت هو الدعاء في الصلاة حال القيام ، وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله . عليهما السلام . وكذلك فسره محمد بن بابويه بقوله : داعين . وقيل : طائعين . وقيل : خاشعين (١) .
وقال في الكشاف : هو الركود وكف الايدي والبصر (٢) .
وقيل : الاولى ان يفسر القنوت بذكر الله قائما انسب من الدعاء فانه اعم ، والاصحاب لا يشترطون الدعاء في القنوت ، فانهم يجعلون كلمات الفرج افضله وليس فيها دعاء .
وكل ذلك تفسير في مقابل النص ، فهو غير مسموع ، فتأمل .
اقول : وقد اختلفت الاثار والاقوال في المراد من الصلاة الوسطى :
ففي الفقيه في رواية زرارة بن اعين الطويلة ، نأخذ منها موضع الحاجة قال قلت لابي جعفر . عليه السلام : اخبرني عما فرض الله من الصلوات ؟ فقال : خمس صلوات في الليل والنهار .
الى ان قال الامام . عليه السلام . وقال « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى » وهي اول صلاة صلاها رسول الله . صلى الله عليه وآله ، وهي وسط صلاتين بالنهار صلاة الغداة وصلاة العصر (٣) .

وفي آيات الاحكام للراوندي : عن زيد بن ثابت ان النبي . صلى الله عليه وآله . كان يصلي بالهاجرة ، وكانت اثقل الصلوات على اصحابه ، فلا يكون وراءه الا الصف والصفان ، فقال : لقد هممت ان احرق على قوم لا يشهدون

---

(١) راجع مجمع البيان : ١ / ٣٤٣ .
(٢) الكشاف : ١ / ٣٧٦ .
(٣) من لا يحضره الفقيه : ١ / ١٩٥ . ١٩٦ .
---
(٦٤)
الصلاة بيوتهم فنزلت الآية (١) .
وفيه دلالة ما على ان الصلاة الوسطى هي صلاة الظهر ، وقد اختلف فيها ، فذهب الى كل صلاة سوى صلاة العشاء طائفة ، ولم ينقل عن احد من السلف انها صلاة العشاء .
وذكر بعض المتأخرين انها هي ؛ لانها بين صلاتين لا تقصران ، كذا ذكره چلبي في حاشيته على المطول .
وقيل : هي احدى الخمس لا بعينها ، ابهمها الله تحريصا للعباد على المحافظة على جميعها ، كما في ليلة القدر وساعة الجمعة .
وقال الصدوق في الفقيه وقيل : انزلت هذه الآية يوم الجمعة ورسول الله . صلى الله عليه وآله . في السفر ، فقنت فيها ، وتركها على حالها في السفر والحضر ، واضاف للمقيم ركعتين ، وانما وضعت الركعتان اللتان اضافهما النبي . صلى الله عليه وآله . يوم الجمعة للمقيم لمكان الخطبتين مع الامام ، فمن صلى يوم الجمعة في غير جماعة فليصلها اربعاً ، كصلاة الظهر في سائر الايام (٢) .
وفي الكشاف : هي صلاة العصر . وعن النبي . صلى الله عليه وآله . انه قال يوم الاحزاب : شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ، ملأ الله بيوتهم ناراً . وقال . عليه السلام : انها الصلاة التي شغل عنها سليمان بن داود حتى توارت بالحجاب .
وعن حفصة انها قالت لمن كتب لها المصحف : اذا بلغت هذه الآية ، فلا تكتبها حتى امليها عليك كما سمعت رسول الله يقرؤها ، فأملت عليه : والصلاة الوسطى صلاة العصر .
وعن عائشة وابن عباس : والصلاة الوسطى وصلاة العصر ، بالواو . فعلى

---

(١) مجمع البيان : ١ / ٣٤٢ .

(٢) من لا يحضره الفقيه : ١ / ١٩٦ .

هذه القراءة يكون التخصيص بصلاتين احداهما الصلاة الوسطى : اما الظهر ، واما الفجر ، واما المغرب ، على اختلاف الروايات فيها . والثانية العصر .

وعن ابن عمر هي صلاة الظهر . وعن مجاهد هي الفجر . وعن قبيصة هي المغرب . (١) ومشى على اثره البيضاوي .

وقال مولانا احمد الاردبيلي رحمه الله في ايات احكامه بعد ذكر الآية : كان الامر بمحافظة الصلوات بالاداء لوقتها ، والمداومة عليها ، بعد بيان احكام الازواج والاولاد ، لئلا يليهم الاشتغال بهم عنها ، وخصها بعد العموم للاهتمام بحفظها لافضليتها .

ثم قال وقيل : هي مخفية كساعة الاجابة ، واسم الله الاعظم ؛ لان يهتموا بالكل غاية الاهتمام ، ويدركوا الفضيلة في الكل ، فهي تدل على جواز العمل المبين لوقت من غير جزم بوجوده ، مثل عمل ليلة القدر والعيد واول رجب وغيرها ، مع عدم ثبوت الهلال ، وقد صرح بذلك في الاخبار .

ثم قال بعد كلام : فدلت الآية على وجوب محافظة الصلوات ، خرج ما ليس بواجبة منها اجماعا ، بقي الباقي منها تحت العموم ، فلا يبعد الاستدلال بها على وجوب الجمعة والعيدين والايات ايضا (٢) .

أقول : قوله « اجماعا » قيد للسلب ، اي : خرج صلوات عدم وجوبها اجماعي من كونها داخلة في كونها مأمورة بالمحافظة ، وبقيت الصلوات المعلوم وجوبها ومشكوكة مندرجة في عموم الآية ، لعدم الدليل على التخصيص .

فحينئذ يمكن الاستدلال بالآية على وجوب الصلوات المشكوك وجوبها ، بظهور الامر في الوجوب ، خصوصا الاوامر القرآنية ، وخصوصا عند ملاحظة وجوب محافظة الصلوات المعلوم وجوبها ، ومشاركة الصلوات المشكوك وجوبها

---

(١) الكشاف : ١ / ٣٧٦ .

(٢) زبدة البيان : ٤٩ . ٥٠ .

معها في كونها متعلقة للامر بالمحافظة .

وفيه ان الآية ظاهرها وجوب محافظة الصلوات الثابت وجوبها ، فلو ثبت ان الجمعة وغيرها في هذا الزمان من تلك الصلوات وجبت محافظتها ، والا فلا .

فان ما ليس بثابت وجوبه من الصلوات لا تجب محافظتها ولا فعلها ؛ اذا الاصل عدم الوجوب وبراءة الذمة الى ان يقوم دليل يفيد اليقين او الظن بخلافه ، ولم يقم بعد دليل كذائي على وجوب الجمعة في هذا الزمان ، والا لم تكن من الصلوات المشكوك وجوبها .

مع ان الآية على ما نقله الراوندي في آيات احكامه عن زيد بن ثابت وقد مر ، انما نزلت في الامر بمحافظة الصلوات المفروضة اليومية ، وكون الجمعة منها لم يثبت بعد .

وبالجملة : اما ان يحمل الآية على الامر بمحافظة الصلوات المفروضة اليومية ، او مطلق الفريضة ، او مطلق الصلاة اليومية ، فريضة كانت او نافلة ، او مطلق الصلاة المأمور بها ، يومية كانت او غير يومية .

فعلى الاحتمالين الاولين لا وجه للاستدلال بها على وجوب ما لم يعلم وجوبه ؛ لان كونه مندرجا في الامر بالمحافظة حينئذ غير ظاهر .

وعلى الاحتمالين الاخيرين ايضا لا يصح الاستدلال بها على وجوب الصلوات المشكوك وجوبها ، لكون المحافظة المأمور بها حينئذ مطلقة جارية في النوافل ايضا ، فظهر ان ظاهر الآية احد الاحتمالين الاولين ، لكون ظاهرها وجوب المحافظة .

فان قلت : يمكن ترجيح الاحتمال الثاني ، بأن ما ذكرته انما يدل على تخصيص الصلوات بالفرائض . وأما تخصيصها باليومية ، فلا دليل عليه .

فحينئذ نقول : الصلوات المشكوك وجوبها التي ثبت وجوبها في زمان رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ، مثل الجمعة والعيدين ، يمكن اثبات وجوبها في زمانها بما يدل على عموم الحكم الازمان ، وان ادى بخطاب المشافهة ما لم يدل

دليل على خصوصه .

قلت : يمكن الاستدلال على العموم ان دل ضرورة الدين او المذهب او الاجماع على حرف الخطاب عن ظاهره ، وهو فيما نحن فيه منتف .

ثم الكلام في الاستدلال بها على وجوب الجمعة على تقدير ترجيح الاحتمال الاول بالتبادر وكون الجمعة من اليومية وما عليه ، ظاهر بما ذكرته من غير حاجة الى التفصيل .

هذا وفي الفقيه عن النبي . صلى الله عليه وآله . في جواب نفر من اليهود عن علة وجوب خمس صلوات ، وعن كونها في المواقيت المخصوصة ، قال : وأما صلاة العصر ، فهي الساعة التي اكل آدم . عليه السلام . فيها من الشجرة ، فأخرجه الله من الجنة ، فأمر الله عز وجل ذريته بهذه الصلاة الى يوم القيامة ، واختارها لامتي ، فهي من احب الصلوات الى الله عز وجل ، واوصاني ان احفظها من بين الصلوات (١) .

وفي رواية ابي جعفر . عليه السلام . انه قال في بعض القراءات « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى » صلاة العصر « وقوموا لله قانتين » في صلاة الوسطى (٢) .

وفي جوامع الجامع : روي عنهم . عليهم السلام . انها صلاة الظهر . وقيل : هي صلاة العصر ، وروي ذلك ايضا مرفوعا . وقيل : صلاة الفجر ، يدل عليه قوله « وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهوداً » (٣) .

وفي مجمع البيان : قيل هي صلاة الظهر ، لتوسطه في النهار . وقيل : العصر ، لتوسطه بين صلاة النهارية والليلية . وقيل : هي المغرب ، لتوسطه في الطول

---

(١) من لا يحضره الفقيه ١ : ٢١٢ . ٢١٣ .

(٢) من لا يحضره الفقيه ١ : ١٩٦ .

(٣) جوامع الجامع : ٤٤ .

والقصر . وقيل : هي العشاء الاخرة ، لتوسطه بين صلاتين غير مقصورتين . وقيل : هي الصبح ، لتوسطه بين الضياء والظلام (١) .

وقال الراوندي في آيات احكامه : هي العصر فيما روي عن النبي . صلى الله عليه وآله . وعن علي . عليه السلام . وعن ابن عباس والحسن ، وقال الحسن بن علي المغربي : هي صلاة الجماعة ، لان الوسط العدل ، فلما كانت صلاة الجماعة افضلها خصت بالذكر .

ثم قال : وهذا وجه مليح ، غير انه لم يذهب اليه غيره . (٢) وقال في فصل اخر : وذكر انها الجمعة يوم الجمعة ، والظهر سائر الايام ، ثم ذكر اقوالا كثيرة سبقت ، ووجودها عديدة سبق بعضها ، وسيأتي بعض آخر (٣) .

وفي القاموس : والصلاة الوسطى المذكورة في التنزيل : الصبح ، او الظهر ، او العصر ، او

المغرب ، او العشاء ، او الوتر . او الفطر ، او الأضحى ، او الضحى ، او الجماعة ، او جميع الصلوات المفروضات ، او الصبح والظهر (٤) معا ، او صلاة غير معينة ، او العشاء والصبح معا ، او صلاة الخوف ، او الجمعة في يومها وفي سائر الايام الظهر ، او المتوسطة بين الطول والقصر ، او كل من الخمس ، لان قبلها صلاتين وبعدها صلاتين .

ابن سيدة : من قال انها غير صلاة الجمعة فقد اخطأ ، الا ان يقوله برواية مستندة الى النبي . صلى الله عليه وآله . قيل : لا يرد عليه « شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر » لانه ليس المراد بها في الحديث المذكور في التنزيل (٥) الى

---

(١) مجمع البيان : ١ / ٣٤٣ .

(٢) فقه القرآن للراوندي : ١ / ١١٢ . ١١٣ .

(٣) فقه القرآن : ١ / ١٤٠ .

(٤) في المصدر : والعصر .

(٥) القاموس المحيط : ٢ / ٣٩١ . ٣٩٢ .

هنا كلامه .

وجميع ما احتمله من الصلوات محتمل ، الا صلاة الضحى ، فانها بدعة عندنا . فهذا ما وصل الينا من الاقوال في الصلاة الوسطى .

ثم العجب العجيب والامر الغريب من الفاضلين المشهورين الشهيد الثاني والمحقق الكاشاني انهما راما ان يستدلا بالآية على وجوب الجمعة وعينيّتها في هذا الزمان ، ثم استندا في ذلك الى قول المحققين .

قال المحقق الكاشاني في رسالته : وقال عز وجل « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى » خص الصلاة الوسطى بالامر بالمحافظة عليها من بين الصلوات بعد الامر بالمحافظة على الجميع ، والذي عليه المحققون انها صلاة الظهر في غير يوم الجمعة ، وفيها هي الجمعة . وقال جماعة من العلماء : انها هي الجمعة لا غير ، كذا قال زين المحققين طاب ثراه في بعض فوائده (١) انتهى .

فياليت شعري من هم اولئك المحققين الذين تمسكا بقولهم على اثبات مرامهما ؟ فلعلهما تشبثا فيه

بما نقله الصدوق بلفظ القيل وقد مر ، او بما احتمله صاحب القاموس واخذ منه غيره ، او بما قاله ابن سيدة .

ولابأس به ، اذ الغريق يتشبث بكل حشيش ، ولكنه مناف لقوله في المقدمة : والادلة الشرعية منحصرة عندنا في هذه الثلاثة ، فكيف يستدل بقول المحققين ؟ مع عدم تحققه ومخالفته لكثير من الاخبار .

فانظروا يا اولي الابصار الى اولئك الاخبار ، كيف يموهون الاحكام على الابرار ؟ ولا يبالون بما فيه من الاخطار والانذار ، ومن مؤاخذة الملك الجبار المدعو بالقهار ، فنعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا (٢) .

---

(١) الشهاب الثاقب : ١٦ .

(٢) ليس الغرض من هذا الكلام الطعن على اولئك الاعلام ، كلا وحاشا ثم كلا وحاشا ، بل الغرض ان لا يعتمد على استدلالهم بهذه الايات ، ولا سيما هذه الآية منها بمخالفته كثيرا من الاقوال وجلها ، ومصادمته غفيرا من الاخيار بل كلها كما عرفت « منه » .

اعلم ان المستدل قدس سره نقل في اخر رسالته هذه عن زين المحققين انه قال في اخر رسالته : قد وردت الاخبار بأن الصلاة اليومية من بين العبادات بعد الايمان افضل مطلقا ، وورد ايضا افضل الصلوات اليومية الصلاة الوسطى التي خصها الله تعالى من بينها بالامر بالمحافظة عليها ، واصح الاقوال ان الصلاة الوسطى هي صلاة الظهر ، وصلاة الظهر يوم الجمعة هي صلاة الجمعة على ما تحقق ، او هي افضل فرديها على ما تقرر (١) .

اقول : هذا القول منه مناف لما نقله عنه المستدل في هذا الموضع ، لتصريحه بأن اصح الاقوال انها صلاة الظهر ، الا انه لما زعم ان صلاة الظهر يوم الجمعة هي صلاة الجمعة ، يلزم منه بناءً عما زعمه هذا كون الصلاة الوسطى يوم الجمعة صلاة الجمعة .

لكنه لا يعطي ان الصلاة الوسطى عند المحققين هي صلاة الجمعة ، او انها صلاة الظهر في غير يوم الجمعة وفيها هي الجمعة ، وذلك ظاهر .

ثم مما لا يقضي منه العجب ان المستدل كيف نقل عنه هذا في اول رسالته وذلك في آخرها من غير تعرض للجمع بينهما ؟ وانى له ذلك ، مع ما بينهما من التهافت والتساقط .

أسأل الله تبارك وتعالى العصمة من الزلل والسداد في الرأي ، والحمد لله رب العالمين .

* الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة لا نوم . . . [الآية : ٢٥٥]

السنة كالعدة مثال واوي ، وهي ما يتقدم النوم من الفتور الذي يقال له

---

(١) الشهاب الثاقب : ١٠٠ . ١٠١ .

النعاس ايضا . والنوم : حال يعرض للحيوان عند استرخاء اعصاب الدماغ في رطوبات الابخرة المتصاعدة ، بحيث يقف الحواس الظاهرة عن الاحساس رأساً .

فان قلت : ذكر النوم كان مغنياً عن ذكر السنة ، للزومها له وتقدمها عليه طبعاً .

قلت : ليس كذلك ؛ لانه يمكن تحقق النوم بدون السنة ، فتقدمها عليه غير لازم .

ولو سلم اللزوم ، فيمكن ان يكون ذكرها للتصريح بالاستقصاء والاحاطة ، ثم القول بفوات المبالغة التي تناسب المقام ، لا يليق بكلام الملك العلام .

فالحق ان يقال : ان في تقديمها عليه مبالغة لطيفة مع رعاية ترتيب الوجود ؛ لان مفهوم قوله « لا تأخذه سنة ولا نوم » انه لا يغلبه السنة التي هي سبب غفلة الشخص في الجملة ، ولا النوم الذي هو سبب الغفلة بالكلية .

وحاصله : انه لا يمنعه مانع جزئي ولا مانع كلي عن حسن قيامه بحفظ المخلوقات .

ولا يخفى ان هذا الاداء مشتمل على المبالغة ، وهذه الجملة تأكيد للقيوم ، فان من كان دائم القيام بحفظ شيء ، لزمه عدم عروض السنة والنوم له اصلاً ، والا اصل لزوم الشيء وذكر لازم الشيء بعده تأكيده له ، ولما كانت هذه الجملة تأكيداً لما اشتملت عليه الاولى ترك العاطف بينهما .

سورة آل عمران

فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين . [الآية : ٦١]

قال القوشجي : ليس المراد به نفسه . صلى الله عليه وآله . لان احدا لا يدعو نفسه ، كما لا يأمر نفسه ، وليس المراد به فاطمة والحسن والحسين . عليهم السلام . لانهم ادرجوا في قوله تعالى : « وابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم » .

فلا بد وان يكون شخصا اخر غير نفسه . صلى الله عليه وآله . وغير فاطمة والحسن والحسين . عليهم السلام . وليس غير علي بالاجماع ، فتعين ان يكون عليا . عليه السلام .

وبيان دلالته على كونه افضل الصحابة ان دعاءه للمباهلة يدل على انه في غاية الشفقة والمحبة لعلي . عليه السلام . والا لقال المنافقون : ان الرسول لم يدع للمباهلة من يحبه ويحذر عليه من العذاب .

(١٠/٥)

اقول : هذه حق . واما استدلال اصحابنا بآية المباهلة على كونه . عليه السلام . مساويا للنبي . صلى الله عليه وآله . في الفضيلة والشرافة ، وهو اشرف من سائر الانبياء ، فيكون مساويه كذلك ، فباطل يرد عليه مفاسد وهم عنها غافلون .

قال آية الله العلامة والنحرير الفهامة روح الله روحه في جواب من سأله

---

(٧٤)

عما ورد ان آدم ونوحاً ضجيعان لمولانا امير المؤمنين . عليهم السلام . هل صح ذلك ؟

هذا شيء مشهور ، والاعتماد فيه على النقل ، ومع ذلك فأي فضيلة لامير المؤمنين علي . عليه السلام . فيه ؟ فان الشيعة استدلوا بالقرآن على ان امير المؤمنين . عليه السلام . مساويا للنبي . صلى الله عليه وآله . لقوله تعالى : « وانفسنا » والمراد به علي . عليه السلام . والاتحاد محال ، فبقي ان يكون المراد المساواة ، ولا شك ان محمداً . صلى الله عليه وآله . اشرف من غيره من الانبياء ، فيكون مساويه كذلك (١) .

ولا يذهب عليك ان ما ذكره من مساواتهما صلوات الله عليهما وآلهما وقت نزول الآية ، كما هو مقتضى دليله هذا ، ينافيه ما روي عنه . عليه السلام . ان النبي . صلى الله عليه وآله . علمه عند وفاته الف باب فتح من كل باب الف الف باب .

اذ المتعلم لا يكون مساويا لمعلمه ، ضرورة تقدمه عليه تقدما بالشرف ، مع ما في تساويهما وقتئذ من ترجيح احد المتساويين على الاخر على تقدير كون احدهما رعية والاخر اماما له .

والا يلزم : اما القول بالتشريك ، او عدم كونه حجة عليه ، وهو ينافي عموم رسالته ، وكونه رحمة العالمين ، ومبعوثا على الاسود والابيض .

ثم ان هنا اشكالا اخر اقوى منه ، وهو انه . عليه السلام . بعد النبي . صلى الله عليه وآله . بضعا وثلاثين سنة ، ولا شك انه ازداد في هذه المدة الطويلة علما وفضلا وكمالاً جسمانياً وروحانياً استحق به الثواب ، ولا لكان مغبونا في هذه المدة ، بل كل من ساوى يوماه فهو مغبون .

(١١/٥)

وكيف لم يزدد بعده . صلى الله عليه وآله . فضلاً وثواباً ، وغزواته . عليه

---

(١) اجوبة المسائل المهنائية : ٥٠ . ٥١ .

السلام . مع القاسطين والناكثين والمارقين مشهورة ، ومجاهداته في الله وعباداته في الكتب مسطورة . فعلى ما ذكره قدس سره مقلدا فيه السلف من غير ان يمعن النظر فيه وفيما فيه ، يلزم ان يكون علي . عليه السلام . افضل من النبي . صلى الله عليه وآله . بمراتب ، اذ لا يعنى بالافضل هنا الا اكثر ثوابا ، وهو . عليه السلام . على هذا الفرض اكثر منه . صلى الله عليه وآله . فضلا وثوابا بمراتب شتى ، وهذا مع انه ينافيه كونه . صلى الله عليه وآله . اشرف الموجودات وافضل الكائنات .

وقوله : ما خلق الله خلقا افضل مني ولا اكرم على الله مني .

وقوله : انا سيد ولد ادم (١) .

وفي رواية اخرى : انا سيد من خلق الله .

وقوله في حديث اخر اورده الشيخ ابن فهد في العدة : علي سيد العرب ، فقيل : يا رسول الله الست سيد العرب ؟ فقال : انا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب . فقيل : وما السيد ؟ قال : من افترضت طاعته كما افترضت طاعتي (٢) .

وقولهم . عليهم السلام . في الادعية المأثورة : وصلى الله على خير خلقه سيدنا محمد وآله .

وخاصة قول علي . عليه السلام . في خطبة يوم الغدير المذكورة في الكفعمي (٣) ، قرن الاعتراف بنبوته بالاعتراف بلا هوتيته ، واختصه من تكريمه بما لم يلحقه فيه احد من بريته ، فهو اهل ذلك بخاصته وخلته .

وفي خطبة اخرى له . عليه السلام : الا وان الوسيلة اعلى درجة الجنة ،

---

(١) كنز العمال : ١١ / ٤٣٤ ، وعوالي اللئالي : ٤ / ١٢١ .

(٢) عدة الداعي : ٣٠٥ .

(٣) المصباح للكفعمي : ٦٩٥ .

(١٢/٥)

وذروة ذوائب الزلفة ، ونهاية غاية الامنية ، لها الف مرقاة ، ما بين المرقاة الى المرقاة حضر الفرس الجواد مائة عام ، ورسول الله . صلى الله عليه وآله . قاعد عليها مرتد بريطتين : ريطة من رحمة الله ، وريطة من نور الله ، عليه تاج النبوة واكليل الرسالة ، قد اشرف بنوره المواقف ، وانا يؤمئذ على الدرجة الرفيعة ، وهي دون درجته وعليّ ريطتان : ريطة من ارجوان النور ، وريطة من كافور (١) .

قال في مجمع البحرين : وفي الحديث في وصف علي . عليه السلام . في الجنة « وعليه ريطتان : ريطة من ارجوان النور ، وريطة من كافور » ومثله في وصف رسول الله . صلى الله عليه وآله . « مرتد بريطتين » الريطة بالفتح : كل ملاءة اذا كانت قطعة واحدة وليست لفقتين اي قطعتين ، والجمع رياط مثل كلبة وكلاب ، وريط مثل تمرة وتمر (٢) .

وفي نهاية ابن الاثير : وقيل الريطة كل ثوب رقيق لين (٣) .

مما لم يقل به احد المسلمين ، وكيف يقول به مسلم ؟ ودرجته باعترافه دون درجته ، والمساواة في الفضيلة ملزوم المساواة في الدرجة ؛ بل هو هو .

وكيف يساويه احد في الدرجة والفضيلة ؟ وهو اول من تشرف بعناية الله وصار مظهر جلاله وجماله ، وقد تقرر في مقره ان اول خلق الله اشد مناسبة بذاته تعالى ، اذ لا واسطة بينه وبن خالقه .

وايضا فان اراد به انه مساو له مع وصفه بالنبوة ، يلزم منه ان يكون نبيا مثله ، وان اراد به انه مع قطع النظر عن ذلك مساو له .

فعلى تقدير التسليم لا يلزم منه ما ادعاه ، اذ لا يلزم منه كونه . صلى الله عليه وآله . مع وصف النبوة وسائر الفضائل افضل من اولي العزم ، كونه . عليه

---

(١) روضة الكافي : ٨ / ٢٤ . ٢٥ .

(٢) مجمع البحرين : ٤ / ٢٤٩ . ٢٥٠ .

(٣) نهاية ابن الاثير : ٢ / ٢٨٩ .

السلام . بدون هذا الوصف افضل منهم ، كيف ؟ ونبوته اشرف النبوات ، ورسالته اكمل الرسالات ، وما بلغ بذلك احد مبلغه .

(١٣/٥)

الا يرى الى ما رواه ثقة الاسلام في اصول الكافي ، عن علي بن ابراهيم ، عن ابيه ، عن ابن عمير ، عن ابن اذينه ، عن زرارة ، عن ابي جعفر . عليه السلام . قال : نزل جبرئيل . عليه السلام . على رسول الله . صلى الله عليه وآله . برمانتين من الجنة ، فأعطاه اياهما ، فأكل واحدة وكسر الاخرى نصفين ، فأعطى عليا . عليه السلام . نصفها فأكلها ، فقال : يا علي اما الرمانة الاولى التي اكلتها فالنبوة ، وليس لك فيها شيء ، واما الاخرى فهو العلم ، فأنت شريكي فيه (١) .
فهذا حديث صحيح صريح في ان له . عليه السلام . ربع ماله . صلى الله عليه وآله . فانه اكل من الرمانتين ثلاثة ارباعهما ، واكل علي . عليه السلام . ربعا منهما .
ولعله . عليه السلام . لذلك قال وقد سأله حبر من الاحبار بعد كلام افاده في التوحيد ، فنبي انت ؟ : ويلك انا عبد من عبيد محمد . كذا في التوحيد للصدوق رحمه الله (٢) .
ثم ان شئت ان تعرف شتان ما بينهما ، فانظر الى ما ورد في طريق العامة عن ابي هريرة ، وتلقاه الخاصة بالقبول ، لورود مثله في طريقهم ، قال رسول الله . صلى الله عليه وآله . لعلي بن ابي طالب . عليه السلام . يوم فتح مكة : اما ترى هذا الصنم بأعلى الكعبة ؟ فقال : بلى يا رسول الله ، قال : فأحملك فتناوله ، قال : بل انا احملك يا رسول الله .
فقال : لو ان ربيعة ومضر جهدوا ان يحملوا مني بضعة وانا حي ما قدروا ،

---

(١) اصول الكافي : ١ / ٢٦٣ ح ١ .
(٢) التوحيد : ١٧٤ ح ٣ .

---

(٧٨)

ولكن قف يا علي ، فضرب رسول الله . صلى الله عليه وآله . يديه على ساق علي . عليه السلام . فوق القرقونس (١) ، ثم اقتلعه من الارض ، فرفعه حتى تبين بياض ابطيه الحديث (٢) .

(١٤/٥)

هذا ثم من البين ان ليس المراد بقوله « وانفسكم » هم المتساوون في الدرجة والفضيلة ؛ اذ لا فضل لهم عند الله جناح بعوضة ، بل المراد به الذين كانوا من خاصة هؤلاء المخاطبين وبطانتهم ووليجتهم ، ومن اعزة اهلهم واحبتهم عليهم ، الذين كانوا يخافون عليهم ، ويحذرون من نزول العذاب بهم .

لان ذلك هو مناط المباهلة ومحط فائدتها ، حيث يدل على وثوق المباهل ويقينه بحقيته ، وبطلان طرف المقابل ، فكذا قوله « وانفسنا » من غير فصل .

وكثيراً ما يعبر عن القريب النسبي ، بل عن المشتركين في ملة بالنفس ، كقوله تعالى : « فاقتلوا انفسكم» (٣) اي : ليقتل بعضكم بعضا ، امر من لم يعبد العجل من قوم موسى . عليه السلام . ان يقتل من عبده .

وقوله تعالى : « ولا تقتلوا انفسكم » (٤) اي : لا يقتل بعضكم بعضا ، لانكم اهل دين واحد ، فأنتم كنفس واحدة ، صرح بذلك اهل التفسير . وعدوا منه قوله تعالى : « فسلموا على انفسكم » (٥) .

وقد تطلق النفس على الجنس والنوع ، كقوله تعالى : « لقد جاءكم رسول من انفسكم » (٦) وقوله : « لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولاً من

---

(١) في المناقب : القرنوس .

(٢) المناقب لابن المغازلي : ٢٠٢ .

(٣) البقرة : ٥٤ .

(٤) النساء : ٢٩ .

(٥) النور : ٦١ .

(٦) التوبة : ١٢٨ .

انفسهم » (١) اي : من جنسهم ، كما في مجمع البحرين (٢) .

وامثال ذلك في كتاب الله العزيز غير عزيز ، فيكون مجازاً من الكلام اريد به المبالغة ، كما في حديث السفر : وابدأ بعلف دابتك فانها نفسك (٣) . اي كنفسك ، فكما تحتفظ على نفسك فاحتفظ عليها .

ومثله « فاطمة بضعة مني ، وهي قلبي ، وهي روحي التي بين جنبي » (٤) وقوله « عترتي من لحمي ودمي » وامثال ذلك ، فكما لا يلزم في هذه الصورة المساواة في الدرجة والفضيلة ، فكذا هنا من غير فرق .

فيكون المراد بقوله « وانفسنا » من هو بمنزلتها في وجوب رعايتها والمحافظة عليها ، كما المراد بقوله « وانفسكم » كذلك . وهذا امر ظاهر بقرينة المقام ، ولا يشتبه على من له ادنى دربة بالكلام .

ويظهر منه خصوصيته . عليه السلام . برسول الله . صلى الله عليه وآله . وكونه محبوبا له ، فيدل على فضيلته وفضيلة الذين اتى بهم الرسول الى المباهلة ، وعلى انهم افضل من سائر الصحابة ، واحب الى رسول الله . صلى الله عليه وآله . منهم . كما اشار اليه صاحب التجريد (٥) ، وإلا لقال المنافقون : ان الرسول لم يدع للمباهلة من يحبه ويحذر عليه من العذاب .

واما انه يدل على انه مساو له في المرتبة والفضيلة والقرب من الله ، فكلا وحاشا ؛ اذ لا دلالة له عليه بواحد من الدلالات .

ثم اني الى الان لم ار في كلام احد من علماء الشيعة قديماً وحديثاً ممن له

---

(١) آل عمران : ١٦٤ .

(٢) مجمع البحرين : ٤ / ١١٣ .

(٣) وسائل الشيعة : ٨ / ٣٥١ و ٣٢٤ .

(٤) راجع الروايات الواردة عن طرقهم الى احقاق الحق : ١٠ / ١٨٧ . ٢٢٨ و ١٩ / ٧٥ . ٩٣ .

(٥) التجريد : ٢٦٧ .

ادنى فطانة ، واخذ فطانته بيده ، ولم يقلد فيه احدا ، انه استدل بهذه الآية على المساواة بينهما ، الا في كلام الفاضلين آية الله العلامة وابنه فخر المحققين وزين المدققين .

حيث قال في جواب من سأله عن مولانا امير المؤمنين . عليه السلام . هل هو افضل من سائر الانبياء ما خلا نبينا صلوات الله عليهم من غير تفصيل ، ام هو افضل من بعضهم دون بعض ؟ وما الحجة في تفضيله عليهم ؟ وهل يكون حكم باقي الائمة . عليهم السلام . من ولده هذا الحكم ام لا ؟

هذا امر مختص به صلوات الله عليه ، وامير المؤمنين علي بن ابي طالب . عليه السلام . افضل من سائر الانبياء غير النبي . صلى الله عليه وآله . ودليله قوله تعالى : « وانفسنا وانفسكم » .

اجمع المفسرون على ان المراد بالنفس هنا علي . عليه السلام . والاتحاد محال ، فلم يبق الا المساواة ، ومساوي الافضل افضل قطعاً .

وظاهر انه في ذلك سلك مسلك ابيه من دون تأمل ، ولا تدبر لحسن ظنه به .

نعم نقل عن شيخنا الشهيد قدس سره انه قال : اولوا العزم من الرسل خمسة . وقيل : ستة . والحق الاول ، وهم افضل من سائر النبيين والمرسلين ، وهم : نوح ، وابراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد صلوات الله عليهم .

ولاشك ان محمدا . صلى الله عليه وآله . افضل من سائرهم بلا خلاف . وأما علي بن ابي طالب . عليه السلام . فلا شك انه افضل من سائر الانبياء والمرسلين ما عدا الخمسة .

وقال بعض العلماء بتفضيله عليهم ما عدا محمد . صلى الله عليه وآله . لانه مساو له ، لقوله « وانفسنا وانفسكم » وكان محمد . صلى الله عليه وآله . افضل منهم ، ومساوي الافضل افضل . الى هنا كلامه طاب منامه .

ولا يخفى ان استثناءه الخمسة ، ثم نسبته القول بتفضيله عليهم الى بعض

العلماء . وظاهر انه اراد به الفاضلين . صريح في انه لا يقول بذلك ، ولا يرضى بهذا الدليل ، وانه ليس مما اتفقت به الشيعة ، كما هو ظاهر كلام العلامة قدس سره .

وبالجملة لا يسوغ القول بأن علياً . عليه السلام . او واحدا من الائمة سلام الله عليهم صار مثله ومساويا له . صلى الله عليه وآله . في وقت بقي ذلك المساوي ولو في آن بعده ، فان بقاءه فيه مصدقا بالله وبصفاته العليا وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر الى غير ذلك ، ونفسه ونومه فيه تسبيح وعبادة يستحق به الثواب ؛ لان نفس العالم تسبيح ونومه عبادة ، ويلزم منه ما تقدم .

واللازم باطل ، فالملزوم مثله ، وبدون المساواة في الفضيلة لا يتم التقريب ، وهو كونه . عليه السلام . افضل من سائر الانبياء والمرسلين ، لكونه مساويا للافضل منهم ، وهو خاتم النبيين صلوات الله عليهم اجمعين .

وأما ما ورد في بعض الاخبار من قوله . صلى الله عليه وآله . « انهم مثلي » فالمراد به انهم مثله في العصمة ، وفرض الطاعة ، والدلالة الى الله ، والهداية اليه ، وما شاكل ذلك ، لا انهم مثله في الدرجة والفضيلة ، ليلزم منه المساواة ، فيلزم منه ما سبق .

والمشبه لا يلزم ان يكون مثل المشبه به في كل الوجوه ، وكيف يمكن القول بمساواتهم كلهم له . صلى الله عليه وآله ؟ وهم مختلفون في المرتبة والفضيلة .

فأما الحسنان ، فأبوهما خير منهما ، وهما من التسعة ، والحجة من الثمانية صلوات الله عليهم .

ثم لا حاجة في تفضيله . عليه السلام . على الانبياء الى القول بالمساواة ، فان له طرقا عديدة اوضحناها في رسالة لنا مفردة مسماة بذريعة النجاة (١)

---

(١) وهذه الرسالة مطبوعة في المجموعة الاولى من الرسائل الاعتقادية للمؤلف برقم (٢) .

معمولة لبيان افضلية ائمتنا . عليهم السلام . من سائر الانبياء غير النبي . صلى الله عليه وآله . قد اشبعنا الكلام فيها بما لا مزيد عليه ، فاليطلب من هناك ، وبالله التوفيق .

* واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا . . . [الآية : ١٠٣]

الحبل ما يرتبط به ، ثم استعير لكل ما يتوصل به الى الشيء .

قال الراغب : حبله هو الذي يكون معه التوصل به اليه من القرآن والنبي والعقل وغير ذلك ، مما اذا اعتصمت به اداك الى جواره (١) .

ويقال : للعهد والذمة حبل ايضا لانه يعقد بهما الامان ، كما يعقد بالحبل ، ومنه « ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس » (٢) اي : ذمة الله وذمة المسلمين .

وفسر حبل الله في بعض الروايات بولايته .

وروى علي بن ابراهيم بسنده عن سيدنا ابي عبد الله الصادق . عليه السلام . قال : من وفا بذمتنا فقد وفا بعهد الله وذمته ، ومن حقر ذمتنا فقد حقر ذمة الله عز وجل وعهده .

فهذا معنى التمسك بحبلهم .

---

(١) مفردات الراغب : ١٠٧ .

(٢) آل عمران : ١١٢ .

---

*يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون * وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون . [الايتان : ١٠٦ . ١٠٧]

للمفسرين في تفسير قوله تعالى : « يوم تبيض وجوه وتسود وجوه » قولان : أحدهما : أن المراد بابيضاض الوجوه إشراقها وأسفارها بنيل البغية والظفر بالأمنية ، والاستبشار بما يصير اليه من

الثواب ، كقوله تعالى : « وجوه يومئذ مسفرة * ضاحكة مستبشرة » (١) .
وباسودادها ظهور اثر الحزن والكأبة عليها ، لما تصير اليه من العقاب ، كقوله تعالى : « وجوه يؤمئذ باسرة » (٢) وقوله تعالى : « وجوه يؤمئذ عليها غبرة * ترهقها قترة » (٣) .
وثانيها : ان البياض والسواد محمولان على ظاهرهما ، وهما النور والظلمة ، اذ الاصل في الاطلاق الحقيقة .

فمن كان من اهل نور الحق وسم ببياض اللون واسفاره واشراقه ، ابيضت صحيفته ، وسعى النور بين يديه وبيمينه .

---

(١) عبس : ٣٨ . ٣٩ .
(٢) القيامة : ٢٤ .
(٣) عبس : ٤٠ . ٤١ .

ومن كان من اهل ظلمة الباطل ، وسم بسواد اللون وكمده ، اسودت صحيفته ، واحاطت الظلمة من كل جانب .
قالوا : والحكمة في ذلك أن تعرف اهل الموقف كل صنف ، فيعظموهم ويصغروهم بحسب ذلك ، ويحصل لهم بسببه مزيد بهجة وسرور ، او ويل وثبور .
وايضا اذا عرف المكلف في الدنيا انه تحصل له في الاخرة احدى الحالتين ، ازدادت نفسه رغبة في الطاعات وحرفا عن السيئات .
والتحقيق في ذلك : ان الهيئات والاخلاق الحميدة انوار ، والملكات والعادات الذميمة ظلمات ، وكل منها لا يظهر اثاره الا بعد المفارقة الى الاخرة ، فابيضاض الوجوه عبارة عن آثار تلك الانوار ، واسودادها عبارة عن آثار تلك الظلمات ، اعاذنا الله منها .
ولنا في ذلك رسالة مفردة ، قد فصلنا القول فيه ، فليطلب من هناك .
*والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون . [الآية : ١٣٥]
الاصرار من الصر ، وهو الشد والربط ، ومنه الصرة ، ثم اطلق على الاقامة على الذنب من غير استغفار ، كأن المذنب ارتبط بالاقامة .

والمشهور ان الكبيرة نفس الاصرار على الصغيرة المصر عليها ، تصير بالاصرار كبيرة ، فمعنى لا صغيرة مع الاصرار انه لا اثر لها في ترتب العقاب ، بل العقاب معه يترتب على نفس الاصرار الذي هو من الكبائر ، فكأن الصغيرة

في جنبه مضمحلة .

وقد قيل : مرجعه العرف وبلوغه مبلغا ينفي الثقة ، وظاهر ان العرف يختلف باختلاف الصغائر ، فالصغيرة التي لا يحترز عنها غالبا ، اصرارها يتحقق بأكثر مما يتحقق به الاصرار على ما يرتكب نادرا .

وقيل : المراد به العزم على فعلها بعد الفراغ منها ، وفي معناه المداومة على نوع منها بلا توبة ، فالاصرار اما فعلي ، كالمداومة علي نوع او انواع من الصغائر . او حكمي ، وهو العزم على فعلها ثانيا بعد وقوعه وان لم يفعل . كذا في قواعد (١) شيخنا الشهيد رحمه الله .

وقال شيخنا البهائي قدس سره في الاربعين : ولا يخفى ان تخصيصه الاصرار الحكمي بالعزم على تلك الصغيرة بعد الفراغ منها يعطي انه لو كان عازما على صغيرة اخرى بعد الفراغ مما هو فيه لا يكون مصرا ايضا .

وتقييده ببعد الفراغ منها يقتضي بظاهره ان من كان عازما مدة سنة على لبس الحرير مثلا ، لكنه لم يلبسه اصلا لعدم تمكنه ، لا يكون في تلك المدة مصرا ، وهو محل نظر (٢) انتهى .

وأما من فعل الصغيرة ولم يخطر بباله العزم على فعلها بعدها ولا التوبة منها ، فهو الذي لا يقدح في العدالة ، ويكفر بالاعمال الصالحة ، كما ورد في الخبر قال الله تعالى : « اقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل ان الحسنات يذهبن السيئآت » (٣) .

وقال بعض العامة : الاصرار هو ادامة الفعل ، والعزم على ادامته يصح معها اطلاق وصف العزم عليه .

---

(١) القواعد والفوائد : ١ / ٢٢٧ .

(٢) الاربعون حديثاً : ١٩٠ ح ٢٩ .

(٣) هود : ١١٤ .

وقال بعضهم : حد الاصرار ان تتكرر الصغيرة ، بحيث يشعر بقلة مبالاته بذنبه كاشعار الكبيرة ، وكذا اذا اجتمع صغائر مختلفة الانواع بحيث يشعر وقوعها بما يشعر به اصغر الكبائر .

وروى ثقة الاسلام في الكافي بسند ضعيف عن ابي جعفر . عليه السلام . في قوله تعالى : « ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون » قال : الاصرار ان يذنب الذنب فلا يستغفر الله ولا يحدث نفسه بتوبة فذلك الاصرار (١) .

وقيل : هو يدل على ان يتحقق الذنب مع عدم الاستغفار والتوبة ، سواء اذنب ذنبا اخر من نوع ذلك الذنب ، او من غير نوعه ، او عزم على ذنب اخر ام لا .

أما تحققه في غير الاخير ، فظاهر . وأما الاخير ، فلان التوبة واجبة في كل آن ، فتركها ذنب مضاف الى الذنب الاول ، فتحقق الاصرار .

وعن ابي بصير قال : سمعت ابا عبد الله . عليه السلام . يقول : لا والله لا يقبل الله شيئا من طاعته على الاصرار على شيء من معاصيه (٢) .

---

(١) أصول الكافي : ٢ / ٢٨٨ ح ٢ .

(٢) أصول الكافي : ٢ / ٢٨٨ ح ٣ .

(سورة النساء)

*والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم كتاب الله عليكم واحل لكم ما وراء ذلكم ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فآتوهن اجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ان الله كان عليماً حكيماً [الآية : ٢٤]

قال البيضاوي بعد كريمة « فما استمتعتم به منهن » الآية : انها نزلت في المتعة التي كانت ثلاثة ايام حين فتحت مكة ثم نسخت ، كما روي انه . صلى الله عليه وآله . اباحها ، ثم اصبح يقول : ايها الناس اني كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء ، الا ان الله تعالى حرم ذلك الى يوم القيامة (١) .

وقال الزمخشري في الكشاف : كان الرجل ينكح المرأة وقتاً معلوما ليلة او ليلتين او اسبوعا بثوب او غير ذلك ، ويقضي منها وطره ثم يسرحها ، ثم نقل الرواية المذكورة (٢) .

اقول : هذه الرواية والمشهورة بين الفريقين عن ابن الخطاب ، انه قال : متعتان

---

(١) انوار التنزيل : ١ / ٣٦ .
(٢) الكشاف : ١ / ٥١٩ .

كانتا على عهد رسول الله حلالا وانا انهي عنهما واعاقب عليهما (١) .
متناقضتان ؛ اذ الاولى صريحة في عدم بقاء المتعة الى زمان عمر ، بل تدل على نسخها في عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ حيث اصبح يخاطب الناس باسناد تحريمها اليه تعالى من وقته الى يوم القيامة .

والمشهورة عنه صريحة في بقائها وشهرتها الى زمنه ، حيث اسند تحريمها والنهي عنها والمعاقبة عليها الى نفسه بضرب من الرأي ، فلولا بقاؤها وانتشارها بينهم في زمانه وفعلهم اياها في هذا الزمان لما كان لقوله « انا احرمهما » كما في رواية ، او « انا انهي عنهما واعاقب عليهما » كما في الرواية المذكورة معنى .
وكذلك ما في الكشاف عن عمر انه قال : لا اوتي برجل تزوج امرأة الى اجل الا رجمتها بالحجارة (٢) .
وما في تفسير الثعلبي عن عمران بن حصين : نزلت آية المتعة في كتاب الله تعالى ولم تنزل بعدها آية تنسخها ، فأنا امرنا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ فتمتعنا مع الرسول ، فمات ولم ينهنا عنها ، فقال رجل بعده برأيه ما شاء (٣) .
وما في صحيح الترمذي : ان رجلا من اهل الشام سأل ابن عمر عن متعة النساء ، فقال : هي حلال ، فقال : ان اباك قد نهى عنها ، فقال : أرأيت ان كان ابي نهى عنها وسنها رسول الله ، تترك السنة وتتبع قول ابي (٤) .
وما في نهاية ابن الاثير عن ابن عباس « ما كانت المتعة الا رحمة رحم الله بها امة محمد ، ولولا نهيه عنها ما احتاج الى الزنا الا شفاً » اي : قليلا من

---

(١) سنن البيهقي : ٢ / ٢٠٦ .
(٢) الكشاف : ١ / ٥١٩ .

(٣) صحيح مسلم : ٢ / ٩٠٠ ح ١٧٢ .
(٤) صحيح الترمذي : ١ / باب ما جاء في التمتع . وشرح معاني الاثار للطحاوي : ٣٧٣ .
---
(٨٩)
الناس (١) .
وما في رواية الحكم بن عتيبة ، وهو من اكابر اهل السنة ، قال قال علي بن ابي طالب . عليه السلام : لولا ان نهى عن المتعة ما زنا الا شقي (٢) .
وما في النقل المشهور ان يحيى بن اكثم قال لشيخ من البصرة : بما اقتديتم في تحليل المتعة ؟ فقال : بعمر بن الخطاب ؛ لانه قال : ان الله ورسوله احلا لكم متعتين وانا احرمهما عليكم واعاقب عليهما ، فقبلنا شهادته ، ولم نقبل تحريمه .

وما في صحيح مسلم بن حجاج عن ابن جريح قال عطا : قدم جابر بن عبد الله معتمرا ، فجئنا منزله ، فسأله القوم عن اشياء ، ثم ذكروا المتعة ، فقال : نعم استمتعنا على عهد رسول الله . صلى الله عليه وآله . وابي بكر وعمر . (٣) كلها صريحة في بقائها الى زمانه ، فالمنافاة ظاهرة .
وايضا فما فائدة هذا التزويج المؤجل بعد نسخة الى زمن الثاني ؟ حتى يستوجب فاعله الرجم بالحجارة او المعاقبة ، وهل فرق بعد نسخه بينه وبين الزنا ؟
فلولا ان غرضهم اباحة الفروج به ، والتسنن بسنة النبي . صلى الله عليه وآله . لما فعلوه الى وقت نهيه ، وخاصة كبار الصحابة الموثقين ، كعبد الله بن عباس ومن في طبقته ، حيث قالوا : انها لم تنسخ وكانوا يقرؤون فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى ، على ما في الكشاف .
وفي تفسير الثعلبي عن ابي نضرة ، قال : سألت ابن عباس عن المتعة ، فقال : أما قرأت سورة النساء ؟ فقلت : بلى ، فقال : أما تقرأ فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى ؟ قلت : لا اقرأ هكذا ، قال ابن عباس : والله هكذا انزله الله عز وجل

---

(١) نهاية ابن الاثير : ٢ / ٤٨٨ .
(٢) التفسير الكبير : ٩ / ٥٠ .
(٣) صحيح مسلم : ٢ / ١٠٢٣ ح ١٥ .
---
(٩٠)

ثلاث مرات (١) .

وأما رجوعه عن القول بالمتعة وتوبته عند موته بقوله : اللهم اني اتوب اليك من قولي بالمتعة وقولي بالصرف ، على ما نسب اليه الزمخشري والبيضاوي ، فمع كونه بعيدا عنه غاية البعد ، غير ثابت ولا دافع للمنافاة ، كما لا يخفى .

وكيف يصح منه الرجوع والتوبة عنه عند موته ؟ مع عدم ظهور دليل خلافه في حياته . وظهور دليله عند الموت ، وكونه مخفيا عليه وعلى غيره حتى يمنعوه عنه الى حين موته ، بعيد بل ممتنع عادة .

على ان اسناد الثاني التحريم الى نفسه في الرواية المشهورة عنه مناف ايضا لما في الرواية الاولى من اسناده اليه تعالى ، وهو ظاهر .

وبالجملة فبين تلك الروايات الواردة في طريقهم من التدافع والتناقض ما لا يخفى .

والعجب ان الزمخشري والبيضاوي مع نقلهما رواية الرجم بالحجارة ، لم يتفطنا بذلك ولم يتصديا لدفعه ، وانى لهما ذلك .

وقد ورد في طريقهما عن علي . عليه السلام . ان رسول الله . صلى عليه وآله . نهى عن متعة النساء يوم خيبر (٢) .

ورووا عن الربيع بن سبرة عن ابيه ، قال : شكونا العزبة في حجة الوداع ، فقال : استمتعوا من هذه النساء ، فتزوجت امرأة ، ثم غدوت على رسول الله وهو قائم بين الركن والباب ، وهو يقول : كنت قد اذنت لكم في الاستمتاع ، الا وان الله قد حرمهما الى يوم القيامة (٣) .

---

(١) كتاب السبعة من السلف : ٧٢ ، عن تفسير الثعلبي .

(٢) صحيح مسلم : ٢ / ١٠٢٧ .

(٣) صحيح مسلم : ٢ / ١٠٢٥ .

واللازم من الروايتين نسخها مرتين ؛ لان اباحتها في حجة الوداع اولا ناسخة لتحريمها يوم خيبر ويوم فتحت مكة ، ولا قائل به .

والآية كما قيل ظاهرة في المتعة ، والقراءة المنقولة صريحة فيها ، والاجماع واقع على انها سائغة ، وكذلك الروايات ، فالكتاب والسنة والامة متفقة على جوازها .

واختلفت الامة في بقائها ، والاصل والاستصحاب وعدم دليل واضح على النسخ وكونه خلاف الاصل ، مع الخلاف في جواز نسخ الكتاب بالسنة المتواترة ، وعدم الاجماع ، مع عدم العلم بالتواتر منا ، وعدم جوازه بالخبر الواحد ، على تقدير صحته وثبوته بالعقل والنقل من الاجماع وغيره ، دليل البقاء .

والحمد لله ما دامت الارض والسماء ، والصلاة على اشرف الانبياء محمد وآله المعصومين الامناء .

* ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئآتكم وندخلكم مدخلاً كريماً . [الآية : ٣١]

قد اختلفت اقوال الاكابر في تحقيق الكبائر : ففي الكافي عن الصادق . عليه السلام : هي التي اوجب الله تعالى عليها النار (١) .

وقال قوم : هي كل ذنب رتب عليها الشارع حداً ، او صرح فيه بالوعيد .

وقيل : هي كل معصية يلحق صاحبها الوعيد الشديد بنص من كتاب او سنة .

وقيل : هي كل جريرة يؤذن بقلة اكتراث صاحبها بالدين ، او كل ذنب علم

---

(١) أصول الكافي : ٢ / ٢٧٦ .

حرمته بدليل قاطع .

وقيل : هي السبع الموبقات : الشرك ، والسحر ، وقتل النفس المحترمة ، واكل الربا ومال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات المؤمنات .

وفيه : انها الى سبعمائة اقرب منها الى السبع .

وعن الرضا . عليه السلام : هي السبع المذكورة ، واليأس من روح الله ، والامن من مكر الله ، وعقوق الوالدين ، والزنا ، واليمين الغموس ، والغلول ، ومنع الزكاة ، وشهادة الزور ، وكتمان الشهادة ، وشرب الخمر ، وترك الصلاة او شيء مما فرضه الله ، ونقض العهد ، وقطيعة الرحم (١) .

وزاد بعضهم : اللواط ، والغيبة ، وترك احترام الكعبة ، والتعرب بعد الهجرة .

وزاد آخر : اكل الميتة والدم ، ولحم الخنزير ، وما اهل به لغير الله من غير ضرورة ، والسحت ، والقمار ، والبخس في الكيل والوزن ، ومعاونة الظالمين ، وحبس الحقوق من غير عسر ، والسعاية

، وتأخير الحج ، والاسراف ، والتبذير ، والخيانة ، والاشتغال بالملاهي ، والاصرار على الذنب ، والرشوة ، والمحاربة بقطع الطريق ، والقيادة والدياثة ، والنميمة ، والغصب ، والكذب ، وضرب المؤمن بغير حق ، وتأخير الصلاة عن وقتها (٢) .

وذهب جماعة من اصحابنا ، كالمفيد وابن البراج وابي الصلاح وابن ادريس الى ان الذنوب كلها كبائر ، لاشتراكها في مخالفة الامر ، واطلاق الصغير والكبير عليها اضافي ، فالقبلة بالنسبة الى الزنا صغيرة ، وكبيرة بالنظر الى النظر بشهوة .

فمعنى قولهم « العدل من يجتنب الكبائر ولا يصر على الصغائر » انه اذا ظهر له امران ، كف عن الاكبر ولم يصر على الاصغر ، فلا يلزمهم كون كل

---

(١) اصول الكافي : ٢ / ٢٨٥ ح ٢٤ .

(٢) راجع مدارك هذه الاقوال الى اصول الكافي : ٢ / ٢٧٦ . ٢٨٧ .

معصية مخرجة عن العدالة ، وفيه من الحرج والضيق مالا يخفى ؛ لان غير المعصوم لا ينفك عنه .

واجاب عنه ابن ادريس بأن الحرج ينفى بالتوبة .

ورد بأن الحكم بها لا يكفي فيه مطلق الاستغفار واظهار الندم ، بل لابد وان يعلم من حاله ذلك ، وذلك قد يؤدي الى زمان طويل يفوت معه الغرض من الشهادة ونحوها ، فيبقى الحرج .

وقال العلامة النيسابوري في تفسيره : الحق في هذه المسألة وعليه الاكثر بعد اثبات تقسيم الذنب الى الصغير والكبير انه تعالى لم يميز جملة الكبائر عن جملة الصغائر ، لما بين في قوله تعالى : « ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سئيآتكم » ان اجتناب الكبائر يوجب تكفير الصغائر . فلو عرف المكلف جميع الكبائر اجتنبها فقط ، واجترأ على الاقدام على الصغائر ، أما اذا عرف انه لا ذنب الا ويجوز كونه كبيرا صار هذا المعنى زاجرا له عن الذنوب كلها .

ونظير هذا في الشرع اخفاء ليلة القدر في شهر رمضان ، وساعة الاجابة في ساعات الجمعة ، ووقت الموت في جملة الاوقات . هذا ولا مانع ان يبين الشارع في بعض الذنوب انه كبيرة ، كما روي أنه . عليه السلام . قال : اجتنبوا السبع الموبقات الى غير ذلك (١) انتهى .

*ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعما

يعظكم به ان الله كان سميعاً بصيراً . [الآية : ٥٨]

---

(١) راجع تفسير النيسابوري : ٥ / ٣٣ . ٣٦ .

العدالة لغة : الاستواء والاستقامة ، ويطلق على ضد الظلم وعدم الاخلال بالواجب وترك فعل القبيح .

ومنه ما ورد : وبالعدل قامت السموات والارض . لان المراد بعدله تعالى انه لا يفعل القبيح الذي هو الاخلال بالواجب .

(١٠/٦)

وقيل : العدل التقسيط على سواء ، فتارة يراد به السواء باعتبار المقدار ، ومنه « ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء » (١) اي : في مقدار المحبة ، اشارة الى ما عليه جبلة الانسان من ان الانسان لا يقدر ان يسوي بينهن في المحبة ، وتارة باعتبار الحكمة والانتظام .

ومنه ما روي : بالعدل قامت السموات والارض . تنبيهاً على انه لو كان شيء مما قامتا به زائدا عما هو عليه ، او ناقصا عنه على غير ما اقتضته الحكمة ، لم يكن العالم منتظما ، وانتظامه بتقدير ذلك على ما يليق بقوامه وقيامه ، ومتى وصف الله سبحانه بالعدل ، فانما يراد ان افعاله واقعة على نهاية الحكمة البالغة والانتظام انتهى .

وقد يطلق على الفريضة ، ومنه ما ورد : من اكل حراما لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً . الصرف النافلة ، والعدل الفريضة . فدل على ان آكل الحرام لا نافلة له ولا فريضة ، الا ان يفرق بين القبول والاجزاء .

وقال صاحب الكشاف في قوله تعالى : « ولا يقبل منه شفاعة ولا يؤخذ منها عدل » (٢) اي فدية لانها معادلة للمفدي ، ثم قال : ومنه الحديث لا يقبل منه صرف ولا عدل . اي : توبة ولا فدية (٣) . وعلى هذا فالامر اشكل .

وفي القاموس : العدل ضد الجور ، وما قام في النفوس انه مستقيم

---

(١) النساء : ١٢٩ .

(٢) البقرة : ٤٨ .

(٣) الكشاف : ١ / ٢٧٩ .

---

(٩٥)

كالعدالة والعدولة ، وعدل الحكم تعديلاً اقامه ، وفلاناً زكاه ، والميزان سواه ، والفريضة ، والنافلة ، والسوية ، والاستقامة (١) .

وفي كتاب عدة الداعي لابن فهد في شرح اسماء الله الحسنى : العدل هو الذي لا يميل به الهوى فيجور في الحكم ، والعدل من الناس المرضي قوله وفعله وحكمه (٢) .

ونحوه في نهاية ابن الاثير ، الا انه زاد فقال : وهو في الاصل مصدر اسمي فوضع موضع العادل ، وهو ابلغ منه لانه جعل المسمى نفسه عدلاً (٣) .

(١١/٦)

ومنه ما ورد في الخبر : احب الناس الى الله واقربهم منه السلطان العادل ، وابغضهم اليه وابعدهم منه السلطان الجائر (٤) .

دلت المقابلة على ان العدل ضد الجور ، كما تقدم فيما نقلناه عن القاموس .

وقال الواسطي : العدل ان لا تحرك جميع الاعضاء الا لله تعالى .

وقال الحكماء : اصول الفضائل الخلقية ثلاثة : الشجاعة ، والعفة والحكمة ، ومجموعها العدل .

واعلم ان العدل اصل كل خير ، وعليه مدار كل امر ، وبه قامت السموات والارض ، وهو ميزان الله القسط في الدنيا والاخرة .

وهو : اما بالقوة فهيئة نفسانية يطلب بها المتوسط بين الافراط والتفريط ، واما بالفعل فالامر المتوسط بين طرفي الافراط والتفريط .

فالاعتبار الاول قيل : هو اصل الفضائل كلها ، من حيث ان صاحبه يكسب به جميع الفضائل .

---

(١) القاموس : ٣ / ١٣ .

(٢) عدة الداعي : ٣٠٦ .

(٣) نهاية ابن الاثير : ٣ / ١٩٠ .

(٤) كنز العمال : ٦ / ٩ .

---

(٩٦)

وبالاعتبار الثاني قيل : هو الفضائل كلها من حيث انه لا يخرج شيء من الفضائل عنه .

وبيانه : ان الفضائل كلها ملكات متوسطة بين طرفي افراط وتفريط ، فالمتوسط منها هو العدل ،

كالحكمة النظرية المتوسطة بين الجربزة والغباوة ، والعفة المتوسطة بين خمود الشهورة والفجور ، والشجاعة المتوسطة بين الجبن والتهور ، والسخاء بين التبذير والبخل ، والتواضع بين الكبر والذل ، والاقتصاد بين الاسراف والتقتير ، والانصاف بين الظلم والانظلام ، وقس على ذلك سائر الاخلاق الفاضلة .

فالاوساط بين هذه الاطراف المتضادة هي الفضائل ، ولكل منها طرفا تفريط وافراط هما مذمومان ، والخروج الى احدهما هو الجور الذي هو ضد العدل ، والاطراف المتضادة هي الرذائل ، ومن هنا قيل : خير الامور اوسطها .

(١٢/٦)

ثم هذا الحكم في العدل جار في باب العقائد ايضا ، كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والشرك ، والتعويل على الامر بين الجبر والتفويض ، وفي باب الاعمال كأداء الواجبات والسنن المتوسط بين البطالة والترهب ، وفي باب الاقوال كالبلاغة المتوسطة بين العي والهذر .

والذين يجب على الانسان استعمال العدل معهم خمسة :

الاول : رب العزة تعالى وتقدس ، وذلك بمعرفة توحيده واحكامه والقيام بها .

الثاني : قوى النفس ، وذلك بأن يجعل هواه مستسلماً لعقله ، فقد قيل : اعدل الناس من انصف عقله من هواه .

الثالث : اسلافه الماضون في انفاذ قضاياهم والدعاء لهم .

الرابع : معاملوه واحباؤه في اداء الحقوق ، والانصاف في المعاملات من المبايعات والمقارضات والكرامات .

الخامس : عامة الناس على سبيل الحكم ، وذلك اذا تؤتى الحكم بينهم .

وأما اذا كان الحكم بينه وبين غيره وكان الحق له ، فالفضل اشرف من العدل .

وقد نص الله تعالى الامرين ، فقال في من له الحق « وان تعفوا اقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم » (١) وقال في الحكم بين الناس « ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل » .

أسأل الله تبارك وتعالى ان يوفقنا ويسددنا لاجراء الامور على وفق العدل والانصاف .

---

(١) البقرة : ٢٣٧ .

---

(٩٨)

---

(٩٩)

(سورة المائدة)

* انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون . [الآية : ٥٥]

نزلت هذه الآية الشريفة في حق مولانا علي . عليه السلام . عند المخالف والمؤالف حين سأله سائل وهو راكع في صلاته ، فأومى اليه بخنصره اليمنى ، فأخذ الخاتم من خنصره .

(٦/١٣)

وعن سيدنا ابي عبد الله الصادق . عليه السلام : ان الخاتم الذي تصدق به امير المؤمنين . عليه السلام . وزن خلقته اربعة مثاقيل فضة ، ووزن فصه خمسة مثاقيل ، وهي ياقوتة حمراء ، قيمته خراج الشام ، وخراجه ستمائة حمل فضة واربعة احمال من الذهب ، هو لطوق بن الحران (١) قتله امير المؤمنين . عليه السلام . واخذ الخاتم من اصبعه ، واتى به النبي . صلى الله عليه وآله . من جملة الغنائم ، فأعطاه النبي فجعله في اصبعه صلوات الله عليهما وآلهما (٢) .

قال الزمخشري : انما جيء به على لفظ الجمع ، وان كان السبب فيه رجلاً واحداً ، ليرغب الناس في مثل فعله ، ولينبه ان سجية المؤمنين يجب ان تكون على هذه الغاية من الحرص على البر والاحسان (٣) انتهى كلامه .

---

(١) كذا في الاصل وفي البرهان : لمروان بن طوق .

(٢) البرهان : ١ / ٤٨٥ .

(٣) الكشاف : ١ / ٦٢٤ .

---

(١٠٠)

أقول : ولا حاجة اليه ؛ لانه قد اشتهر في اللغة التعبير عن الواحد بلفظ الجمع .

للتعظيم والتكريم ، فأي حاجة الى الاستدلال عليه ، فهذه الآية من اوضح الدلائل على فرض ولايته وصحة امامته بعد النبي . صلى الله عليه وآله . بلا فصل .

نقل انه اجتمع نفر من اصحاب رسول الله . صلى الله عليه وآله . في مسجد المدينة ، فقال بعضهم

لبعض : ان كفرنا بهذه الآية كفرنا بسائرها ، وان آمنا صارت فيما يقول ، ولكنا نتولى ولا نطيع علياً ، فنزلت « يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها » (١) .

---

(١) النحل : ٨٣ .

(سورة الانعام)

* واذ قال ابراهيم لابيه آزر أتتخذ اصناماً آلهة اني أراك وقومك في ضلال مبين . [الآية : ٧٤]

الذي كان أبا ابراهيم حقيقة اسمه تارخ ، وأما آزر فانما كان جده لامه او عمه ، على الخلاف فيه .

ولا شك ان اهل اللغة يطلقون اسم الاب على العم تارة ، وعلى الخال اخرى ، لقوله تعالى : « ورفع ابويه » (١) وكان يعقوب وخالته ، ماتت امه فتزوجها .

وعلى جد الام ، لانه اب احد الابوين ، ومنه قولهم يا بن رسول الله للحسنين وسائر الائمة . عليهم السلام .

واما صرنا الى ذلك لاجماعنا على ان آباء نبينا الى آدم كلهم مسلمون موحدون لقوله . صلى الله عليه وآله : لم يزل ينقلني الله من اصلاب الطاهرين الى ارحام المطهرات حتى اخرجني في عالمكم هذا . والكافر غير موصوف بالطهارة ، لقوله تعالى : « انما المشركون نجس » (٢) .

والاقوى ان يستدل عليه بقوله « ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب » (٣) فانه صريح في ان ابويه لم يكونا كافرين ، لانه انما يسأل المغفرة لهما يوم القيامة ، فلو كانا كافرين لما سأل ذلك ، لقوله « فلما تبين له انه عدو الله

---

(١) يوسف : ١٠٠ .

(٢) التوبة : ٢٨ .

(٣) ابراهيم : ٤١ .

تبرأ منه » (١) .

ومن قال : أنه دعا لابيه ، لانه كان وعده ان يسلم ، فلما مات على الكفر تبرأ منه .

فقوله فاسد ؛ لان دعاءه هذا كان بعد الكبر ، وبعد ان وهب له اسماعيل واسحاق ، وقد تبين له وقتئذ عداوة ابيه الكافر ، لقوله « فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحاق ويعقوب

وكلاً جعلنا نبياً» (٢) فلا يجوز ان يقصده بدعائه هذا .
وذهب ابو الصلاح الى ان آباء الانبياء كلهم يجب ان يكونوا على التوحيد والاسلام ، ولم يفرق بين نبينا وغيره في وجوب تنزيه آبائه على الشرك بالله .

ويؤيده قوله . صلى الله عليه وآله . في حديث جابر بن عبد الله : ان الانبياء والاوصياء مخلوقون من نور عظمة الله جل ثناؤه ، ويودع الله انوارهم اصلابا طيبة وارحاما طاهرة ، يحفظها بملائكته ، ويربيها بحكمته ، ويغذوها بعلمه الحديث .
وهو كما يدل على اسلام آباء الانبياء وتوحيدهم ، كذلك يدل على اسلام آباء الاوصياء وتوحيدهم .
وظاهر كلام شيخنا البهائي قدس سره في مفتاح الفلاح (٣) انه يذهب مذهب ابي الصلاح ، ولكن قوله « عندنا » يدل على ان ذلك ايضا اجماعي ، وليس كذلك .

---

(١) التوبة : ١١٤ .
(٢) مريم : ٤٩ .
(٣) مفتاح الفلاح : ٣١ .
---

* الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون . [الآية : ٨٢]
« الذين آمنوا » اي : صدقوا بحقائق الاشياء بعد تصوراتها على ما هي عليه في نفس الامر : اما البراهين والدلالات ، او بالرياضات والمجاهدات .
« ولم يلبسوا ايمانهم » وتصديقاتهم الحقة واعتقاداتهم اليقينية .
« بظلم » بما هو خلاف الواقع من الجهل المركب ؛ اذ الظلم انتقاص الحق ووضع الشيء على خلاف ما هو عليه . او لم يشوبوا تلك التصديقات بالظنون والاوهام والشكوك والشبهات المنافية لما عليه الامر في نفسه .
« أولئك » الموصوفون بتلك الصفات الفاضلة .
« لهم الامن » عن العقاب ، وهم المختصون بالامان عن كل ما يبعدهم او يشوشهم .
« وهم مهتدون » بعد تخلصهم عن العلائق الجسدانية ، والتنزه عن الهيئآت البدنية الى عالم القدس ، فيقعدون بعد مفارقتهم الابدان العنصرية في مقعد صدق عند مليك مقتدر ، مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً .

* يا آيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . [الآية : ٩٠]

قال جماعة : رجس خبر لمضاف محذوف ، وهو تعاطي هذه الاشياء . اذ الذي تستخبثه العقول وتعافه (١) ، تعاطيها على الوجوه المقتضية للمفاسد الظاهرة المشهورة والمتعلقة بها .

كشرب الخمر وما يتعلق بها من حفظها وبيعها وشرائها للشرب ، ولعب الميسر وما يتعلق به ، وعبادة الانصاب وتعظيمها وما يتعلق به ، والاستقسام بالازلام وما يتعلق به ، فلا تصح ارادة النجس منه .

وان جعل « رجس » خبراً للخمر ، وهو مرجوح ، وقدر خبر المذكورات ، فلا يصح حمله على النجس ايضا ؛ لاقتضائه كون المعنى في بعض الاخبار مختلفا ، مع ان الظاهر في امثاله الاتفاق . وكون المذكور قرينة على المحذوف ، وحمل الرجس على النجس وغيره على سبيل عموم المجاز او الاشتراك ، وارادة كل منهما بالنسبة الى البعض مع عدم القرينة ، في غاية البعد .

وكذا جعله خبراً للخمر ، وجعل خبر البواقي من عمل الشيطان بعيد .

وكذا حمله على النجس ، وجعله خبراً للكل وارتكاب التجوز في الاسناد بالنسبة الى بعض ؛ لان مقتضى اللفظ ان يكون المعنى والاسناد بالنسبة الى الجميع واحداً .

فاذن : اما ان يراد بالرجس المأثم ، او العمل المستقذر ، الذي تعاف منه العقول ، كما يوجد في كلام جماعة من المفسرين .

وبالجملة حمله على معناه الحقيقي ، وارتكاب بعض تلك الوجوه البعيدة ، مرجوح بالنسبة الى حمله على ما ذكرنا من المعاني مجازاً ، سلمنا التساوي ، لكن لابد للترجيح من دليل .

قال الفاضل الاردبيلي رحمه الله في ايات احكامه : لا دلالة في هذه الآية على نجاسة الخمر ، ولهذا قال الصدوق : ان الله عز وجل حرم شربها ، لا الصلاة

---

(١) عاف الرجل الطعام او الشراب يعافه عيافاً ، اي : كرهه فلم يشربه . الصحاح .

في ثوب اصابته ، فتأمل .

والاخبار مختلفة في ذلك ، والاصل يؤيده . نعم ان ثبت كون الرجس بمعنى النجس الشرعي فقط ، لدلت عليه ، لكنه لم يثبت ، ثم نقل اقوال اللغويين .

(٣/٧)

الى ان قال : فالاجماع الذي نقله في التهذيب على كون الرجس بمعنى النجس غير معلوم ، وكتب في الحاشية : فيه تأمل .

لان مقصود الشيخ ان اجماع الفقهاء والمفسرين على ان الرجس في الآية بمعنى النجس ، فمخالفة اصل اللغة لا يضر باجماعه ، فهذا التفريع ليس بجيد ، فافهم .

ثم قال الاردبيلي رحمه الله : وبالجملة لا دلالة في الآية على نجاسة الخمر ، وهو ظاهر ، بل لا دلالة في الاخبار ايضا لاختلافها ، والجمع بحمل ما دل على وجوب الغسل على الاستحباب اولى من حمل ما يدل على عدمه على التقية (١) .

اقول : وذلك لان الحمل على التقية في قوة الاطراح ، فلا ينبغي المصير اليه الا عند الضرورة . وحمل الاوامر والنواهي في اخبارنا على الاستحباب والكراهة شايع .

فالجمع بين الاخبار بهذا الوجه اوجه ، كما ذكره رحمه الله ، مع اعتضاد اخبار الطهارة بالاصل ، وكثرة الصحيح منها ، ووضوح دلالتها ، وبعد التأويل ، وبالعمومات الدالة ، على طهورية الماء على العموم ، ومن جملتها الملاقي للخمر ، بل بظاهر القرآن ايضا .

فانه اذا وجد ماءً ملاقياً للخمر ، يلزم بمقتضى القول بالتنجيس الاجتناب عنه ، ومقتضى الايات الوضوء والغسل به وعدم العدول الى التيمم .

أقول : ومرجع ضمير « فاجتنبوه » فيه وجوه :

---

(١) زبدة البيان : ٤٢ .

منها : ان يكون راجعا الى المحذوف ، وهو التعاطي ، اختاره الكشاف (١) .

وان يكون عائداً الى عمل الشيطان ، ذكره الطبرسي (٢) .

وان يكون راجعاً الى الرجس ، واحتمله الطبرسي (٣) .

وان يكون عائداً الى المذكورات بتأويل ما ذكر .

وفهم الاجتناب المنهي عنه على وجه يمكن جعله دليلاً للنجاسة ، انما يتم على بعض تلك الوجوه ، ولا ترجيح له على غيره ، فلا يتم الاستدلال .

على ان الظاهر ان المراد الاجتناب في الجميع على نسق واحد ، مع ان الظاهر من الاجتناب في الخمر الشرب وما اشبهه ، كتحريم الامهات .

---

* فالق الاصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً ذلك تقدير العزيز العليم . [الآية : ٩٦]
الاصباح مصدر سمي به الصبح .
قيل : المراد فالق ظلمة الاصباح ، وهو الغبش في اخر الليل ، وكأن الافق كان بحراً مملواً من الظلمة ، ثم انه تعالى شق ذلك البحر المظلم ، بأن اجرى فيه جدولاً من النور . فالمعنى : فالق ظلمة الاصباح بنور الاصباح . وحسن الحذف للعلم به .
او المراد فالق الصباح بضياء النهار واسفاره ، ومنه قولهم انشق عمود الفجر وانصدع .
او المراد مظهر الاصباح بواسطة فلق الظلمة ، فذكر السبب واراد المسبب .

---

(١) الكشاف : ١ / ٦٤٢ .
(٢ . ٣) مجمع البيان : ٢ / ٢٣٩ .

او الفالق بمعنى الخالق ، وعن ابن عباس والضحاك : الفلق بالسكون بمعنى الخلق . واما الفلق بالتحريك ، فهو ضوء الصبح ، لانه بمعنى مفعول .
* قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين . [الآية : ١٦١]
قال راغب الاصفهاني في مفرداته : الملة كالدين ، وهما اسمان (١) لما شرع الله لعباده على لسان الانبياء ، ليتوصلوا بها الى جوار الله .
والفرق بينها وبين الدين ، ان الملة لا تضاف الا الى النبي الذي تستند اليه ، نحو « اتبع ملة ابراهيم » (٢) .
ولا تكاد توجد مضافة الى الله ، ولا الى آحاد امة النبي ، ولا تستعمل الا في جملة الشرائع دون آحادها ، فلا يقال للصلاة : ملة الله ، كما يقال : دين الله ، واصل الملة ، من امللت الكتاب (٣) انتهى .
ويرد عليه ما في الصحيفة السجادية الملقبة بزبور آل محمد . صلى الله عليه وآله : اللهم وثبت على طاعتك نيتي . الى قوله . عليه السلام : وتوفني على ملتك وملة نبيك محمد اذا توفيتني .

حيث اضاف الملة الى الله تعالى . الا ان يقال : المراد انها لا تضاف الى خصوص لفظة الجلالة ، وهو عن السياق بعيد .

---

(١) في المصدر : وهو اسم .

(٢) النحل : ١٢٣ .

---

(٣) مفردات الراغب : ٤٧١ . ٤٧٢ .

وفي نهاية ابن الاثير : الملة الدين ، كملة الاسلام واليهودية والنصرانية . وقيل : هي معظم الدين ، وجملة ما يجيء به الرسل (١) .

أقول : فظهر ان ما ورد في كلامهم من قولهم . عليهم السلام . « على ملة ابراهيم ودين محمد . صلى الله عليه وآله . » مجرد تفنن في العبارة ، اريد بهما معنى واحد من غير ملاحظة امر آخر .

أو يقال : ان الذين لما كان اعم واشرف باضافته احيانا الى الله والى آحاد امة النبي ايضا ، وكان محمد . صلى الله عليه وآله . اشرف المخلوقات واتم الموجودات ، وكان مبعوثا على كافة اهل الارض ، وكانت ملته البيضاء اشرف الملل واعمها واتمها .

كان المناسب ان يضاف الدين اليه تشريفا لمنزلته ، واجلالا لمرتبته ، والملة الى ابراهيم قضاءاً لحق العبارة ، وجرياً في مقام الفصاحة والبلاغة .

او يقال : الغرض هنا هو الاشعار بأن ما يجب على هذه الامة بالاضافة الى ما جاء به خليل الرحمن هو التصديق بجملة ما جاء به اجمالا ، من غير حاجة الى التصديق بآحاد شرائعه تفصيلاً .

بخلافه بالنسبة الى ما جاء به حبيب الرحمن ، فانه يجب على امته ان يصدقوه تفصيلا فيما علم تفصيلا واجمالا فيما علم اجمالا مع الاقرار باللسان ، وهذا هو الايمان عند اكثر الامامية ، هذا ما خطر بالبال ، والله اعلم بحقيقة الحال .

---

(١) نهاية ابن الاثير : ٤ / ٣٦٠ .

(سورة الاعراف)

* واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون . [الآية : ٢٠٤]

ظاهر الآية الشريفة وان كان وجوب الاستماع والانصات وقت قراءة القرآن في صلاة وغيرها ، اماماً كان او مأموماً ، الا انهم نقلوا عدم وجوبهما بالاجماع ، الا في الصلاة للمأموم حال قراءة الامام ، فيجب عليه ترك القراءة في الجهرية وما يسمع ولو همهمة ، واليه ذهب ابن حمزة .

(٦/٧)

على ما نقله عن الشهيد في الذكرى ، قال : واوجب الانصات لقراءة الامام على ظاهر الآية ، ثم قال : وحمله الاكثر على الندب (١) .

اقول : ولعله خصها بذلك مع عمومها ، لصحيحة زرارة عن الباقر . عليه السلام . قال : وان كنت خلف امام فلا تقرأن شيئا في الاولتين وانصت لقراءته ، ولا تقرأن شيئا في الاخيرتين ، فان الله عز وجل يقول للمؤمنين « واذا قرىء القرآن » يعني في الفريضة خلف الامام « فاستمعوا له وانصتوا » فالاخيريان تبعتا للاولتين (٢) .

ولعله . عليه السلام . اشار بذلك الى سبب النزول ، او الى ان « اذا » الشرطية ليست للعموم ، فانها من سور المهملة .

ودعواهم ان المستعملة في الايات الاحكامية ، نحو « اذا قمتم الى

---

(١) الذكرى : ٢٧٧ .

(٢) من لا يحضره الفقيه : ١ / ٣٩٢ .

الصلاة » (١) « فاذا قرأت القرآن فاستعذ » (٢) « واذا حييتم بتحية » (٣) تفيد العموم عرفا وتكون بمعنى « متى » و « كلما » ممنوعة ، وعموم الاوقات في الايات على تقدير التسليم ، ليس لدلالتها عليه ، بل للاجماع والاخبار .

وفي الكشاف : انهم كانوا يتكلمون في الصلاة ، فأمروا باستماع قراءة الامام (٤) .

فاللام للعهد ، والمعهود القرآن الذي يقرأه الامام حال الصلاة ، واطلاقه على الكل والجزء شايع ، وسيأتي في حديث ابن الكواء .

وحينئذ فيمكن حمل الامر على الوجوب فقط ، كما هو اصله ، وذهب اليه ابن حمزة ، وعلى الندب كما هو رأي الاكثر ، وعلى الرجحان المطلق الشامل لهما .

وبما قررناه يندفع ما اورده الفاضل الاردبيلي رحمه الله على ابن حمزة بقوله : انه بعيد من جهة اطلاق عام كثير الافراد وارادة فرد خاص قليل (٥) .
ولعل مراده ان دلالة الآية عليه بانفرادها من دون انضمام الاخبار ، وسبب النزول بعيد ، وهو كذلك ، الا ان ما قلناه غير بعيد عن سنن التوجيه ، فافهم .

وانما اوجب الانصات واريد به القراءة لاستلزامه له ، كما سنشير اليه ، فلا بعد فيه من هذه الجهة ايضا ، كما ظنه قدس سره ، ولا سيما اذا كانت على طبقه رواية صحيحة مفسرة له بذلك .
ثم قال طاب مثواه : ويمكن حمل الآية على عموم رجحان الاستماع

---

(١) المائدة : ٦ .
(٢) النحل : ٩٨ .
(٣) النساء : ٨٦ .
(٤) الكشاف : ٢ / ١٣٩ .
(٥) زبدة البيان : ١٣٠ .

والانصات ، ويكون التفصيل بالوجوب في بعض اوقات الصلاة ، وبالاستحباب في الباقي معلوما من غيرها . او يحمل على استحبابهما ، للاجماع على عدم وجوبهما الا ما اخرجه الدليل ، وهو الاخبار الدالة على وجوب ترك قراءة المأموم في موضعه (١) .
أقول : وأما ما رواه الشيخ في التهذيب ، عن معاوية بن وهب ، عن الصادق . عليه السلام . انه قال : ان علياً . عليه السلام . كان في صلاة الفجر ، فقرأ ابن الكواء وهو خلفه « ولقد اوحى اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين » (٢) .
فانصت علي . عليه السلام . تعظيماً للقرآن حتى فرغ من الآية ، ثم عاد في قراءته ، ثم اعاد ابن الكواء الآية ، فأنصت علي . عليه السلام . ايضا ، ثم قرأ فأعاد ابن الكواء .
فأنصت علي . عليه السلام . ثم قال « فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون »(٣) ثم أتم السورة ثم ركع .(٤)
فمحمول على الاستحباب ، توفيقاً بينه وبين صحيحه زرارة ، ويشعر به ايضا قوله . عليه السلام . « تعظيماً للقرآن » مع ما مر من الاجماع على عدم وجوب الانصات في هذه الصورة .

ثم من الظاهر ان استحباب الاستماع ان يكون فيما اذا لم يستلزم السكوت الطويل المخرج عن كونه قارئا ، والا فلا استحباب بل يحرم ، لوجوب الموالاة في القراءة المأمور بها . وذهب الشيخ الى القول بعدم المنافاة بيني الانصات للقراءة

---

(١) زبدة البيان : ١٣٠ .

(٢) الزمر : ٦٥ .

(٣) الروم : ٦٠ .

---

(٤) تهذيب الاحكام : ٣ / ٣٦ ح ٣٩ .

والقراءة .

قال : ولا يمتنع ان يجب على من يصلي خلف من لا يقتدى به ان ينصت للقراءة ، ومع هذا تلزمه القراءة لنفسه (١) .

وغرضه انه يمكن القراءة مع الاستماع والانصات ، كما ذهب اليه الاردبيلي ايضا . وفيه تأمل .

أما أولاً ، فلما في الصحاح : انصت له وانصته اي سكت واستمع كلامه (٢) .

وفي نهاية ابن الاثير : انصت انصاتاً اذا سكت سكوت مستمع (٣) .

وأما ثانياً ، فلان انصاته . عليه السلام . الى فراغ ابن الكواء من الآية ، ثم عوده الى القراءة ، وهكذا الى تمام المرات الثلاث ، صريح في ان المراد به ترك القراءة والتوجه الى سماعه والتدبر فيه ، فتدبر فيه .

وأما ثالثاً ، فلان حمل الآية على التأسيس خير من حملها على التأكيد ، كما يلزم مما ذكراه ، فتأمل .

---

(١) تهذيب الاحكام : ٣ / ٣٥ .

(٢) صحاح اللغة : ١ / ٢٦٨ .

(٣) نهاية ابن الاثير : ٥ / ٦٢ .

(سورة التوبة)

* يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ... [الآية : ٢٨]

قال الفاضل الاردبيلي بعد تفسير كريمة « انما المشركون نجس » : ويستفاد من الآية احكام منها : كون الكفار مكلفين بالفروع . ومنها : عدم تمكين المسلمين لهم ، بمعنى منعهم عن دخوله ، بل قيل : هو المراد من النهي الى آخر ما افاده هناك (١) .

أقول : انهم اختلفوا في ان الكفار هل هم مكلفون بالفروع مع انتفاء شرطها وهو الايمان حتى يعذبوا بها كما يعذبون بالايمان ام لا ؟ فالاكثر على الاول .

قالوا : لا شرط في التكليف بفعل حصول شرطه الشرعي ، بل يجوز التكليف به وان لم يحصل شرطه شرعا ، خلافا لجمهور الحنفية ، وابي حامد الاسفرائني من فقهاء الشافعية ، وتبعهم على ذلك بعض متأخرينا كالقاساني في تفسيره الصافي (٢) .

قالوا : لو كلف الكافر بها لصحت منه ، اذ الصحة موافقة الامر ، واللازم منتف .

واجيب بأنه غير محل النزاع ؛ اذ لا نريد انه مأمور بفعلها حالة كفره .

نعم يصح منه بأن يؤمن ويفعل ، كالجنب والمحدث حالة الجنابة امرا به بعد التطهير .

---

(١) زبدة البيان : ٣٩ . ٤٠ .

(٢) تفسير الصافي : ٤ / ٣٥٣ .

قالوا : لو وقع التكليف بالفروع لوجب القضاء ولا يجب .

واجيب بمنع الملازمة ؛ اذ القضاء انما يجب بأمر جديد ، وليس بينه وبين وقوع التكليف ولا صحته ربط عقلي ، فلا يستلزم احدهما .

ثم من الدليل على انهم مكلفون قوله سبحانه « ما سلككم في سقر * قالوا لم نك من المصلين » صرح بتعذيبهم بتركهم الصلاة ، ولا يحمل على المسلمين ، اذ « ولم نك نطعم المسكين * وكنا نخوض مع الخائضين * وكنا نكذب بيوم الدين » (١) ينفيه .

وقوله تعالى : « فلا صدق ولا صلى * ولكن كذب وتولى » (٢) ذمه على ترك الجميع ومنه الصلاة ، فيكون مذموماً بتركها .

وقوله عز وجل « لا يدعون مع الله الهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة »(٣) حيث جعل العذاب المضاعف جزاءً لهم على الافعال المذكورة ، ومنها قتل النفس والزنا .

وقوله « يا أيها الناس اعبدوا ربكم » (٤) « وان اعبدوني هذا صراط مستقيم » (٥) ونحوهما من الاوامر العامة بالعبادات ، فان الكفار مندرجون تحتها ، فوجب عليهم هذه العبادات وجوبها على غيرهم .

وتخصيص العبادة المأمور بها فيهما بالايمان لصدقها عليه ، مع انه خلاف الاصل والظاهر مما لا مخصص له سوى الاحتمال ، وهو لا يصلح للتخصيص .

---

(١) المدثر : ٤٢ . ٤٥ .

(٢) الحاقة : ٣١ . ٣٢ .

(٣) الفرقان : ٦٨ . ٦٩ .

(٤) البقرة : ٢١ .

(٥) يس : ٦١ .

واذ قد تقرر هذا فنقول : يمكن استفادة الحكم الاول ، وهو كون الكفار مكلفين بالفروع من توجه صريح النهي في « لا يقربوا » اليهم ، فنهوا ان يقربوه ، وهو تكليف لهم .

(١٠/٧)

الا انهم لما لم يكونوا قابلين للخطاب لبعدهم عن ساحة عز الحضور ، خص المؤمنين به تنبيها على ذلك ، فالمؤمنون يبلغون ذلك النهي اليهم ، ويقولون : انتم انجاس ، والانجاس لا يجوز دخولهم المسجد ، والتكليف لا يستلزم كون المكلف مخاطبا به خطاب مشافهة ، بل يجوز ان يخاطب اخر بتبليغه الى المكلف ، كما في كثير من التكاليف الشرعية ، ويدل عليه قول علي . عليه السلام . حين نادى ببراءة الا يحج بعد عامنا هذا مشرك .

وأما استفادة الحكم الثاني ، وهو عدم تمكين المؤمنين لهم من النهي ، فمبني على جعله من باب الكناية ، كما في « يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان » (١) نهاه عنه ، والمراد نهيهم عن اتباعه والافتتان به ، لانهم لو اتبعوه لامتحنهم ، والكناية لا تنافي الحقيقة ، فيجوز ارادة المعنى وهو نهي المشركين ان يقربوه ، مع ارادة لازمه ، وهو نهي المسلمين عن تمكينهم منه ؛ لانه لو مكنوهم

لدخلوه ، كما كانوا يدخلونه .

والفرق ان ارادة اللازم اصل ، وارادة المعنى تبع ، كما أومأنا اليه ، وذلك غير ارادة مجموع المعنيين ، بل ارادة كل واحد منهما معاً ، كما بين في الاصول .

لا يقال : ان اللفظ اذا دل بأقوى الدلالتين لا يدل بأضعفهما ؛ لان القوة والضعف متنافيان .

لانا نقول : لا نسلم ذلك ، وانما يكون كذلك لو كانت الدلالة الضعيفة والقوية من جهة واحدة ، وهما فيما نحن فيه ممنوع ، ضرورة انهما من جهتين مختلفتين : احداهما بالمطابقة ، والاخرى بالالتزام .

---

(١) الاعراف : ٢٧ .

فظهرت ثمرة الخطاب وفائدته من غير ان يكون فيه تعسف ولا جمع بين الحقيقة والمجاز ، وكذلك ليس فيه ما يجري مجرى التكليف بالمحال ، لانهم يتمكنون من امتثاله حال الكفر ، لتحقق شرط الامتثال ، وهو فهم المكلف التكليف ، وهو الذي جعلوه شرطا لصحته ، كما فصلناه في بعض رسائلنا ، وليس بشرط في التكليف بفعل حصول شرطه الشرعي ، وهو هنا الايمان ، بل يجوز التكليف به وان لم يحصل شرطه .

وبما قررناه لا يتوجه اليه ما اورده عليه محمد بن عبد الفتاح التنكابني المشهور بالسراب بقوله : النهي في « لا يقربوه » اما متعلق بالمسلمين بمعنى منع المسلمين المشركين عن الدخول ، واما متعلق بالمشركين .

فعلى الاول كون الكفار مكلفين بالفروع ليس من احكام الآية ، وعلى الثاني ليس عدم تمكين المسلمين لهم من احكامها ، فعدهما من الاحكام لا وجه له .

ثم قال : فان قيل : منع المسلمين اياهم عن الدخول انما هو بمقتضى النهي عن المنكر ، فليس عدم التمكين حينئذ من الاحكام المستفادة من الآية ، والقول بأن مراده من جعل كل واحد من الامرين من احكام الآية انما هو على تقدير خارج عن اسلوب الكلام انتهى .

وذلك لانا نختار ان النهي متعلق بهما معا ، ولكن تعلقه بالمؤمنين اصالة وبالذات وبالمشركين تبعا وبالعرض ، نظيره ما قالوه في طويل النجاد ، انه يجوز ارادة طول النجاد مع ارادة طول القامة .

وفي كلام صاحب المفتاح ما يدل على ان اللفظ المستعمل في الحقيقة والمجاز ، حقيقة باعتبار معناه الحقيقي ، فان الحقيقة قسمان : قسم يراد به معناه الحقيقي ، ولازمه وهو الكناية .

وذهب الحاجبي الى انه مجاز ؛ لان المعنى الحقيقي هو المفهوم بقيد الانفراد ، فاذا استعمل اللفظ في المجموع يبطل معناه الحقيقي ، فيكون اللفظ

---

(١١٧)

مستعملاً في المجموع بوضع ثان ، كما في عموم المجاز .

(١٢/٧)

والحق ان اللفظ موضوع لمفهوم الحقيقة مطلقا ، مع قطع النظر عن الانفراد والاجتماع ، فاذا استعمل في معناه الحقيقي والمجازي لم يبطل معناه الحقيقي ، لكن يكون مجازا في ارادة كل منهما ، لتجاوزه عن معناه الحقيقي ، وقد بين ذلك في الاصول .

وكذلك لا يرد على البيضاوي ما اورده عليه ملا ميرزا محمد بن الحسن الشيرواني بقوله : من الاوهام الفاضحة والاغلاط الواضحة ما ذكره في تفسير هذه الآية .

حيث قال : وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع ، ولا يخفى ان سياقها ظاهر في انها تكليف للمؤمنين بمنعهم من المسجد ، وما بعدها وهو « وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله » ايضا دليل عليه .

ثم قال : وانت خبير بأنه لو كان المراد نهي الكفار وخطابهم وتكليفهم مع قطع النظر عن المؤمنين ، ولم يكن له تعلق بالمؤمنين ، لم يكن للخطاب بالمؤمنين حاصل وثمرة ، الا ان يكون المراد خطابهم اياهم وتبليغهم لهم .

وفيه تعسف ، وحمل الآية على تكليف المؤمنين بالمنع ، وعلى تكليف المشركين بعدم القرب معاً ، قريب من الجمع بين الحقيقة والمجاز ، على ان تكليف الكفار بما يشترط فيه الكفار ويتوقف عليه ، يجري مجرى تكليف المحال ؛ لانهم لا يتمكنون من امتثاله حالة الكفر ولا حالة الايمان لو وقع بدل الكفر ، بخلاف سائر الفروع ، فان الكافر لو بدل الكفر بالايمان وقت الزوال لتمكن من ايقاع الصلاة الصحيحة الشرعية ، الى هنا كلامه .

وانت خبير بأن علاوته هذه مع انها واهية في نفسها لما عرفته ، منقوضة بكون الجنب مثلا منهيا عن دخوله المسجد .

لانا نقول : تكليفه بما يشترط فيه الجنابة ويتوقف عليها ، يجري مجرى تكليف المحال ؛ لانه لا يتمكن من امتثاله حالة الجنابة ولا حالة الطهارة لو وقعت

بدل الجنابة ، فما هو جوابه عن هذا فهو جوابنا عن ذاك .

(١٣/٧)

وحله : كما سبق ان الامتثال لا يتوقف على الايمان ولا يمنعه الكفر ، والا يلزم منه الدور فيما اذا كان المأمور به هو الايمان ، وانما هو موقوف على قدرة المكلف وتمكنه وفهمه التكليف .
ولا شك ان الكافر حالة كفره متمكن من الامتثال بهذا المعنى ؛ اذ هو قادر عليه ، فيصح منه كف النفس عن الدخول ، فيكون ممتثلاً وعاملاً بمقتضى النهي وعدمه ، فيكون عاصياً وتاركاً لمقتضاه .
نعم لا يترتب عليه اثر الصحة بمجرد موافقة الامر ، بل لا بد وان يكون مسبوقا بالايمان ، وهو امر آخر لا ينفعه رحمه الله .
نعم يرد على البيضاوي ان الآية ليست دليلاً على كونهم مخاطبين بالفروع ، بل غاية الامر استفادته منها ، كما اومأ اليه الفاضل الاردبيلي ، وذلك لانهم انما يطلقون الدليل على ما هو نص او ظاهر ، لا على ما هو متساوي الاحتمالين ، او خلاف الظاهر .
ولعله اراد بالدليل هنا غير ما يفهم من هذا اللفظ بحسب العرف ، بل ما يندرج فيه الاحتمال ، وان لم يكن معروفا فيهم ؛ لانه يبعد عن مثله الغفلة عن عدم كونها دليلا عليه بالمعنى المتعارف .
كيف لا ؟ وهو قد رأى ان صاحب الكشاف نقل عن عطا انه قال : نهى المشركين ان يقربوه راجع الى نهي المسلمين عن تمكينهم منه ، واقتصر عليه ولم يذكر احتمالا اخر كما اومأ اليه الاردبيلي بقوله : بل قيل : هو المراد من النهي .
ثم الظاهر ان صاحب الكشاف انما اقتصر على مجرد نقل قول عطا ، ولم يحتمل في الآية ما احتمله البيضاوي وغيره ، لانه حنفي الفروع ، وابو حنيفة زعم ان الكفار غير مكلفين بالفروع كما سبق في اول المسألة ، وقد نقله عنه ايضا شيخنا الشهيد الثاني رحمه الله في شرحه على اللمعة .
وأما البيضاوي ، فلما كان شافعي الفروع ، والشافعي يقول بكونهم مكلفين

بها ، كما هو مذهب الاكثر ، حمل الآية ردا على الكشاف ، وزعماً منه انه الظاهر منها ، حتى انه جعلها دليلاً عليه .

(١٤/٧)

والظاهر ان ذلك انما صدر منه لحرصه على المذهب وتعصبه على تصحيحه كما هو دأبهم ، وقد قيل : ان حبك الشيء يعمي ويصم .

وبالجملة هما على طرفي الافراط والتفريط . وأما الفاضل الاردبيلي رحمه الله ، فلما امعن النظر في الآية ورأى انها تحتملهما معاً ، لانتفاء منع الجمع ، حملها عليه رداً عليهما ، وهو الحق ، كذلك يفعل الرجل البصير .

اقول : وفي دلالة الآية الشريفة على نجاستهم العينية مناقشتان :

الاولى : انها تتوقف على اثبات ان لفظ « النجس » حقيقة شرعية في المعنى المعهود بين الفقهاء ، او ساعد على ذلك عرف يعلم وجوده في زمن الخطاب ، وكلاهما في حيز المنع .

والثانية : ان النجس مصدر ، فلا يصح وصف الجثة به الا مع تقدير كلمة « ذو » ولا دلالة معه ، لجواز ان يكون الوجه في نسبتهم الى النجس عدم انفكاكهم من النجاسات العرضية ، لانهم لا يتطهرون ولا يغسلون ، والمدعى نجاسة ذواتهم .

والجواب : ان المصادر يصح الوصف بها اذا كثرت معانيها في الذات ، كما يقال : زيد عدل ، فالوصف بالمصدر صحيح .

لكن منهم من قدر كلمة « ذو » وجعل الوصف بها مضافة الى المصدر .

ومنهم من جعله وارداً على جهة المبالغة باعتبار تكثير الوصف في الموصوف ، حتى كأنه تجسم منه ، والظاهر كونه ارجح من الاول ، وعليه تعويل المحققين .

(سورة يونس)

* هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الايات لقوم يعلمون . [الآية : ٥]

الضوء والنور مترادفان لغة . وقيل : هو اقوى من النور ، فهو فرط الانارة ، وقد يسمى تلك الكيفية ان كانت من ذات الشيء ضوء ، وان كانت مستفادة من غيرها نوراً .

وقال صاحب الكشف : والتحقيق ان الضوء فرع النور ، يطلق على الشعاع المنبسط ، والنور يطلق على ما للشيء في نفسه ، كالنور القائم بنفس الشمس ، ولهذا يقع على الذوات الجوهرية ، بخلاف الضوء .

وقال الراغب : النور الضوء المنتشر الذي يعين على الابصار ، وهو ضربان : دنيوي ، واخروي ، فالدنيوي ضربان : معقول بعين البصيرة ، وهو ما انتشر من الانوار الالهية ، كنور العقل ، ونور القرآن ، ومنه « قد جاءكم من الله نور » (١) .

ومحسوس بعين البصر ، وهو ما انتشر من الاجسام النيرة ، كالقمرين والنجوم والنيرات ، ومنه « هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً » ومن النور الاخروي قوله تعالى : « يسعى نورهم بين ايديهم » (٢) انتهى (٣) .

---

(١) المائدة : ١٥ .

(٢) الحديد : ١٥ .

(٣) مفرادات الراغب : ٥٠٨ .

والمشهور ان ضياء الشمس ذاتي قائم بذاتها ، غير مستفاد من غيرها ، تستفيد منها سائر الكواكب انوارها المزيلة للظلام .

حتى قال صاحب الهياكل : ان رخش . وعنى به الشمس . قاهر الغسق ، رئيس السماء ، فاعل النهار ، صاحب العجائب ، عظيم الهيئة ، الذي يعطي جميع الاجرام ضوءها .

والمعروف من الاخبار ان ضوءها مستفاد من نور العرش .

ففي كتاب التوحيد عن ابي ذر عن النبي . صلى الله عليه وآله . بعد كلام : فيأتيها جبرئيل بحلة ضوء من نور العرش ، على مقادير ساعات النهار في طوله او قصره ، او ما بين ذلك ، فتلبس تلك الحلة ، كما يلبس احدكم ثيابه (١) .

ومخالفته لقواعد الفلاسفة لا يضر ، لما زيفناها في بعض رسائلنا ، وهم في حقيقتها مختلفون :

فقال بعضهم : هي فلك اجوف مملو ناراً ، له فم يجيش بهذا الوهج والشعاع .

وقال آخرون : هي سحابة .

وقال آخرون : هو جسم زجاجي يقبل نارية في العالم ويرسل عليها شعاعها .

وقال آخرون : هو صفو لطيف ينعقد من ماء البحر .

وقال آخرون : هو أجزاء كثيرة مجتمعة من النار .

وقال آخرون : هو جوهر خامس سوى الجواهر الاربع .

---

(١) التوحيد : ٢٨١ .

---

(١٢٣)

(سورة هود)

* وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء . [الآية : ٧]

في أصول الكافي ، عن محمد بن الحسن ، عن سهل بن زياد ، عن ابن محبوب ، عن عبد الرحمن بن كثير ، عن داود الرقي ، قال سألت : ابا عبد الله . عليه السلام . عن قول الله عز وجل « وكان عرشه على الماء » .

فقال : ما يقولون ؟

قلت : يقولون ان العرش كان على الماء والرب تعالى فوقه .

فقال : كذبوا ، من زعم هذا فقد صير الله محمولاً ، ووصفه بصفة المخلوق ، فلزمه ان الشيء الذي يحمله اقوى منه .

قلت : بين لي جعلت فداك ؟

فقال : ان الله حمل دينه وعلمه الماء قبل ان تكون ارض او سماء او جن او شمس او قمر ، فلما اراد ان يخلق الخلق نشرهم بين يديه ، فقال لهم : من ربكم ؟

فأول من نطق رسول الله . صلى الله عليه وآله . وأمير المؤمنين والائمة . عليهم السلام . فقالوا : انت ربنا ، فحملهم العلم والدين ، ثم قال للملائكة : هؤلاء حملة ديني وعلمي وامنائي في خلقي وهم المسؤولون الحديث (١) .

قال السيد الداماد : كثيراً ما وقع اسم الماء في التنزيل الكريم وفي

---

(١) اصول الكافي : ١ / ١٣٢ . ١٣٣ ح ٧ .

---

(١٢٤)

الاحاديث الشريفة على العلم ، وعلى العقل القدسي الذي هو حامله ، واسم الارض على النفس المجردة التي هي بجوهرها قابلة للعلوم والمعارف .

ومنه قوله عز سلطانه « وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج » (١) على ما قد قرره غير واحد من ائمة التفسير ، فكذلك قول مولانا ابي عبد الله . عليه السلام . في هذا الحديث . الماء تعبير عن الجوهر العقل الحامل لنور العلم من الانوار العقلية القدسية (٢) .

وتعقبه بعض (٣) من تأخر عنه ، بأن هذه التأويلات في الاخبار جرأة على من صدرت منه ، والاولى تسليمها ورد علمها اليهم .

ويحتمل ان يكون المراد بحمل دينه وعلمه على الماء انه تعالى جعله مادة قابلة لان يخلق منه الانبياء والاوصياء ، الذين هم قابلون وحاملون لعلمه ودينه .

او ان علمه لما كان قبل خلق الاشياء غير متعلق بشيء من الموجودات العينية ، بل كان عالما بها وهي معدومة ، فلما اوجد الماء الذي هو مادة سائر الموجودات ، كان متعلقا لعلمه به وبما يوجد منه ، فلعل هذا الكلام اشارة اليه ، مع انه لا يمتنع ان يكون الله افاض على الماء روحا واعطاه علما (٤) .

أقول : كل من قال بوجود العقل المجرد ذاتا وفعلا ، قال بقدمه المستلزم لقدم العالم ، والقائل بالقديم سوى الله وان كان اماميا ، كافر باجماع المسلمين .

كما صرح به آية الله العلامة في جواب من سأله عمن يعتقد التوحيد والعدل والنبوة والامامة ، ولكنه يقول بقدم العالم ، ما يكون حكمه في الدنيا والاخرة ؟

---

(١) الحج : ٥ .

(٢) التعليقة على اصول الكافي : ٣١٩ . ٣٢٠ المطبوع بتحقيقنا .

(٣) المراد به صاحب بحار الانوار قدس سره « منه » .

(٤) مرآة العقول : ٢ / ٨١ . ٨٢ .

متى اعتقد القدم فهو كافر بلا خلاف ، فان الفارق بين المسلم والكافر ذلك ، وحكمه في الاخرة حكم باقي الكفار بالاجماع (١) .

وبمثله قال المعقب قدس سره في الفرائد الطريفة في شرح الصحيفة (٢) ، وصرح فيه بأن حدوث العالم من ضروريات الدين .

فقوله هنا بكون هذا التأويل جرأة لا كفراً : اما مراعا منه للسيد ، ولا موضع لها ، اذ الحق أحق ان يتبع . او غفلة منه عما يلزمه .

وهذا من السيد مع قوله بالحدوث الدهري والزمان التقديري واصراره عليه غريب .

واغرب منه قوله بوقوع اسم الماء في القرآن والحديث على العقل المجرد القائم بذاته كثيرا .

ولو كان الامر على ما زعمه ، لكان القول بالقديم بالزمان ، مما لا مدفع له ، فكيف صار كفراً عندهم ؟

وعلى تقدير وقوع اسم الارض في الآية على النفس المجردة والماء على العلم ، لا يلزم منه وقوعه على ذلك العقل القديم ، كيف ؟ وهم ينكرونه ويكفرون القائل به .

مع ان في التفاسير المشهورة المتداولة ، كتفسير الزمخشري والبيضاوي ومجمع البيان وما شاكلها ، ليس منه عين ولا اثر . والعجب ممن يدعي كثرة وقوع شيء لم يقع قط .

وبالجملة وقوع اسم الارض على النفس المجردة والماء على العلم في الآية ، لو سلم له ذلك ، مع انه تفسير بالرأي الممنوع ، لا يستلزم وقوع اسم الماء على العقل المجرد ذاتاً وفعلاً في القرآن والحديث .

---

(١) اجوبة المسائل المهنائية : ٨٨ . ٨٩ .

(٢) الفرائد الطريفة : ١٠٩ المطبوع بتحقيقنا .

فما استشهد به على اثبات المدعى ، فهو تقدير تمامه لا يشهد له ، وهو لم يذكر آية ولا رواية ولا قولاً يعبأ بقائله يدل على ذلك الوقوع .

ومن الغريب ان يحمل اللفظ على خلاف ظاهره المخالف لا جماعهم واخبارهم من دون شاهد من الكتاب والسنة ، ولا دليل قاطع من العقل .

فان ادلة وجود العقل مدخولة ، فلا يمكن اثباته بها ، وما لا يكون ثابتا بالدليل العقلي اذا كان مخالفا لاجماعهم واخبارهم ، فهو باطل ولا يميل الى تجويز الباطل عاقل .

فقوله ان الماء في هذا الحديث عبارة عن الجوهر العقل القدسي ، مجرد دعوى بلا دليل ، لا يشهد له عقل ولا نقل ، لان لفظ الماء لم يوضع في اللغة ولا في الشرع للعقل الاول ، ولا علاقة بينهما مصححة ، ولا قرينة هنا ليكون الاطلاق مجازيا .

ولم يذهب اليه احد من مفسري المتكلمين في آية ، ولا احد من المحدثين في رواية ، فالتعبير عنه به من دون شياع استعماله فيه ، بل ومع عدم استعماله فيه قطعا ، من قبل التعبير عن آسمان بريسمان من غير قرينة .

فكيف يصح هذا ويسوغ لعاقل ، ولا سيما لمثل السيد الداماد الحكيم المتكلم المتشرع العارف

بمحاورات العرب ومواقع استعمالاتهم ، ان يقول به لا على وجه الاحتمال والامكان ، بل على سبيل القطع ، كأنه اقام عليه قاطع البرهان .

وبمثل هذا التأويل القبيح المستكره ضل وأضله من أضل ، ثم غلطه في التأويل ودعواه ما لا اصل له فيه ، وحمله الكلام على ما لا يحتمله ، كله سهل في جنب اعتقاده هذا لو مات عليه ولم يرجع عنه ، نعوذ بالله منه .

والظاهر ان هذا خطر بباله ، فكتبه ذاهلا عما يلزمه من المفاسد ، او كان ذلك لشدة ميله ومحبته على ما نسجه الفلاسفة وخمنوه ، فكان كما ورد في الخبر : حبك للشيء يعمي ويصم .

---

(١٢٧)

ونحن نرجو من الله الكريم ان يكون قد هداه قبل مشاهدته الدار الاخرة ، برجوعه عن هذا الاعتقاد السخيف المخالف للاجماع والاخبار المستلزم للكفر ، اعاذنا الله من موبقات الاسلام ، وما يمنعنا عن الوصول الى دار السلام بمحمد وآله الكرام عليهم السلام .

أقول : وفي كلام المعقب ايضا نظر .

أما أولاً : فلان معنى خلق شيء من شيء جعل ذلك الشيء ، وهو مدخول من مبدأ تكونه ومنشأ وجوده ، كخلق الانسان من الطين او النطفة ، قال الله تعالى « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين» (١) .

فالانبياء والاوصياء لكونهم من سنخ الانسان ، مخلوقون : اما من طين ، او من ماء مهين وهي النطفة .

فكيف يقال : انهم خلقوا من تلك المادة ، وهي بدون الحياة غير قابلة للعلم والدين ، ومعها لان يخلق منها سادة الانبياء والاوصياء المرضيين .

والظاهر من كلامه ان مراده ان وصف الماء بأنه حامل لدينه وعلمه مجاز ، باعتبار انه سيصير جزءً مادياً لمن هو حامل لدينه وعلمه ، وهذا كما ترى مع انه لا اختصاص له بالماء ، بل سائر العناصر كذلك .

الا ان يقال : ان الماء لما كان اول حادث من اجرام هذا العالم خص بذلك ، وهذا بعيد من كلامه .

ثم ان الحديث انما دل على ان حملة هذا العلم والدين ، هم نبينا واوصياؤه لا قاطبة الانبياء والاوصياء . عليهم السلام .

وأما ثانيا ، فلان معنى حمل العمل ، لكونه عرضا من الكيفيات النفسانية القائمة بها هو الاتصاف

به ، فكل من اتصف بعلم فهو حامله ، وذلك العلم

---

(١) المؤمنون : ١٣ .

محموله . ومن المعلوم ان متعلق العلم وهو المعلوم ، لا يكون متصفا بذلك العلم ، فكيف يقال هو حامله ؟

وأما ثالثاً ، فلانه تعالى قبل خلقه الاشياء انما كان عالماً بها ، بالعلم الاجمالي الحاصل له من علمه بذاته الذي هو عين ذاته من غير حاجة له في ذلك الى امر مغاير لذاته .

ولا شك ان متعلق هذا العلم وهو ذاته بذاته ، كان موجودا عينياً . وأما علمه بالاشياء وهي معدومة بغير هذا الطريق ، فلا يتصور له معنى ، لانه فرع ثبوتها وتمايزها ، ولا تمايز بينها ، فكيف كان عالماً بها وهي معدومة ؟ والعلم بها يقتضي التمايز .

وأما رابعاً ، فلان ظاهر كلامه يفيد ان الماء اول موجود عيني تعلق به علمه تعالى ، ولا كذلك هو .

أما اولاً ، فلما جاء في السفر الاول من التوراة : ان الله خلق جوهراً ، فنظر اليه نظر الهيبة ، فذابت اجزاؤه فصارت ماءاً ، ثم ارتفع منه بخار كالدخان ، فخلق منه السموات ، وظهر على وجه الماء زبد ، فخلق منه الارض ، ثم ارساها بالجبال .(١) وعلى هذا فذلك الجوهر اول موجود عيني تعلق به علمه تعالى .

وأما ثانياً ، فلما ورد في الخبر عن سيد البشر انه قال : اول ما خلق الله نوري . (٢) وفي رواية : روحي . وفي اخرى : القلم . فكان ذلك النور او الروح او القلم او موجود عيني تعلق به تعالى ، لا هذا الماء .

وأما خامساً ، فلان الماء لو كان قد افيض عليه الروح واعطي له العلم والدين ، فاما مع كونه محلا وقابلا لذلك الفيض ، او لا معه .

فان كان الاول والمبدأ الفياض لا بخل فيه ولا منع من جانبه ، فلم اخذ منه

---

(١) الملل والنحل : ٢ / ٦٤ .

(٢) عوالي اللآلي : ٤ / ٩٩ .

---

(١٢٩)

الروح وسلب عنه العلم والدين .

وان كان الثاني ، كان ذلك وضعا للشيء في غير محله ، فكان ظلماً ، وهو تعالى غني عن ذلك ، وقد ورد من وضع الحكمة في غير أهلها جهل ، ومن منع اهلها ظلم ، فأعط كل ذي حق حقه .

وقال الفاضل الصالح المازندراني في شرح قوله « وحمل دينه وعلمه الماء » اي : حمل الماء عبادته وطاعته ، او سلطانه ومعرفته وعلمه بحقائق الاشياء ، وخواصها وآثارها وكمياتها ومقاديرها وكلياتها وجزئياتها ، على ما هي عليه في نفس الامر .

ولا يبعد ان يقال : تحميل ذلك على الماء باعتبار ان فيه جزءً مادياً لمحمد وآله الطاهرين .

وقال بعض المحققين : المراد بالماء هنا العقل القدسي الذي هو حامل عرش المعرفة ، هذا كلامه (١) .

وفيه نظر يعرف مما سلف .

ثم انت خبير بأن لا منافاة بين قوله « اول ما خلق الله نوري او روحي او القلم » وبين ما في التوراة ، لان هذا في الجوهر الجسمانية ، وذلك في الجواهر الروحانية .

وانما المنافاة بينه وبين ضعيفة داود الرقي السابقة ، لان النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ لما كان اول من تشرف بعناية الله وصار مظهر جلاله وجماله ، والمقرر عندهم ان اول خلق الله اشد مناسبة بذاته تعالى ، اذ لا واسطة بينه وبين خالقه ، كان هو حامل دينه وعلمه بلا واسطة .

فكيف يقال : ان الله حمل دينه وعلمه الماء قبل ان يخلق النبي وآله ـ عليهم السلام ـ فلما خلقهم واقروا بربوبيته حملهم العلم والدين .

---

(١) شرح الكافي للعلامة المازندراني : ٤ / ١٤٩ .

---

(١٣٠)

وبالجملة روحه اول ما تعلقت به القدرة الازلية ، لما سبق ان الله تعالى لما خلقه كان الله ولم يكن معه شيء آخر ، كان هو مجمع صفاته الذاتية ، من العلم والحياة والقدرة والارادة وغيرها ، فكان هو اول موجود عيني تعلق به علمه تعالى لا غير .

وهم لما غفلوا عن هذا اخذوا في تأويل هذا الخبر بمثل هذه التكلفات .

ولو جاز مثل هذه الاحتمالات ، لجاز ان يقال : ان المراد بالماء في هذا الخبر ما نقل عن تاليس المطلى : ان المبدأ الاول ابدع العنصر الذي فيه صور الموجودات والمعدومات كلها ، فانبعث من كل صورة موجود في العالم على المثال الذي في العنصر الأول ، فحمل الصور ومنبع الموجودات هو ذات العنصر . وما من موجود في العالم العقلي والعالم الحسي الا وفي ذات العنصر صورة ومثال منه فيكون قوله « ان الله حمل علمه الماء » اشارة الى هذا .

هذا وظني ان الاولى : اما رد علمه الى قائله ، كما قال به هذا القائل قدس سره ، وليته كان يكتفي بهذا القدر . او طرحه لضعفه ومنافاته الخبر المشهور المنصور .

ويحتمل قوياً ان يكون من موضوعات عبد الرحمن بن كثير ، فانه ضعيف كان يضع الحديث كما صرحوا به . ومثله في الضعف والكذب سهل بن زياد الادمي الرازي ، فلا اعتماد على ما روياه ، وخاصة اذا خالف المشهور وناقض المنصور .

فان قلت : قد ورد ان اول ما خلق الله العقل (١) .

قلت : اول ما خلقه هو نفس النبي . صلى الله عليه وآله . وهي من حيث انها تدرك الاشياء كما هي عقل ، ومن حيث انها يهتدى بها نور ، ومن حيث انها باعث حياة الخلق بالمعرفة والعبادة روح ، ومن حيث انها مظهر الحقائق

---

(١) عوالي اللآلي : ٤ / ٩٩ .

والدقائق قلم .

وأما قول بعض الحكماء : ان النفوس حادثة بحدوث الابدان ، فغير مسلم ، كيف وكثير من الروايات ناطقة بخلافه .

منها : صحيحة بكير بن اعين عن الباقر . عليه السلام . المذكورة في الكافي : خلق الله ارواح شيعتنا قبل ابدانهم بألفي عام (١) .

وفي رواية اخرى : ان الله خلق الارواح قبل الاجساد بألفي عام (٢) .

واليه ذهب قوم ، منهم الصدوق رحمه الله حيث قال : انها الخلق الاول ، لقول النبي . صلى الله عليه وآله : اول ما ابدع الله سبحانه هي النفوس المقدسة المطهرة ، فأنطقها بتوحيده ، ثم خلق بعد ذلك سائر خلقه (٣) .

وعنه . صلى الله عليه وآله : اول ما خلق الله عز وجل ارواحنا ، فأنطقنا بتوحيده وتمجيده ، ثم خلق الملائكة ، فلما شاهدوا ارواحنا نورا واحدا استعظموا امورنا ، فسبحنا لتعلم الملائكة انا خلق مخلوقون وانه منزه عن صفاتنا ، فسبحت الملائكة بتسبيحنا ونزهته عن صفاتنا الحديث .

وفي رواية اخرى : يا محمد اني خلقتك وعلياً نوراً . يعني روحاً بلا بدن . قبل ان اخلق سمواتي وارضي وعرشي وبحري ، فلم تزل تهللني وتمجدني (٤) .

وفي مسند احمد بن حنبل عن زاذان عن سلمان ، قال : سمعت حبيبي رسول الله . صلى الله عليه وآله . يقول : كنت انا وعلي نوراً بين يدي الله تعالى قبل ان يخلق آدم بأربعة عشر الف عام (٥) .

---

(١) اصول الكافي : ١ / ٤٣٨ ح ٩ .

(٢) اصول الكافي : ١ / ٤٣٨ ح ١ .

(٣) رواه في رسالته في الاعتقادات : ٧٥ .

(٤) اصول الكافي : ١ / ٤٤٠ ح ٣ .

(٥) المناقب لابن المغازلي : ٨٩ .

والاخبار في ذلك اكثر من ان تحصى ، وبعضها يدل على ان ارواحهم كانت متعلقة بأبدان مثالية ، ولا استبعاد فيه ، اذ كما يجوز تعلق الارواح بعد خراب الابدان بأبدان مثالية ، جاز تعلقها بها قبل تعلقها بهذه الابدان ، كما دل عليه كثير من الاخبار .

وليس هذا من التناسخ الممنوع في شيء ، كما قررنا في تعليقاتنا على الاربعين للشيخ بهاء الدين رحمه الله .

والقول بأن تلك النفوس في تلك المدة المتطاولة ان كانت كاسبة فأين مكسوباتها ، وان لم تكن بل كانت مهملة معطلة لزم التعطيل ، مع انه لا وجه لتعطلها مع بقائها وبقاء ما تعلقت هي بها من الابدان المثالية .

فيلزم ان يكون لكل انسان منهم علوم وكمالات ، او نقصان وجهالات ، ولا اقل من ان يتذكر شيئا من احوال ذلك البدن ، لان محل العلم والتذكر انما هو جوهر النفس الباقي .

الا يرى ان اهل الاخرة يتذكرون كثيرا من احوال الدنيا ، حتى يقول اهل الجنة لاهل النار « ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً » (١) .

مجاب بأن توغلهم في هذا البدن ، شغلهم عن ذلك ومنعهم ، ولذلك كان غير المتوغلين منهم كأئمتنا صلوات الله عليهم متذكرين بأحوال ذلك البدن .

حيث اخبروا بأنهم كانوا يعبدون الله بالتسبيح والتهليل ، وبأن الملائكة لما استعظموا شأنهم سبحوا ، ليعلموا انهم مخلوقون مربوبون ، وان الله منزه عن صفاتهم ، الى غير ذلك من احوال ذلك البدن ، كما هو مذكور في محله .

فان قلت : يؤيد قول الحكماء قوله تعالى : « ثم انشأناه خلقاً آخر » (٢) اراد به الروح ، ولفظة « ثم » تفيد التراخي ، فدلت على ان خلقها بعد تكون البدن .

---

(١) الاعراف : ٤٤ .

(٢) المؤمنون : ١٤ .

قلت : دلالة الآية عليه ظنية ، لجواز ان يراد بقوله « ثم انشأناه » جعل النفس متعلقة بالبدن ، فيلزم منه عدم تقدم تعلقها لا عدم تقدم ذاتها ، والرواية وان كانت ظنية المتن ، الا انها قطعية الدلالة ، وفي القول بها جمع بين الدليلين ، وهو اولى من الغاء احدهما رأساً .

والاظهر ان يقال : ان المراد بالعرش في الآية العالم الجسماني ، كما هو احد معانيه المستفادة من الاخبار ، يعني : كان بناء العالم الجسماني على الماء .

(١٠/٨)

وذلك ان اول ما ابدعه الله تعالى من الاجسام هو الماء ؛ لانه قابل لكل صورة ، ثم حصلت الارض منه بالتكثيف والهواء والنار بالتلطيف ، اذ الماء اذا لطف صار هواءً ، وتكونت النار من صفوة الماء ، والسماء تكونت من دخان النار ، كذا نقل عن تاليس الملطى في رواية اخرى عنه .

ويقال : انه اخذه من التوراة ، لكنه ينافيه ما سبق نقله عن السفر الاول من التوراة ، فتذكر .

قال صاحب الملل والنحل : نقل عنه ان المبدع الاول هو الماء ، ومنه ابدع الجواهر كلها من السماء والارض وما بينهما ، فذكر ان من خموده تكونت الارض ، ومن انحلاله تكون الهواء ، ومن صفوة الهواء تكونت النار ، ومن الدخان والابخرة تكونت السماء ، ومن الاشعال الحاصل من النار الاثير تكونت الكواكب ، فدارت حول المركز دوران المسبب على السبب بالشوق الحاصل اليه .

ثم قال : ان تاليس الملطى انما تلقى مذهبه من المشكاة النبوية (١) .

يعني نقل عن التوراة . وقريب منه ما ورد في طريق اهل البيت . عليهم السلام .

وفي روضة الكافي عن ابي جعفر . عليه السلام . في حديث طويل ، ولكنه تعالى كان اذ لا شيء غيره ، وخلق الشيء الذي جميع الاشياء منه ، وهو

---

(١) الملل والنحل : ٢ / ٦٣ . ٦٤ .

الماء الذي خلق الاشياء منه ، فجعل نسب كل شيء الى الماء ، ولم يجعل للماء نسباً يضاف اليه ، وخلق الريح من الماء (١) .

وحمل بعض (٢) المتفلسفة العرش في الآية على العالم الجسماني ، والماء على المادة التي لها قبول خير وشر ، كالماء القابل للتشكلات المختلفة .

ثم قال : ولك ان تعمم المادة التي عبر عنها بلسان الشرع بالماء بما يشمل مادة الارواح ، فان التحقيق الاتم يقتضي ان لا تخلو الارواح من مادة ، وهي منشأ امكانها الذاتي القابل للوجود الخاص ، ومبدأ استعدادها الفطري ، لامتثال امر « كن » في علم الله سبحانه .

فان كل ممكن جسما كان او روحا ، فهو زوج تركيبي ، له عدم من نفسه ، ووجود من ربه ، تميز عدمه بذلك الوجود ، وتخصص به ، احدهما بمنزلة المادة والاخر بمنزلة الصورة .

وباعتبار تقدم القابل على المقبول ورد اول ما خلق الله الماء ، ولكون القابل ليس من عداد المخلوق بل هو شرط له ورد اول ما خلق الله العقل .

أقول : قد عرفت ان اولية الاول بالاضافة الى الجواهر الجسمانية ، والثاني بالنسبة الى الجواهر الروحانية ، وهو الاول بالحقيقة ، والمراد به نفس النبي . صلى الله عليه وآله . لانها من حيث تدرك الاشياء كما هي عقل ، وليس المراد به ما يقوله الفلاسفة ، لانه يباين قواعد الملة .

والمذكور في بعض الروايات ان الله خلق الماء ثم خلق منه الارض ، ثم مكث ما شاء ، ثم خلق من دخان ساطع من الماء السماء .

والتوفيق بين قوله « هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى

---

(١) روضة الكافي : ٨ / ٩٤ .

(٢) المراد به صاحب الوافي في بعض رسائله « منه » .

الى السماء فسواهن سبع سموات » (١) وقوله « ءأنتم اشد خلقاً ام السماء بناها * رفع سمكها فسواها * واغطش ليلها واخرج ضحاها * والارض بعد ذلك دحاها » (٢) .

يقتضي ان يكون الله خلق الارض اولاً جرماً صغيراً ، ثم خلق السماء طبقة واحدة ، ثم دحا الارض وخلق ما فيها ، ثم جعل السماء سبع طبقات . واصول الفلاسفة تباين ذلك كله على وجه لا يمكن الجمع بينهما بوجه .

فحمل الماء على المادة القديمة ، والقول بأن بناء العالم الجسماني كان على الماء ، اي : المادة قاصدا بذلك تطبيق النقل على العقل ، عديم الفائدة .

هذا وظاهر تفاسير العامة تفيد انهم حملوا العرش على الجسم المحيط بجميع الاجسام ، وهو ايضا احد معانيه المستفادة من الاخبار (٣) ، والماء على الجسم المعروف .

(١٢/٨)

قال البيضاوي بعد قوله تعالى : « وكان عرشه على الماء » لم يكن حائلاً بينهما ، لا انه كان موضوعا على متن الماء ، واستدل به على امكان الخلأ ، وان الماء اول حادث بعد العرش من اجرام هذا العالم . ثم قال وقيل : كان الماء على متن الريح (٤) .

اقول : وعلى هذا القول لا يلزم امكان الخلأ ، ولكنه يخالفه ما سبق من

---

(١) البقرة : ٢٩ .

(٢) النازعات : ٢٧ . ٣٠ .

(٣) يظهر من الاخبار ان العرش يطلق على الجسم المحيط بجميع الاجسام وعينه ، مع ما فيه من الاجسام ، وهو العالم الجسماني ، ونحن قد اشرنا اليه آنفاً وسابقاً . وقد يراد به جميع ما سوى الله في الارواح والاجسام . وقد يطلق على علم الله المتعلق بما سواه ، وبناء ضعيفة داود عليه . وقد يراد به علم الله الذي اطلع عليه انبياءه وحججه . عليهم السلام . « منه » .

(٤) انوار التنزيل : ١ / ٥٥٤ .

حديث الروضة .

ويوافقه ما في تفسير علي بن ابراهيم بسند صحيح في حديث الابرش انه قال لابي عبد الله . عليه السلام : اخبرني عن قول الله « او لم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقاً ففتقناهما »

(١) فما كان رتقهما ؟ وبما كان فتقهما ؟
فقال ابو عبد الله ـ عليه السلام ـ : يا أبرش هو كما وصف نفسه ، وكان عرشه على الماء ، والماء على الهواء ، والهواء لا يحد ، ولم يكن يؤمئذ خلق غيرهما ، والماء يؤمئذ عذب فرات ، فلما اراد الله ان يخلق الارض امر الرياح فضربت الماء حتى صار موجاً ، ثم ازبد فصار زبداً واحداً ، فجمعهم في موضع البيت ، ثم جعله جبلاً من زبد ، ثم دحا الارض من تحته .
فقال الله تبارك وتعالى « ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً » (٢) ثم مكث الرب تبارك وتعالى ما شاء .

(١٣/٨)

فلما اراد ان يخلق السماء امر الرياح فضربت البحور حتى ازبدت ، فخرج من ذلك الموج والزبد من وسطه دخان ساطع من غير نار ، فخلق منه السماء ، وجعل فيها البروج والنجوم ، ومنازل الشمس والقمر واجراها في الفلك .
وكانت السماء خضراء على لون الماء الاخضر ، وكانت الارض غبراء على لون الماء العذب ، وكانا مرتوقتين ليس لهما ابواب ، ولم تكن للارض ابواب وهي النبت ، ولم تمطر السماء عليها ، فنبت ففتق السماء بالمطر ، وفتق الارض بالنبات ، وذلك قوله « أو لم ير الذين كفروا » الآية .
فقال الابرش : والله ما حدثني بمثل هذا الحديث احد قط ، اعد عليّ ، فأعاده عليه ، وكان الابرش ملحداً فقال : وانا اشهد انك ابن نبي ثلاث مرات (٣) .

---

(١) الانبياء : ٣٠ .
(٢) آل عمران : ٩٦ .
(٣) تفسير القمي : ٢ / ٦٩ ـ ٧٠ .

ولا يذهب عليك ان قوله ـ عليه السلام ـ « ولم يكن يومئذ خلق غيرهما » اي : خلق من هذا العالم الجسماني ، يدل على ان العرش بمعنى الجسم المحيط لم يكن يومئذ مخلوقاً ، والا لكان الهواء محدوداً .
وقوله « والهواء لا يحد » ينفيه ، فالمراد بكونه على الماء ما اشرنا اليه سابقاً ، والله اعلم بالصواب ، والصلاة على رسوله وآله الاطياب .
* الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار . [الآية : ٨]

حاصل معنى الآية الشريفة والله يعلم : « الله يعلم ما تحمل كل انثى » من ذكر وانثى ، وتام الخلق وناقصه ، وواحداً واثنين او اكثر .

« وما تغيض الارحام » اي : وما تنقص من تسعة اشهر في الحمل « وما تزداد » عليها ، فنقصان الارحام وضعها لاقل من تسعة اشهر ، وزيادتها وضعها لاكثر منها .

او المراد من النقصان السقط ، ومن الزيادة تمام الخلق ، واقل مدة الحمل ستة اشهر ، فقد يولد الولد لهذه المدة ويعيش .

« وكل شيء » في علمه بقدر معين لا يجاوزه ولا ينتقص عنه .

---

(١٣٨)

---

(١٣٩)

(سورة الرعد)

(١٤/٨)

---

* الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب . [الآية : ٢٨]

وذلك لان الذاكر في ذكره اذا توجه الى المذكور ، وهو الله تعالى ، غفل عن غيره ، فيذهل عن اسباب القلق والاضطرار ، ما يدهش الافئدة والالباب ، فعند ذلك يطمئن قلبه ويسكن .

واعلم ان للذكر درجات :

الاولى : ان يكون باللسان مع غفلة القلب .

الثانية : ان يكون بالقلب مع عدم استقراره فيه وعدم توجهه اليه إلا بتكلف واجتهاد .

الثالثة : أن يكون بالقلب مع إستقرار فيه ، بحيث لا يتوجه القلب الى غيره الا بالتكلف .

الرابعة : ان يكون بالقلب مع استقراره فيه واستيلائه عليه ، بحيث لا يشغل عنه اصلاً .

وانما يطمئن القلب بذكر الله اذا وقع على احد الوجوه الثلاثة الاخيرة على اختلاف مراتبها . وأما الاول ، فلا ، وان كان لا يخلو من فائدة ، فانه يمنع من التكلم بالباطل ، ويجعل اللسان معتادا بالخير .

فاللائق بحال الذاكر ان يحضر قلبه وان لم يحضره ، فاللائق به ان لا يتركه ، فان اللسان آلة الذكر كالقلب ، ولا يترك احدهما بترك الاخر ، فان لكل عضو عبادة ، وما لا يدرك كله لا يترك كله .

(سورة ابراهيم)

* وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار . [الآية : ٣٤]

عدم امكان احصاء نعم الله ، وذلك لان كل حادث مسبوق بأسباب غير متناهية ، ولكل دخل في وجوده ، فهو نعمة عليه .

وذلك لما تقرر عندهم ان العلة التامة للحادث لا بد وان تشتمل على امور غير متناهية متعاقبة ، والا يلزم التخلف عن العلة التامة ، فهذه كلها نعم عليه سابقة على الوجود غير متناهية .

ومن البين ان الحادث زمان وجوده متناه ، ولا يمكن احصاء الغير المتناهي في زمان متناه ، ضرورة ان احصاء الغير المتناهي يستدعي زماناً غير متناه .

واليه اشار سيدنا أمير المؤمنين . عليه السلام . فيما نقل عنه ان المراد بتلك النعمة نعمة الوجود ، وكذلك ان اريد بها النعم اللاحقة المسبوقة بالوجود لا يمكن احصاؤها ، لان في كل نفس نعميتن يلزمهما نعم اخرى ، ظاهرة وباطنة ، داخلة وخارجة .

بل الظاهر ان كل ما له دخل في نظام العالم ، فهو نعمة على ذلك الشخص ، اذ لولاه لاختل نظامه ، وباختلاله اختل ذلك الشخص ، كما لا يخفى .

---

(١٤٢)

---

(١٤٣)

(سورة النحل)

* فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم . [الآية : ٩٨]

ظاهر هذه الآية الشريفة يفيد وجوب الاستعاذة ، او استحبابها عند قراءة القرآن مطلقاً ، حتى انه لو قطعها في الاثناء بكلمة غير القرآن ، ثم اراد قراءته ، فعليه ان يستعيذ ثم يقرأ ، فيلزم وجوبها او استحبابها في كل ركعة يقرأ فيها .

ولكن الظاهر انه لم يذهب اليه احد من علمائنا ، فكأنهم حملوها على الاستحباب ، وانما اخرجوا منه غير الركعة الاولى من سائر الركعات ، للاجماع والاخبار ، فانها ايضا ظاهرة في الاستحباب في الركعة الاولى فقط .

وقال البيضاوي : والجمهور على انه للاستحباب ، وفيه دليل على ان المصلي يستعيذ في كل ركعة ؛ لان الحكم المرتب على شرط يتكرر بتكرره قياساً (١) .

(١/٩)

وهذا جيد ، لو كان مراده بالقياس هو القاعدة ، كما يقال : وقد يحذف كذا قياساً ، وحذف حرف الجر من « ان » قياس .

وأما اذا كان مراده به هو القياس الفقهي المحتاج الى الاصل والعلة ، فلا ، لعدم ظهورهما هنا وبطلانه ، فالتكرر والعموم ليس للقياس ، بل للعموم العرفي المفهوم من مثل هذه العبارة عرفاً ، كما في قوله تعالى : « واذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا » (٢) الآية.

---

(١) انوار التنزيل : ١ / .

(٢) المائدة : ٦ .

---

(١٤٤)

---

(١٤٥)

(سورة الكهف)

* قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً . [الآية : ١٠٩]

قد تطلق الكلمة مجازاً على معاني الالفاظ ، والموجودات العينية ، والعلم بالالفاظ ، كما ورد في حق عيسى . عليه السلام . « وكلمته القاها الى مريم » (١) وقال الله تعالى « اليه يصعد الكلم الطيب » (٢) .

وكما قيل : بسائط الموجودات حروف ، ومركباتها كلمات .

والمراد بالكلمات هنا متعلقات علمه تعالى ، وهي كعلمه تعالى غير متناهية . وماء البحر لكونه جسماً متناهياً ، لما ثبت من تناهي الابعاد ، فلو ضم مثله اليه لكان مجموعهما متناهياً .

لان الحاصل من حكم المتناهي الى المتناهي متناه ، ومعلوم ان المتناهي ينفد قبل نفاد غير المتناهي ، بل لا نفاد له ولا نسبة بينهما ، فالمفهوم هنا غير معتبر ، فتأمل .

---

(١) النساء : ١٧١ .

(٢) فاطر : ١٠ .

---

(١٤٦)

---

(١٤٧)

(سورة مريم)

* وان منكم الا واردها كان على ربك حتماً مقضياً . [الآية : ٧١]

ان قلت : ظاهر كثير من الاخبار المستفيضة ان المؤمن الموالي لا يدخل النار الكبرى ، وهذه الاخبار ينافي بظاهرها قوله تعالى « وان منكم الا واردها كان على ربك حتماً مقضياً » فانه صريح في انه لا يبقى بر ولا فاجر الا يدخلها .

قلت : الورود غير الدخول ، كما تدل عليه صحيحة الحسين بن ابي العلاء عن أبي عبدالله . عليه السلام . في هذه الأية ، حيث قال . عليه السلام . أما تسمع الرجل يقول : وردنا ماء بني فلان ، فهو الورود ولم يدخله (١) .

ويشيده قوله تعالى : « ولما ورد ماء مدين وجد عليه امة من الناس يسقون » (٢) فانه . عليه السلام . ورد الماء ولم يدخله .

وعن النبي . صلى الله عليه وآله . سئل عن المعنى ، فقال : ان الله تعالى يجعل النار كالسمن الجامد ويجمع عليها الخلائق ، ثم ينادي المنادي ان خذي اصحابك وذري اصحابي ، فوَ الذي نفسي بيده لهي اعرف بأصحابها من الوالدة بولدها (٣) .

قيل : والفائدة في ذلك ما روي في بعض الاخبار ، ان الله تعالى لا يدخل احدا الجنة حتى يطلعه على النار وما فيها من العذاب ، ليعلم تمام فضل الله

---

(١) تفسير القمي : ٢ / ٥٢ .

(٢) القصص : ٢٣ .

(٣) مجمع البيان : ٣ / ٥٢٦ .

---

(١٤٨)

عليه ، وكمال لطفه واحسانه اليه ، فيزداد بذلك فرحاً وسروراً بالجنة ونعميها .

ولا يدخل احداً النار حتى يطلعه على الجنة وما فيها من انواع النعيم والثواب ، ليكون ذلك زيادة عقوبة له وحسرة على ما فاته من الجنة ونعيمها .

وورد في بعض (١) الاخبار ان هذه الآية منسوخة بقوله عز وجل « ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون » (٢) وعلى هذا فلا اشكال .

---

(١) تفسير القمي : ٢ / ٥٢ .

(٢) الانبياء : ١٠١ .

(سورة طه)

*الرحمن على العرش استوى * له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى . [الايتان : ٥ . ٦]

« الرحمن » مبتدأ ، و « على العرش » متعلق بقوله « استوى » وهو خبر مبتدأ ، والجملة خبر مبتدأ محذوف ، اي : هو الرحمن استولى عليه وملكه ولا شريك له .

والعرش جميع ما سوى الله ، او سرير الملك ، جعلوه كناية عن الملك . يقال : فلان على العرش ، يراد انه ملك واستولى ، وان لم يقعد على السرير البتة .

وعن وهب : ان الارضين السبع على عاتق الملك ، والملك قدماه على الصخرة ، وهي ياقوتة من الجنة ، والصخرة على قرني ثور من الفردوس ، والثور على ظهر حوت من الكوثر ، والحوت على البحر ، والبحر على جهنم ، وجهنم على متن الريح ، ومتن الريح على حجاب من ظلمة ، والحجاب على الثرى ، والى الثرى ينتهي علم الخلائق من اهل السموات واهل الارض ، فذلك قوله تعالى « له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى » .

وقيل : ما تحت الثرى هو التراب الرطب مقدار خمسمائة عام تحت الارض ، ولولا ذلك لاحرقت النار الدنيا وما فيها ، وهي الصخرة التي تحت الارض السابعة ، وهي صخرة خضراء فيها كتب الكفار اسمها سجين .

وقيل : ان الارض على الماء ، والماء على الحوت ، وهو على الصخرة ، وهي

على قرني الثور ، وهو على الثرى ، ولا يعلم ما تحته الا الله تعالى (١).

* وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى [الآية : ٧]

اي : وان تجهر بذكر الله ودعائه ، فاعلم انه غني عن جهرك ، فانه يعلم السر واخفى . والسر ما لا يرفع به صوته ، واخفى ما يحدث به نفسه ولا يلفظ به .

وقيل : السر ما حدث به غيره خافضا به صوته ، واخفى ما خطر بباله ، او كلم به نفسه .

وقيل : السر ما تفكرت فيه ، واخفى ما لم يخطر ببالك وعلم الله ان نفسك تحدث به بعد زمان .

* فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى [الآية : ١٢]

روى الصدوق عليه الرحمة في كتاب كمال الدين وتمام النعمة باسناده عن سعد بن عبد الله القمي انه سأل القائم . عليه السلام . عن مسائل ، من جملتها انه قال قلت : فأخبرني يا بن رسول الله عن أمر الله تبارك وتعالى لنبيه موسى . عليه السلام . « فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى » فان فقهاء الفريقين يزعمون انها كانت من اهاب الميتة .

فقال . عليه السلام : من قال ذلك فقد افترى على موسى . عليه السلام . واستجهله في نبوته ، لان الامر فيها ما خلا من خطيئتين : اما ان تكون صلاة موسى . عليه السلام . فيها جائزة او غير جائزة .

فان كانت صلاته جائزة ، جاز له لبسهما في تلك البقعة ، اذ لم تكن مقدسة

---

(١) راجع نور الثقلين : ٣ / ٣٦٨ . ٣٧٢ .

مطهرة بأقدس (١) واطهر من الصلاة . وان كانت صلاته غير جائزة فيهما ، فقد اوجب على موسى . عليه السلام . انه لم يعرف الحلال من الحرام ، وما علم ما تجوز فيه الصلاة وما لم تجز ، وهذا كفر (٢) .

أقول : لا يخفى ما في هاتين الملازمتين من النظر ، لان جواز الصلاة فيهما لا نسلم انه يستلزم جواز لبسهما في تلك البقعة المقدسة لمكان الاحترام .

الا يرى انه يجوز لنا ان نصلي في نعالنا هذه ، ولا ندخل بها المشاهد المقدسة المطهرة ، بل نخلعها لنباشر تلك البقاع المتبركة بأقدامنا تبركاً واحتراماً .

ولذلك قيل : انه . عليه السلام . امر بخلع نعليه ، لان الحفوة تواضع وادب ، ولذلك طاف السلف

حافين .
وعلى تقدير تسليم الاستلزام ، فليس كلما يجوز ، يفعل لمكان الاحترام قيل : انه امر بخلع نعليه ، فان بساط الحق لا يوطأ بنعلين .
مع ان عدم جوازها فيهما لا يستلزم عدم جواز لبسهما مطلقا ، اذ ليس كلما لا تجوز الصلاة فيه لا يجوز لبسه ، لجواز لبسه في غيرها ، وفي غير تلك البقعة المباركة ، ولذا امر . عليه السلام . بخلعهما فيها احتراماً .

(٥/٩)

فظهر انه لا يلزم من عدم جوازها فيهما عدم معرفته . عليه السلام . الحلال من الحرام ، فالملازمة ممنوعة ، والسند ما مر .
وبالجملة فللخصم وهو عامة العامة . فان ذلك كان مذهبا لهم . ان يختار هذا الشق الثاني ويمنع الملازمة ، ويقول : انه . عليه السلام . كان عارف الحلال من الحرام ، وعالما بأنه لا تجوز الصلاة فيهما ، وكان يخلعهما في حالها ، الا انه كان يلبسهما في غيرها .
فلما وصل الى تلك الوادي وكانت مقدسة امر بخلعهما ليباشر الوادي

---

(١) في المصدر : وان كانت مقدسة مطهرة ، فليست بأقدس الخ .
(٢) كمال الدين : ٤٦٠ .

بقدميه تبركاً واحتراماً ، والصلاة في اهاب الميتة بعد دبغه وان جازت على مذهب الخصم ، الا ان المانع لا مذهب له .
نعم لا تجوز الصلاة بل الانتفاع مطلقاً باهابها ، وان دبغ على مذهبه . عليه السلام . ومذهب شيعته ، وهذا كلام آخر لا يكون حجة عليهم ، وهو . عليه السلام . في صدد الاحتجاج عليهم ، فتأمل .
ثم قال القمي : قلت فأخبرني يا مولاي عن التأويل فيهما ، قال : ان موسى . عليه السلام . ناجى ربه بالواد المقدس ، فقال : يا رب اني قد اخلصت لك المحبة مني ، وغسلت قلبي عمن سواك ، وكان شديد المحبة لاهله ، فقال الله تبارك وتعالى : « اخلع نعليك » أي : انزع حب اهلك من قلبك ان كانت محبتك لي خالصة ، وقلبك من الميل الى من سواي مغسولاً (١) انتهى .
وبين شدة محبته لاهله واخلاصها لله وغسله قلبه عما سواه منافرة ، والتعبير عن نزع حب الاهل بخلع النعلين بصيغة التثنية بعيد .

وفي معاني الاخبار : اخلع نعليك اي ارفع خوفيك ، يعني خوفه من ضياع اهله ، وقد خلفها تمخض ، وخوفه من فرعون ، ثم قال : وروي ان نعليه كانتا من جلد حمار ميت (٢) .

وقيل : « فاخلع نعليك » اي : فرغ قلبك عن ذكر الدارين .

وقيل : معناه فرغ قلبك من الاهل والمال .

وفي الفقيه سئل الصادق . عليه السلام . عن قول الله عز وجل لموسى « فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى » قال : كانتا من جلد حمار ميت (٣) .

---

(١) كمال الدين : ٤٦٠ .

(٢) علل الشرائع : ٦٦ . روي في كتاب علل الشرائع هذين الحديثين اعني كونهما من جلد حمار ميت وقوله « ارفع خوفيك » مسندين عن الصادق . عليه السلام . « منه » البحار : ١٣ / ٦٣ .

(٣) من لا يحضره الفقيه : ١ / ٢٤٨ ، برقم : ٧٥٠ .

---

(١٥٣)

وكان ذلك مذهباً للعامة ، فتكلم عنه بما يوافقهم للتقية .

وفي قوله « غسلت قلبي عمن سواك » دلالة على انه كان فيه سواه ولكنه غسله عنه .

وهذا دون ما نقل عن سيدنا أمير المؤمنين سلام الله عليه انه قال في جواب اعرابي سأله بقوله : بم نلت من المنزلة والزلفى ؟ قعدت على باب قلبي ، فلم ادع ان يدخله سوى الله . صلى الله عليه وعلى من انتسب اليه .

---

(١٥٤)

---

(١٥٥)

(سورة الانبياء)

* يسبحون الليل والنهار لا يفترون . [الآية : ٢٠]

في الاكمال عن الصادق . عليه السلام . انه سئل عن الملائكة اينامون ؟ فقال : ما من حي الا وهو ينام خلا الله وحده ، والملائكة ينامون ، فقيل : يقول الله عز وجل « يسبحون الليل والنهار لا يفترون » قال : انفاسهم تسبيح (١) .

كذا في الصافي في تفسير الآية المذكورة (٢) .
وهو بظاهره يخالف العقل والنقل .
أما الاول ، فلان جمهور الماليين على ان الملك شخص سماوي متكون من جنس العناصر التي منها تكونت السموات العنصرية ، فهو حي ناطق متحرك بالارادة ، مأمور تابع للاوامر الالهية ، والنوم حال يعرض للحيوان عند استرخاء اعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة ، بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس رأساً .

وعلى هذا فليس للملك نوم ، لانه وان كان كان حياً الا انه ليس بحيوان ، لانتفاء ما هو المأخوذ في تعريفه عنه ، ولعدم الابخرة هناك ، لانها تابعة للغذاء ، وهم لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون ، وانما يعيشون بنسيم العرش ، كما في رواية اخرى عن الصادق . عليه السلام (٣) .
وهو مع ذلك بعمومه المستفاد من الاستثناء ينافيه ما صرح به الحكماء ،

---

(١) اكمال الدين : ٦٦٦ ح ٨ .
(٢) تفسير الصافي : ٣/ ٣٣٤ .
(٣) بحار الانوار : ٥٩ / ١٧٤ .

من ان النفس الناطقة لا تنام بتة ، لانها في وقت النوم تترك استعمال الحواس الظاهرة ، وتبقى محصورة ليست بمجردة على حدتها ، فتعلم كل ما في العوالم وكل ظاهر وخفي .
ولو كانت هذه النفس تنام لما كان الانسان اذا رأى في النوم شيئا يعلم انه في النوم ، بل لا يفرق بينه وبين ما كان في اليقظة ، الى هنا كلام افينقورس الحكيم .
فان قلت : كلامه مبني على تجردها ، ولم يقم دليل عقلي عليه ، فلعل بناء الحديث على انها جسم سماوي روحاني ، كما قال به اكثر النصارى ، وطائفة من المسلمين ، وعلى هذا فلا دليل على امتناع نومها .
قلت : قوله « ولو كانت هذه النفس تنام ، لما كان الانسان اذا رأى في المنام شيئا يعلم انه في النوم ، بل لا يفرق بينه وبين ما كان في اليقظة » دليل واضح عليه .
فان كل نائم ما دام نائماً مسلوب عنه العلم والادراك : اما لتعطله ، او تعطل الآلة ، فنومها مع علمها اذا رأت في النوم شيئا بأنها في النوم ، لا يجتمعان ضرورة ، مادياً كان النائم ام مجرداً .

وليس كلامنا هنا في تجردها ، بل في عدم نومها ، وهو يثبت بهذا الدليل ، وكيف يصح القول بأن ما خلا الله كائناً ما كان ينام ، مع قوله . صلى الله عليه وآله . المجمع على روايته عن العامة والخاصة : عيني تنام وقلبي لا ينام .

فان كان المراد به النفس الناطقة المجردة ، كما هو احد اطلاقيه ، فهو يؤيد قول الحكماء : ان هذه النفس لا تنام .

وان كان المراد به ما هو المفهوم من ظاهر هذا اللفظ في عرف العام ، فهو ما خلا الله جل وعز ، وقد اثبت له عدم النوم .

واعلم ان اطلاق القلب على العقل شايع لغة وعرفاً ، وبذلك فسر في قوله

---

(١٥٧)

تعالى : « ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب » (١) .

ومن قال : قلب واع يتفكر في الحقائق ، اراد به ما قلناه ؛ لان التفكر من صفات العقل دون العضو المخصوص المتشكل بشكل مخصوص صنوبري ؛ لان ذلك موجود في الصبيان والمجانين مع عدم تحقق التذكر لهم .

وبالجملة يظهر من هذا الحديث المتفق عليه ان قلبه . صلى الله عليه وآله . وهو غير الله لا ينام ، ولا شك ان قلبه حي يصح ان ينام ولا ينام ، والا فلا وجه لسلبه عنه واختصاصه به .

اللهم الا ان يقال : المراد ان قلبي لا ينام في الاكثر . وفيه بعد .

وأما الثاني ، فلما مر ، ولما قال سيدنا أمير المؤمنين . عليه السلام . في خلقة الملائكة : وملائكة خلقتهم واسكنتهم سمواتك ، فليس فيهم فترة ، ولا عندهم غفلة ، ولا فيهم معصية ، هم اعلم خلقك بك ، واخوف خلقك لك ، واقرب خلقك منك .

واعلمهم بطاعتك ، لا يغشاهم نوم العيون ، ولا سهو العقول ، ولا فترة الابدان ، لم يسكنوا الاصلاب ، ولم تضمهم الارحام ، ولم تخلقهم من ماء مهين .

انشأتهم انشاءً ، فأسكنتهم سمواتك ، واكرمتهم بجوارك ، واتمنتهم على وحيك ، وجنبتهم الافات ، ووقيتهم البليات ، وطهرتهم من الذنوب ، ولولا قوتك لم يقووا ، ولولا تثبيتك لم يثبتوا ، ولولا رحمتك لم يطيقوا ، ولولا انت لم يكونوا .

أما أنهم على مكانتهم منك ، وطاعتهم اياك ، ومنزلتهم عندك ، وقلة غفلتهم عن امرك ، لو عاينوا ما خفي عنهم منك ، لا أحتقروا اعمالهم ، ولا زروا على انفسهم ، ولعلموا انهم لم يعبدوك حق عبادتك ، سبحانك خالقاً ومعبوداً ، ما احسن بلاؤك عند خلقك (٢) .

---

(١) ق : ٣٧ .

(٢) بحار الانوار : ٥٩ / ١٧٥ . ١٧٦ .

ويمكن ان يكون للملائكة نحو اخر من النوم غير نوم العيون ، ولذلك اضافه اليها لتفيد التخصيص .

فيمكن ان يغلب نومهم على سائر حواسهم ، ولا يغلب على عيونهم ، كما انه كان في نبينا . صلى الله عليه وآله . يغلب على عينه ولا يغلب على قلبه .

او يكون المراد بالنوم الغفلة من باب ذكر السبب وارادة المسبب . يعني : انهم احياناً يغفلون عن اوامر الله ، كما يشير اليه قوله . عليه السلام . « وقلة غفلتهم عن امرك » .

فيكون المراد ان غيره سبحانه يكون له نوع غفلة ، بخلافه فانه لا غفلة له اصلاً ، لا جزئية ولا كلية تمنعه عن حسن قيامه بتدبير الخلق وحفظه ، كما اشار اليه بقوله « لا تأخذه سنة ولا نوم » (١) فيكون عدم النوم والغفلة من خواصه سبحانه ، وعليه فما من حي الا وهو ينام خلا الله وحده .

وهذا التوجيه وان كان بعيداً عن لفظ الحديث ، الا ان التوفيق بين الاخبار مهما امكن خير من طرح بعضها رأساً ، والعلم عند الله وعند اهله .

* وذا النون اذ ذهب مغاضباً فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين * فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين . [الايتان : ٨٧ . ٨٨]

في كتاب التوحيد باسناده المتصل الى ابن عباس عن النبي . صلى الله

---

(١) البقرة : ٢٥٥ .

عليه وآله . انه قال : ما من الكلام كلمة احب الى الله عز وجل من قول لا اله الا الله ، وما من عبد يقول لا اله الا الله يمد بها صوته ، فيفرغ الا تناثر ذنوبه تحت قدميه ، كما يتناثر ورق الشجر تحتها (١) .

أقول : وانما صارت هذه الكلمة احب الكلمات الى الله عز وجل ، لانها اعلى كلمة واشرف لفظة نطق بها في التوحيد ، دالة على وجوده تعالى مفهوماً ، وعلى وحدته منطوقاً ، وعلى استجماعه جميع صفات الكمال ، وتنزهه عن جميع النقائض .

وليس في الاذكار ما يدل على ذلك دونها ؛ لانها : اما تمجيد ، او تنزيه ، بخلاف هذه الكلمة فانها جامعة بينهما ، منطبقة على جميع مراتب التوحيد ، توحيد الذات والصفات والافعال .

او يقال : لما كان الشريك وهو من يمنع صاحبه ان يتصرف فيما اشتركا فيه على ما يريد ، وهذا ينافي السلطنة والملك ابغض الاشياء اليه تعالى ، ولذا لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء .

كان احب الاشياء اليه نقيضه ، وهو التوحيد المدلول عليه بـ « لا اله الا الله » فكانت احب الكلمات اليه تعالى .

وبما قررناه ظهر وجه ما في خبر آخر نبوي : ما قلت ولا قال القائلون قبلي مثل لا اله الا الله (٢) .

وفي آخر عنه . صلى الله عليه وآله : قال الله جل جلاله لموسى : يا موسى لو ان السموات وعامريهن والارضين السبع في كفة ، ولا اله الا الله في كفة ، مالت بهن لا اله الا الله (٣) .

---

(١) التوحيد : ٢١ . ٢٢

(٢) التوحيد : ١٨ ح ١ .

(٣) التوحيد : ٣٠ ح ٣٤ .

وفي آخر عنه . صلى الله عليه وآله . ايضا : الايمان بضع وسبعون شعبة ، افضلها قول لا اله الا الله (١) .

وفي آخر علوي : ما من عبد يقول لا اله الا الله الا صعدت تخرق كل سقف ، لا تمر بشيء من سيئآته الا طلستها ، حتى تنتهي الى مثلها من الحسنات فتقف (٢) .

وفي آخر باقري : ما من شيء اعظم ثواباً من شهادة ان لا اله الا الله (٣) .

وفي آخر صادقي : قول لا اله الا الله ثمن الجنة . (٤) ونظائرها في الاخبار كثيرة .
وبالجملة احسن افراد الذكر قول لا اله الا الله ، لانها رأسها ، فينبغي الاكثار من قولها . وقد وردت في فضلها وشرفها واسرارها وخواصها من طريق الخاصة والعامة ما لا يكاد يحصى .
ولذا اختاره اهل السلوك لتربية السالكين ، وتهذيب المريدين ، وقد جمعت بين نفي الوهية ما سوى الله واثبات الوهيته ، وهي متعلقة بالجنان واللسان .
ومتفاوتة فيه ، فمنها : ما يكون باللسان وحده من غير حضور القلب ، وهي اضعف المراتب .
ومنها : ما يكون به مع استقرار واستيلاء بحيث يغفل عما عدا المذكور ، وهي المرتبة العليا والدرجة القصوى ، واليه الاشارة بقوله تعالى « ولذكر الله اكبر » (٥) .
ثم لا يذهب عليك ان قوله . صلى الله عليه وآله . « يمد بها صوته » يدل

---

(١) كنز العمال : ١ / ٣٥ ح ٥٢ .
(٢) التوحيد : ٢١ ح ١٢ .
(٣) التوحيد : ١٩ ح ٣ .
(٤) التوحيد : ٢١ ح ١٣ .
(٥) العنكبوت : ٤٥ .

على صحة مذهب من قال بأن تطويل المدة في لا اله الا الله مندوب اليه مستحسن .
لان المكلف في زمان التمديد يستحضر في ذهنه جميع ما سوى الله من الاضداد والانداد وينفيها ، ثم يعقب ذلك بقوله « الا الله » فيكون ذلك اقرب الى الكمال والاخلاص .
ومن الناس من يقول بأولوية ترك التمديد ، مستدلا بأنه ربما مات في زمان التلفظ بـ « لا » قبل الانتقال الى « الا » .
اقول : وهذا القول مع كونه مخالفا لقواعد التجويد ، ومناقضا لصريح الرواية . مدفوعة بأن من مات في زمن التلفظ بـ « لا » قبل الوصول الى « الا » لا شك انه مات مؤمناً ، لانه عقد بهذه الكلمة قلبه ، ثم اراد ان يخبر بما في ضميره ليكون ذلك دليلاً عليه ، فلم يجد مهلة ، فلم يلزم منه كفره ، وخاصة اذا كان المتلفظ بها مؤمناً .

وانما يلزم كفره او عدم انتقاله منه الى الايمان ان لو وجد من الفرصة ما امكنه ان يقول « الا الله » ثم لم يقل ومات .

وأما ما فصله الفخر الرازي ، واستحسنه الصدر الشيرازي ، واثنى عليه في رسالته المعمولة لتفسير آية الكرسي ، من ان المتلفظ بهذه الكلمة ان كان يتلفظ بها لينتقل من الكفر الى الايمان ، فترك التمديد اولى ، حتى يحصل الانتقال من الكفر الى الايمان بأسرع الوجوه .

وان كان مؤمناً وانما يذكرها للتجويد ، فالتمديد اولى ، لتحصل في زمانه سورة الاضداد في الخاطر وينفيها ، ثم يعقبها بقوله « الا الله » فيكون الاقرار بالالهية اصفى واكمل .

فهو مع كونه غير دافع لما سبق من اولوية ترك التمديد ، فما ذكره من

أولويته معارض به . وانما يدفعه ما ذكرنا مخالف لمذهبه ، فان الانتقال من الكفر الى الايمان على مذهبه قد حصل بمجرد التصديق القلبي ، كما هو مذهب الاشاعرة وهو منهم « وانما جعل اللسان على الجنان دليلاً » .

فهو على مذهبه كاشف عن ايمانه السابق على زمن التلفظ بهذه الكلمة لا مصحح له ومتمم .

نعم ما ذكره يصح على مذهب من قال : ان التصديق وحده ليس بايمان ، بل الايمان هو التصديق بالقلب مع الاقرار بالشهادتين ، كما هو المنقول عن ابي حنيفة ، واليه مال صاحب التجريد .

وبالجملة فالتمديد بها مطلقاً ، كما هو ظاهر الرواية ، حيث رتب تناثر الذنوب على قول لا اله الا الله لا مطلقا بل مقيدا بمد الصوت بها ، ليشعر بعليته للحكم ، مستحسن اليه مندوب .

بل الظاهر عندي ان الغرض من التمديد مجرد اللفظ وتحسينه على ما تقتضيه القوانين التجويدية ، لا الاستحضار المذكور .

فان المتلفظ بالكلمة ان كان عالما بوضع الفاظها ، يستحضر الاضداد وينفيها ، ويثبت الاله الحق بمجرد الالتفات الى معانيها ، مد صوته في « لا » ام لا .

وان لم يكن عالماً ، او كان ولم يكن ملتفتا ، فلم يتسير له الاستحضار ، مد ام لم يمد ، فان المدة لا توجب الاستحضار ، كما لا يخفى علي ذوي الابصار .

واعلم ان ترتب الثواب على قول « لا اله الا الله » مشروط بشروط لا يتحقق بدونها . منها : ان يكون قلبه مواطئا للسانه ، كما ورد في خبر آخر نبوي : ان لا اله الا الله كلمة عظيمة كريمة على الله عز وجل من قالها مخلصاً استوجب الجنة ، ومن قالها كاذباً عصمت ماله ودمه ، وكان مصيره

الى النار (١) .

---

(١) التوحيد : ٢٣ ح ١٨ .

فمن آمن بالله واليوم الاخر وبما جاء به الرسل ، ثم قال : لا اله الا الله ، ترتب عليه ثوابه .

فالمطلق مقيد ، او العام مخصص .

وهذا مما انعقد عليه اجماع الامة ، ودل عليه الكتاب والسنة ، قال الله تعالى « ومن أراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً » (١) .

وفي صحيح البخاري : عن وهب بن منبه قيل له : اليس لا اله الا الله مفتاح الجنة ، قال : بلى ولكن ليس مفتاح الا وله اسنان ، فان جئت بمفتاح له اسنان فتح لك والا لم يفتح .

(٢/١٠)

ومنها : الولاية لاهل الولاية ، كما يدل عليه قول الرضا . عليه السلام . بعد ان روى عن جده عن جبرئيل عن الله جل جلاله : لا اله الا الله حصني ، فمن دخل حصني امن من عذابي ، بشروطها وانا من شروطها (٢) .

وقال ابو سعيد الخدري : كان رسول الله . صلى الله عليه وآله . ذات يوم جالسا وعنده نفر من اصحابه فيهم علي بن ابي طالب . عليه السلام . اذ قال : من قال لا اله الا الله دخل الجنة ، فقال رجلان من اصحابه : فنحن نقول لا اله الا الله ، فقال رسول الله . صلى الله عليه وآله . : انما تقبل شهادة ان لا اله الا الله من هذا وشيعته الذين اخذ ربنا ميثاقهم (٣) .

وفي الكافي عن ابان بن تغلب عن الصادق . عليه السلام . قال : يا أبان اذا قدمت الكوفة فارو هذا الحديث من شهد ان لا اله الا الله وجبت له الجنة .

قال قلت : انه يأتيني من كل صنف من الاصناف ، أفأروي لهم هذا الحديث ؟

---

(١) الاسراء : ١٩ .

(٢) التوحيد : ٢٥ ح ٢٣ .

(٣) بحار الانوار : ٩٣ / ٢٠٢ ح ٤٠ ، عن ثواب الاعمال .

قال : نعم يا أبان ، انه اذا كان يوم القيامة وجمع الله الاولين والاخرين فيسلب لا اله الا الله منهم الا من كان على هذا الامر (١) .

ومنها ومن نظائرها يظهر ان من لم يكن موالياً لصاحب الولاية جعلت له الفداء ومن بعده من الائمة سلام الله عليهم ، تسلب منه ثمرة لا اله الا الله ، ويكون توحيده وتهليله في الدنيا مجرد تحريك لسان لا ينتفع به في الاخرة .

(٣/١٠)

فلا اشكال ولا منافاة بين الاخبار المطلقة الدالة على ان من قال لا اله الا الله فله الجنة ، او دخل الجنة . والدالة على عدم دخول مخالفينا الجنة ، وان بذلوا جهدهم وبالغوا في العبادات بين الركن والمقام ، حتى صاروا كالشن البالي ، فانهم ليسوا من اهل التوحيد المنتفعين بتوحيدهم في الاخرة ، لما فاتهم من الولاية ، الشديدة الحاجة اليها في تحقق الايمان ، الموجب لدخول الجنة ، فالمطلق بهذا الوجه ايضا مقيد .

ومنها : ان يكون الموحد تاركا للدنيا وزاهدا عنها ، فعن حذيفة عن النبي عليه وعلى آله السلام قال : لا يزال لا اله الا الله ترد غضب الرب جل جلاله عن العباد ما كانوا لا يبالون ما انتقص من دنياهم اذا سلم دينهم ، فاذا كانوا لا يبالون ما انتقص من دينهم اذا سلم دنياهم ثم قالوها ردت عليهم ، وقيل : كذبتم ولستم بها صادقين (٢) .

وهذا بعينه حال ابناء دهرنا هذا ، نعوذ بالله منهم اجمعين .

ومنها : الموافاة على التوحيد ، كما تدل عليه رواية ابي ذر عن النبي . صلى الله عليه وآله : ما من عبد قال لا اله الا الله ، ثم مات على ذلك الا دخل الجنة (٣) .

---

(١) أصول الكافي : ٢ / ٥٢٠ . ٥٢١ .

(٢) بحار الانوار : ٩٣ / ١٩٧ ح ٢٣ ، عن ثواب الاعمال .

(٣) كنز العمال : ١ / ٤٦ ح ١٢٠ وص : ٥٧ ح ١٨٣ .

وبالجملة المراد بالموحد الذي لا يعذب بالنار اذا كان محسناً ، بأن يكون توحيده يحجزه عما حرم الله ، وهو علامة اخلاصه ، او يدخل الجنة ولو بعد تعذيب برزخي اذا كان مسيئاً ، هو من كان موالياً ثم مات على ذلك ، والا فتسلب عنه فوائد لا اله الا الله .

فالاخبار المطلقة الواردة في هذا الباب ، كقوله . صلى الله عليه وآله : من مات ولم يشرك بالله شيئا

احسن او اساء دخل الجنة . (١) وقول الصادق . عليه السلام : ان الله حرم اجساد الموحدين على النار . (٢) وما شاكل ذلك مقيدة بما ذكرنا . فلا اشكال ولا تدافع .

(٤/١٠)

ثم لما كان مبدأ الكمالات وجوب الوجود ، كما ان منشأ النقائص امكان الوجود ، فالمعبود بالحق هو الذي ثبت له وجوب الوجود وانتفى عنه الامكان .

فمعنى « لا اله الا انت » لا واجب الوجود الا انت ، فحينئذ يصح تقدير الممكن والموجود في خبر « لا » النافية للجنس .

اما الاول ، فلان مفهومه ان الله يمكن ان يكون واجب الوجود ، فحينئذ يندفع فساده المشهور ، وهو ان اللازم امكان وجوده تعالى لا ثبوت وجوده ، فلا يتم التوحيد ، بأن ما يمكن ان يكون واجب الوجود ، فهو واجب الوجود ، والا يكون : اما ممتنع الوجود او ممكنه ، وعلى التقديرين لا يكون واجب الوجود ، والا لزم الانقلاب .

وأما الثاني ، فلان فساده وهو ان اللازم نفي وجود الشريك لا نفي امكانه ، مندفع بأن نفي وجوب الوجود عما سواه يستلزم نفي امكان وجوب الوجود ايضا ، والا لثبت له نقيضه ، وهو امكان وجوب الوجود ، فيثبت له وجوب الوجود كما سبق ، هذا خلف .

---

(١) التوحيد : ٣٠ ح ٣٢ .

(٢) التوحيد : ٢٠ ح ٧ .

وأما ما قيل من عدم الحاجة الى الخبر وان « الا الله » مبتدأ وخبره « لا اله » اذ كان اصل الله اله ، فلما اريد الحصر زيد لا والا ، ومعناه الله معبود بالحق لا غيره .

ففيه انه مع كونه مخالفا لما عليه النحاة من وجوب تقدير الخبر ، يرد عليه ان الاعتراض باق على حاله ، اذ لا معنى لرفع ذات الاله ، بل لا بد من نفي وجوده او امكانه .

ومنهم من قال : ان هذه الكلمة نقلت شرعا الى نفي الامكان والوجود عن اله سوى الله ، مع الدلالة على وجوده تعالى ، وان لم يدل عليه لغة .

وفيه ان هذه الكلمة مشهورة بكلمة التوحيد ، فمن قالها فهو موحد ، وان لم يعلم او يثبت عنده الحقائق الشرعية ، وكذا تقدير مستحق للعبادة لا يدل على نفي التعدد مطلقا ، بل على نفي المستحق فقط .

والصوفية لما رأوا دلالتها مفهوما على وجود غيره تعالى وراموا التفصي عنه اولوها بحمل كلمة « الا » على معنى الغير ، وجعلوها بدلاً عن محل اله المنفي ، فصار المعنى : انتفى غيره تعالى مطلقا لا في صفة الالوهية .

وهذا هو التوحيد العامي الذي هو نفي الشرك الاعظم الجلي ، المثبت بالدليل المعقول والمنقول ، قالوا : والمناقشة بأنه لا يلزم من انتفاء غيره ثبوته ، مندفعة ؛ اذ لا شك في وجود موجود ما .

وما ذهب اليه السوفسطائية ، من انه لا موجود في الحقيقة ، بل هو خيال ووهم . فهو خيال موهوم ، وامر بطلانه معلوم .

وأنت وكل من له ادنى بصيرة اذا صرف بصيرته نحو هذا الكلام يعرف ان الغرض منه نفي الوهية ما سوى الله واثبات الوهيته ، لا نفي ما سواه بالكلية واثبات وجوده فقط .

وهل يليق بالحكيم العليم ان يقول في كتابه العزيز الى رسوله الكريم

---

(١٦٧)

« فاعلم انه لا اله الا الله » (١) ويريد به وحدته في الوجود ؟ ! وهو يفيد وحدته في الالوهية .

وهم بمثل هذا التأويل المستكره يضلون ويضلون ، فطوبى للذين هم كما قال رسول الله . صلى الله عليه وآله : يحمل هذا العلم من كل خلف عدول ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين (٢) .

وعلى تأويلهم هذا ، فمعنى كون هذه الكلمة توحيد انها تفيد ان الوجود واحد ، ويلزم منه ان يكون الاله واحداً ، فتكون دلالتها على وحدة الوجود مطابقة ، وعلى وحدة الاله التزاماً .

وهذا كما ترى صرف للكلام عن وجهه ، بل ابطال له بالكلية . وانما صرفوه الى ذلك ، وهم يعلمون قطعاً انه ليس المراد به ذلك ، لتغرير الناس في دعوتهم الى مذاهبهم الفاسدة وآرائهم الكاسدة ، فنزلوا القرآن على طبق رأيهم ومذهبهم ، وفسروه بأهوائهم واشتهائهم ، على علم منهم قطعاً انه غير مراد به ، فذرهم وما يشتهون .

ومنهم من رام ان يصرف عنه ، ويذب ما يرد عليه ، وهو يقول بالوحدة ، فقال : اعلم ان الذكر القلبي من اعظم علامات المحبة ، لان من احب احداً ذكره دائماً أو غالباً .

وان اصل الذكر عند الطاعة والمعصية سبب لفعل الطاعة وترك المعصية ، وهما سببان لزيادة الذكر ورسوخه ، وهكذا يتبادلان الى ان يستولي المذكور ، وهو الله سبحانه على القلب ويتجلى فيه .

فالذاكر حينئذ يحبه حباً شديداً ، ويغفل عن جميع ما سواه حتى نفسه ، اذ الحب المفرط يمنع عن مشاهدة غير المحبوب .

---

(١) محمد : ١٩ .

(٢) اختيار معرفة الرجال : ١ / ١٠ .

---

(١٦٨)

وهذا المقام يسمى مقام الفناء في الله ، والواصل الى هذا المقام لا يرى في الوجود الا هو ، وهذا معنى وحدة الوجود ، لا بمعنى انه تعالى متحد مع الكل ، لانه محال وزندقة ، بل بمعنى ان الموجود في نظر الفاني هو لا غيره ، لانه تجاوز عن عالم الكثرة ، وجعله وراء ظهره وغفل عنه فافهم انتهى .

ولنا على ابطال وحدة الوجود رسالة مفردة وجيزة ، نقلنا فيها زبدة اقوالهم وعمدة ما تشبثوا به عليها ، واشرنا فيها الى ما فيه وعليه ، فليطلب من هناك .

---

(١٦٩)

(سورة الحج)

* هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم . [الآية : ١٩]

قال في نهاية ابن الاثير : فيه « ان رجلاً أتاه وعليه مقطعات له » أي : ثياب قصار ، لانها قطعت عن بلوغ التمام .

وقيل : المقطع من الثياب كلما يفصل ويخاط من قميص وغيره ، وما لا يقطع كالارز والاردية .

ومن الاول حديث ابن عباس في وقت صلاة الضحى « اذا تقطعت الظلال » أي : قصرت ، لانها تكون بكرة ممتدة ، فكلما ارتفعت الشمس قصرت .

ومن الثاني حديث ابن عباس في صفة نخل الجنة « منها مقطعاتهم وحللهم » ولم يكن يصفها بالقصر لانه عيب .

وقيل : المقطعات لا واحد لها ، فلا يقال للجبة القصيرة مقطعة ، ولا للقميص مقطع ، وانما يقال لجملة الثياب القصار مقطعات واحد ثوب (١) انتهى .

وانما قصرت ثياب اهل النار وقطعت دون بلوغ التمام ، لتناسب هيئآتهم صورهم في القباحة والشناعة ؛ لان الثياب القصار عن بلوغ التمام عيب تحدث في لابسها قباحة المنظر وكراهة المحضر .

وظني ان هذا الوجه اعذب مما افاده الشيخ البهائي في الاربعين ، حيث قال :

---

(١) نهاية ابن الاثير : ٤ / ٨١ . ٨٢ .

ولعل السر في ثياب اهل النار مقطعات ، كونها اشد اشتمالاً على البدن ، فالعذاب بها اشد (١) .

وفي تفسير علي بن ابراهيم في ذيل كريمة « فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار » في صحيحة ابي بصير عن ابي عبد الله . عليه السلام . حديث يذكر فيه شدة عذاب جهنم ، نعوذ بالله منه : ولو ان سربالاً من سرابيل اهل النار علق بين السماء والارض ، لمات اهل الارض من ريحه ووهجه (٢) .

* ذلك بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وان الله سميع بصير . [الآية : ٦١]

ايلاجه تعالى الليل في النهار وبالعكس ، ادخاله احدهما في الاخر : اما بالتعقيب بأن يأتي به بدلاً مكانه وذلك كلي ، او بالزيادة والنقصان وهذا اكثري .

بيانه : ان كل ما زاد في النهار نقص من الليل وبالعكس ، واطول ما يكون من النهار يوم سابع عشر حزيران عند حلول الشمس آخر الجوزاء ، فيكون النهار حينئذ خمس عشر ساعة والليل تسع ساعات ، وهو اقصر ما يكون من الليل .

ثم يأخذ في النقصان والليل في الزيادة الى ثامن عشر ايلول عند حلول الشمس آخر السنبلة ، فيستوي الليل والنهار ، ويسمى الاعتدال الخريفي ، فيصير كل منهما اثنتا عشر ساعة .

ثم ينقص النهار ويزيد الليل الى سابع عشر من كانون الاول عند حلول

---

(١) الاربعون : ٥٨ ح ٥ .

(٢) تفسير القمي : ٢ / ٨١ .

الشمس آخر القوس ، فيصير الليل خمس عشر ساعة ، والنهار تسع ساعات ، فتكون الليل في غاية الطول ، والنهار في غاية النقصان .

ثم يأخذ الليل في النقصان والنهار في الزيادة الى سادس عشر آذار عند حلول الشمس آخر الحوت ، فيستوي الليل والنهار ، ويسمى الاعتدال الربيعي . ثم يستأنف .

قال الشيخ البهائي قدس سره في تفسير قوله . عليه السلام . « يولج كل واحد منهما في صاحبه ويولج صاحبه فيه » اي : يدخل كلاً من الليل والنهار في الاخر ، بأن ينقص من احدهما شيئا ويزيده في الاخر ، كنقصان نهار الشتاء وزيادة ليله ، وزيادة نهار الصيف ونقصان ليله .

فان قلت : هذا المعنى يستفاد من قوله . عليه السلام . « يولج كل واحد منهما في صاحبه ، فأي فائدة في قوله . عليه السلام . « ويولج صاحبه فيه » ؟ .

قلت : مراده . عليه السلام . التنبيه على أمر مستغرب ، وهو حصول الزيادة والنقصان معاً في كل من الليل والنهار في وقت واحد ، وذلك بحسب اختلاف البقاع ، كالشمالية عن خط الاستواء ، والجنوبية عنه ، سواء كانت مسكونة اولا .

فان صيف الشمالية شتاء الجنوبية وبالعكس ، فزيادة النهار ونقصانه واقعان في وقت واحد لكن في بقعتين ، وكذلك زيادة الليل ونقصانه .

ولو لم يصرح . عليه السلام . بقوله « ويولج صاحبه فيه » لم يحصل التنبيه على ذلك ، بل كان الظاهر من كلامه . عليه السلام . وقوع زيادة النهار في وقت ونقصانه في آخر ، وكذا الليل ، كما هو محسوس معروف للخاص والعام .

فالواو في قوله . عليه السلام . « ويولج صاحبه فيه » واو الحال باضمار مبتدأ ، كما هو المشهور بين النحاة (١) انتهى .

أقول : كون الواو للحال مبني على تقدير المبتدأ ، كما في نجوت وارهنهم

---

(١) مفتاح الفلاح : ١٠٧ . ١٠٨ .

مالكاً ، وقمت واصك وجهه .

وحاصل الجواب : ان معنى الجهة الحالية وان كان مفهوماً من الاولى ، فيكون تأكيداً ، الا انها ذكرت للتنبيه .

وأنت خبير بأن ايلاج كل واحد منهما في صاحبه يتضمن حصول الزيادة والنقصان معاً في كل واحد منهما بحسب اختلاف البقاع ؛ اذ لا يمكن ايلاج الليل في النهار في بقعة إلا حال إيلاج النهار في الليل في بقعة اخرى وبالعكس ، وزيادة النهار يتضمن نقصانه حال زيادته ، وكذلك الليل في بقعتي الشمالية والجنوبية عن خط الاستواء ، فالتنبيه حاصل بدون ذكرها .

وانما ذكرت للتصريح بما علم ضمناً ؛ لانه لما كان أمراً مستغرباً لم يكتف في الدلالة عليه بالتضمنية ، بل دل عليه بالدلالتين التضمنية والتصريحية ايماء لطيفاً الى شأن الامر .

ثم أقول : اختلاف البقاع في العرض الشمالي والجنوبي وانتقال الشمس عن مدار من المدارات اليومية بحركتها الخاصة ، يوجب ان يدخل بعض زمان الليل في زمان النهار وبالعكس في البقاع الشمالية عن خط الاستواء والجنوبية عنه ، في كل يوم بليلته من ايام السنة في جميع الافاق الا في المستقيم والرحوي ، وهذا معنى قوله « يولج كل واحد منهما في صاحبه » .

وكذا اختلاف طول البقاع مع الحركة الاولى ففي حال زيادة زمان النهار ونقصان الليل وبالعكس في البقاع المذكورة بحسب الاختلافات العرضية ، يدخل بعض زمان الليل في النهار وبالعكس في الاماكن الشمالية عن خط الاستواء المختلفة في الطول ، وكذا الجنوبية عنه المختلفة فيه بحسب هذا الاختلاف ، وهذا معنى قوله « يولج صاحبه فيه » .

فالحالية تأسيس ؛ لانها اشارة الى نوع آخر من الزيادة والنقصان ، وعليه يتفرع وجوب صوم احد وثلاثين يوماً في صورة ، وثمانية وعشرين في اخرى ، على المسافر من بلد الى آخر بعيد عنه بعد رؤية الهلال .

---

(١٧٣)

ويحتمل عكس ذلك ، بأن يكون الاولى اشارة الى ما يكون بالاختلافات العرضية مع الحركة الخاصة الشمسية .

ويحتمل ان يكون معنى الاولى ادخال كل من الليل والنهار مكان الاخر بدلاً منه في كل البقاع ، فعبر عن احداث النهار مع امتلاء العالم بالليل وبالعكس بالايلاج . ومعنى الثانية ادخال بعض زمان كل منهما في زمان الاخر في كل يوم بليلته في كل البقاع بحسب اختلافاتها العرضية

والطولية في حال الادخال الاول .
ويحتمل العكس ، وعليه فالحالية تأسيس ، ومعنى الجملتين اكثر مما سبق ، ويتحقق معناهما في كل الافاق حتى في الرحوي في بعض ايامه .
ثم الحكمة في نقصان كل منهما وزيادة الاخر على التدريج ظاهرة ، اذ لو كان دخول احدهما على الاخر ، وذلك بحركة الشمس بغتة لأضر بالابدان والثمار وغيرهما ، كما ان الخروج من حمام حار الى موضع بارد دفعة يضر البدن ويسقمه .
---
(١٧٤)
---
(١٧٥)
(سورة المؤمنون)
* قد افلح المؤمنون * الذين هم في صلاتهم خاشعون . [الايتان : ١ . ٢]
الخشوع في الصلاة خشية القلب ، والزام البصر موضع السجود . وبالجملة هو حضور القلب وتأثره وخوفه وطمعه .
ويظهر ذلك بالتوجه التام الى الصلاة ، والى الله تعالى ، بحيث يظهر اثر البكاء في العين ، والاضطراب في القلب ، واستعمال الاعضاء الظاهرة على الوجه المندوب .
وترك المكروهات ، مثل العبث بثيابه وجسده ، والالتفات يميناً وشمالاً ، بل النظر الى غير المسجد حال القيام ، والتمطي ، والتثأب ، والفرقعة ، وغير ذلك مما بين في الفروع وورد في الاصول .
في مجمع البيان : عن النبي . صلى الله عليه وآله . انه رأى رجلاً يعبث بلحيته في صلاته ، فقال : أما أنه لو خشع قلبه لخشعت جوارحه .
ثم قال الشيخ : وفي هذا دلالة على ان الخشوع في الصلاة يكون بالقلب والجوارح . فأما بالقلب ، فهو ان يفرغ قلبه بجمع الهمة لها والاعراض عما سواها ، فلا يكون فيه غير العبادة والمعبود . وأما بالجوارح ، فهو غض البصر والاقبال عليها ، وترك الالتفات والعبث (١) .

وأورد عليه : ان اقبال الجوارح الى العبادة ليس له معنى ظاهر ؛ لان الاقبال

---

(١) مجمع البيان : ٤ / ٩٩ .

انما يكون بالقلب .

ويمكن ان يجاب عنه : بأن اقبال الجوارح عبارة عن النظر الى موضع السجود ، الى آخر ما هو المشهور ، وعدم الالتفات يميناً وشمالاً ، وعدم العبث ، الى غير ذلك ، كما سبق اليه الايماء ، فتأمل .

* والذين هم لفروجهم حافظون * الا على ازواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين * فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون . [الآيات : ٥ . ٧]

ظاهر الآيات الشريفة انحصار سبب الاباحة في الزوجية وملك اليمين على سبيل الانفصال الحقيقي ، بحيث لا يجتمعان ولا يرتفعان ، فتحليل الامة بلفظ الاباحة والتحليل محتاج الى الدليل .

فان كان هو النص عن الائمة . عليهم السلام . فهم لا ينصون على خلاف الكتاب . كيف ؟ وهم صرحوا بأن : اذا جاءكم عنا حديث فاعرضوه على كتاب الله ، فما وافقه فاقبلوه ، وما خالفه فاضربوا به عرض الحائط (١) .

فأخبار تحليل الامة : فاما متروك الظاهر ، كما هو مذهب السيد في الانتصار ، حيث قال في مقام دفع تشنيع العامة عن الخاصة : معنى قوله « يجوز للرجل ان يبيح مملوكته لغير » انه يعقد عليها عقد النكاح الذي فيه معنى الاباحة ، ولا يقتضي ذلك ان النكاح ينعقد بلفظ الاباحة (٢) .

وكونه مبنياً على اصله من عدم العمل بالاخبار الاحاد اشبه .

---

(١) اصول الكافي : ١ / ٦٩ .

(٢) الانتصار : ١١٨ .

او متروك العمل ، ولذا ذهب كثير من اصحابنا المتقدمين الى عدم استباحه بلفظ الاباحة والتحليل ، وهو المشهور بين الجمهور ، والاحتياط يقتضيه ، وان كان الاقوى انها يستباح بذلك .

أما أولاً ، فلأصالة الاباحة ، والآية تدفعها .

(١٢/١٠)

وأما ثانياً ، فلشمول الآية لها ، فان الملك يشمل العين والمنفعة ؛ اذ مقتضاه اباحة التصرف على سائر الوجوه ، وهو مشترك بين العين والمنفعة ، وملك المنفعة اعم من ان يكون تابعاً لملك الاصل او منفرداً ، والتحليل تمليك منفعة .

ويؤيده « او ما ملكت » اذ لو اريد العين لقيل « أو من ملكت » وبذلك يظهر عدم المخالفة بين الخبر والكتاب .

وأما ثالثاً ، فلان الامة بحكم اصل الكفر محل لقبول تملك كل مسلم ، فاذا ملكها مالك منع غيره من الانتفاع بها ، فاذا اباح وطأها زال المانع ، فبقيت على حكم الاصل .

وانما لم يجز تحليلها بلفظ الهبة والاجارة ونحوهما ؛ لان الاباحة والحرمة ليس مدارهما على مجرد العقل ، ولا على معنى يدرك في ذات المباح يقتضي اباحته ، وفي المحرم يقتضي حرمته ، بل هما تعبد محض متلقى من الشارع والشارع انما حللها بلفظ التحليل ، لا بالهبة والاجارة ونحوهما .

ثم لا يذهب عليك ان الآية تدل على ان المتمتع بها زوجة ، والا لكانت محرمة ، لعدم دخولها في ملك اليمين .

وبالجملة انهم لما حكموا باباحة المتعة وتحليل الامة وجب دخولهما في المنفصلة ، والا لكانا باطلين ، فالمتعة داخلة في الازواج .

قال في الكشاف : فان قلت : هل فيه دليل على تحريم المتعة ؟ قلت : لا ؛ لان المنكوحة نكاح المتعة من جملة الازواج اذا صح النكاح (١) .

---

(١) الكشاف : ٣ / ٢٦ . ٢٧ .

وأما التحليل ، فقال بعضهم : انه داخل في الازواج ، وجعله كالعقد المنقطع ، فيفتقر الى مهر وتقدير مدة ، والاصل خلافه ، بل هو داخل في ملك اليمين ، فلا صداق فيه ولا اجل .

وجعله بعضهم قسماً آخر بنفسه ، وخص الآية بغيره . قال : فانه غير عزيز ، على ما اشتهر انه ما من عام الا وقد خص حتى هذا .

وهو بعيد ؛ لان انواع النكاح على ما ورد في رواية حسن بن زيد عن الصادق . عليه السلام . منحصرة على ثلاثة اوجه : نكاح بميراث ، ونكاح بلا ميراث ، ونكاح بملك يمين (١) .

وقد قال النبي . صلى الله عليه وآله : ايها الناس احل لكم الفروج على ثلاثة معان : فرج موروث وهو البتات ، وفرج غير موروث وهو المتعة ، وملك ايمانكم (٢) .

وقد سبق ان المتعة داخلة في الازواج ، فلا بد ان يكون التحليل : اما داخلاً فيها ، او في ملك الايمان ، فلا يكون قسماً آخر ، والا لكان باطلا .

والاخبار الصحيحة المستفيضة الصريحة في جوازه تنافيه ، ولذلك سلم الاصحاب الحصر في الآية ، وادخلوا التحليل في احدهما ، والاخبار الواردة فيه . وهي العمدة . اكثر من ان تحصى ، بل نقلوا الاجماع قبل ظهور المخالف وبعده على جوازه .

ولكنه ليس لنا حجة على خصومنا ، فانهم لا يقبلون اجماعنا ولا اخبارنا وبالعكس ، وانما الحجة عليهم ما سبق من اصالة الاباحة ، وشمول الآية ، وكون الامة في الاصل محلاً لقبول تملك كل مسلم .

وبذلك يندفع تشنيعهم علينا في تلك المسألة .

---

(١) الخصال : ١١٩ ، التهذيب : ٧ / ٢٤١ ح ٢ .

(٢) تهذيب الاحكام : ٧ / ٢٤١ ح ٣ .

بل نقول : لما ثبت بالعقل والنقل عصمة ائمتنا وطهارتهم وشرف اصولهم وعدالتهم ، وان النبي قرنهم بالكتاب العزيز الذي يجب اتباعه ، وهذا يدل على علمهم .

ثبت ان قولهم حجة وجب قبوله واتباعه ، قبل او لم يقبل ، فان عدم قبول قول من قوله حجة لا ينفي حجيته ، والا لزم ان تكون اخبار الانبياء واقوالهم حجة على من لم يقبلها ، واللازم باطل بالاتفاق .

فاذن لا شناعة على من قبل قول من وجب قبوله ، وان انكر غيره تبعاً للآخرين ، وهذا بعينه حال السابقين علينا من المؤمنين والكافرين .

(١٠/١٤)

هذا وفي رواية جميل عن فضيل ، قال قلت لابي عبد الله . عليه السلام : جعلت فداك ان بعض اصحابنا روى عنك انك قلت اذا احل الرجل لاخيه المؤمن جاريته ، فهي له حلال .

فقال : نعم يا فضيل .

قلت له : فما تقول في رجل عنده جارية نفيسة وهي بكراً احل لاخ له ما دون الفرج أله ان يقتضيها ؟

قال : لا ليس له الا ما احل له منها ، ولو احل له منها قبلة لم يحل له ما سوى ذلك .

قلت : أرأيت ان هو احل له ما دون الفرج فغلبته الشهوة فاقتضها ؟

قال : لا ينبغي له ذلك .

قلت : فان فعل ذلك ايكون زانياً ؟

قال : لا ، ولكن خائناً ويغرم لصاحبها عشر قيمتها (١) .

والظاهر ان تحليل القبلة يستلزم تحليل المس ، فالمراد انه لم يحل له ما سوى ذلك من الاقتضاض والوطىء والخدمة وغيرها ؛ لان الضابط في تحليل الامة

---

(١) تهذيب الاحكام : ٧ / ٢٤٤ ح ١٦ .

الاقتصار على ما تناوله اللفظ فما دونه .

فان قلت : ان الزنا عبارة عن وطىء المرأة قبلاً أو دبراً بغير عقد ولا ملك ولا شبهة ، بل عمداً عالماً بالتحريم ، وها هنا كذلك ، فينبغي ان يكون زانياً لا خائناً فقط .

قلت : انه لم يحل له ما دون الفرد الا وقد علم انه ينجر الى ذلك ، فكأنه أحل له ذلك ضمناً ، ولكنه لما لم يصرح به وقد تصرف في ملكه بما لا اذن له فيه صريحاً كان خائناً ، فتأمل فيه .

(سورة النور)

* وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها ... [الآية : ٣١]

روى الكليني في الكافي باسناده عن زرارة عن ابي عبد الله . عليه السلام . في قوله تعالى « الا ما ظهر منها » قال : الزينة الظاهر الكحل والخاتم (١) .

وعن ابي بصير عن ابي عبد الله . عليه السلام . قال : سألته عن قول الله تعالى « ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها » قال : الخاتم والمسكة وهي القلب (٢) .

وفي جوامع الجامع : فالظاهرة لا تجب سترها ، وهي الثياب الى قوله وعنهم . عليه السلام : الكفان والاصابع (٣) .

وفي مجمع البيان : وفي تفسير علي بن ابراهيم الكفان والاصابع (٤).

وفي تفسير علي بن ابراهيم : وفي رواية ابي الجارود عن ابي جعفر . عليه السلام . في قوله « ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها » فهي الثياب والكحل والخاتم وخضاب الكف والسوار .

والزينة ثلاث : زينة للناس ، وزينة للمحرم ، وزينة للزوج ، فأما زينة الناس ،

---

(١) فروع الكافي : ٥ / ٥٢١ ح ٣ .
(٢) فروع الكافي : ٥ / ٥٢١ ح ٤ .
(٣) جوامع الجامع : ٣١٤ . ٣١٥ ، الطبعة الحجرية .
(٤) مجمع البيان : ٤ / ١٣٨ .

فقد ذكرناها ، وأما زينة المحرم ، فوضع القلادة فما فوقها ، والدملج وما دونه ، والخلخال وما اسفل منه . وأما زينة الزوج ، فالجسد كله (١) .

ويؤيد ذلك ما في الفقيه عن حفص بن البختري عن ابي عبد الله . عليه السلام . قال : لا ينبغي للمرأة ان تتكشف بين يدي اليهودية والنصرانية ، فانهن يصفن ذلك لازواجهن (٢) .

فاذا لم يجز الانكشاف بين ايديهن للعلة المذكورة ، فعدم جوازه بين ايدي الاجانب من الرجال اولى ، ولاشتراك العلة وهي تهييج الميل وتحريك الشهوة وثوران الفتنة .

(١/١١)

وقال البيضاوي في تفسيره : « وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن » فلا ينظرن الى ما لا يحل لهن النظر اليه من الرجال « ويحفظن فروجهن » بالتستر او التحفظ عن الزنا ، وتقديم الغض لان النظر يريد الزنا « ولا يبدين زينتهن » كالحلي والثياب والاصباغ ، فضلا عن مواضعها لمن لا يحل ان تبدي له « الا ما ظهر منها » عند مزاولة الاشياء ، كالثياب والخاتم ، فان في سترها حرجاً .

وقيل : المراد بالزينة مواضعها على حذف المضاف ، او ما يعم المحاسن الخلقية والتزيينية ، والمستثنى هو الوجه والكفان ، لانها ليست بعورة ، والاظهر ان هذا في الصلاة لا في النظر ، فان كل بدن الحرة عورة لا يحل لغير الزوج ، والمحرم النظر الى شيء منها الا لضرورة ، كالمعالجة وتحمل الشهادة (٣) انتهى كلامه .

وهو حق كله لا شبة فيه ولا مرية تعتريه الا قوله « وتحمل الشهادة » اذ لا ضرورة فيه الى النظر ، كما بين في محله .

وأما ما ذكره في الكشاف في تفسير هذه الآية بقوله : الزينة ما تزينت به

---

(١) تفسير القمي : ٢ / ١٠١ .
(٢) من لا يحضره الفقيه : ٣ / ٥٦١ .
(٣) انوار التنزيل للبيضاوي : ٢ / ١٣٨ .

---

(١٨٣)

المرأة من حلي او كحل او خضاب ، فما كان ظاهرا منها ، كالخاتم والفتخة وهي الحلقة من فضة لا فص لها ، والكحل والخضاب ، فلا بأس بابدائه للاجانب .

ثم قال : ان المراد من الزينة مواقعها ، والصحيح ان العضو كله لا المقدار الذي تلابسه الزينة منه ، كما فسرت مواقع الزينة الخفية (١) ، وكذلك مواقع الزينة الظاهرة ، الوجه موقع الكحل في عينيه ، والخضاب بالوسمة في حاجبيه وشاربيه ، والغمرة في خديه ، والكف والقدم موقعا الخاتم والفتخة ، والخضاب بالحناء .

(٢/١١)

وانما تسومح في هذه المواضع ؛ لان سترها فيه حرج ؛ لان المرأة لا تجد بداً في مزاولة الاشياء بيديها ، ومن الحاجة الى كشف وجهها ، خصوصا في الشهادة والمحاكمة والنكاح ، وتضطر الى المشي في الطرقات ، وظهور قدميها وخصوصا الفقيرات منهن ، وهذا معنى قوله « الا ما ظهر منها » يعني الا ما جرت العادة على ظهوره ، والاصل فيه الظهور (٢) .

ففي اكثره بعد منع ، اذ لا ضرورة داعية الى كشف وجهها في الشهادة والنكاح ، لان المدار بالعلم ، وهو قد يحصل بدون ذلك ، نعم ما ذكره صحيح على مذهبهم .

وايضا لا شبهة بعد كون الوجه موقع الكحل ، والوسمة كونها في شاربيها . مع انا نقول : في حالة الضرورة والحاجة يجوز ابداء الزينة الباطنة ، فضلا عن الزينة الظاهرة ، كالعلاج للطبيب والمحاكمة وغير ذلك ، فان الضرورات تبيح

---

(١) المراد بالزينة الخفية السواد للزند ، والخلخال للساق ، والدملج للعضد ، والقلادة للعنق ، والوشاح للرأس ، والقرط للأذن . ومذهب صاحب الكشاف ان المراد بمواقعها جميع العضو ، لا خصوص المقدار الذي يلامسه الزينة منه . ويحتمل اختصاص محلها فقط ، فلا يتعدى الى غيرها ، خصوصاً المواضع الخفية في اكثر الحالات والقريبة من العورة ، فتأمل « منه » .

(٢) تفسير الكشاف : ٣ / ٦١ .

---

(١٨٤)

المحذورات ، وانما كلامنا في حالة الاختيار دون الاضطرار .

وايضا ان نظر الى العادة والظاهر ، خصوصا الفقيرات ، فالعادة ظهور الرقبة ، بل الصدر

والعضدين والساقين وغير ذلك ، فكلامه كما ترى في اكثر هذه المواضع خارج عن محل النزاع ، فتأمل .

وبالجملة يظهر منه ان الاجنبية ، وان كانت شابة جميلة عيناه صبيحة الوجه ، يسوغ لها ان تكتحل في عينيها ، وتتوسم في حاجبيها وشاربيها ، كما هو عادة نساء العرب ، وتغتمر في خديها ووجنتيها ، وتتخضب في يديها ورجليها ، وتتختم في اصبيعها ، وتتفتح بفتحة لابسة الثياب الفاخرة .

(٣/١١)

ثم تبرز مع هذه الهيئآت والحالات المشوقة والمعشقة للاجانب ، كاشفة الوجه واليدين ، بارزة الثياب والرجلين ، كأنها تساق من بيت الى بيت بعلها ليبني عليها .

ان هذا لشيء عجيب ، وصدور مثله عن مثله أمر غريب ، فان العقل السليم يأباه ، والطبع المسقيم لا يرضاه ، فأين غيرة الله ؟ مع كونه اغير من رسوله ، ومن غيرته حرم المحرمات ، كما ورد في الخبر (١) .

مع ان صاحب الكشاف قد ذكر في تفسير كريمة « وقل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم » (٢) ان الاجنبية ينظر الى وجهها وكفيها وقدميها في احدى الروايتين (٣) .

وهو كما ترى ينادي بأعلى صوته ان في طريقهم ايضا رواية تدل على عدم جواز النظر الى وجهها ، الا ان الجواز فيما بينهم اكثر واشهر ، وميلهم اليه اشد

---

(١) في الكافي عن ابي عبد الله . عليه السلام . قال : ان الله تبارك وتعالى غيور يحب كل غيور ، ولغيرته حرم الفواحش ظاهرها وباطنها « منه » .

(٢) النور : ٣٠ .

(٣) الكشاف : ٣ / ٦٠ .

وأظهر ، كما يظهر بالتتبع .

وقال شيخنا المقداد في كنزالعرفان : وانما قدم غض الطرف على حفظ الفرج ، لكونه مقدما عليه وداعيا الى الجماع . وأما ابداء الزينة ، فقيل : المراد مواقعها على حذف المضاف لا نفس الزينة ، لان ذلك يحل النظر اليه ، كالحلي والثياب والاصباغ .

وقيل : المراد نفسها ، وانما حرم النظر اليها اذ لو ابيح لكان وسيلة الى النظر الى مواضعها . وأما

ما ظهر منها ، فليس بمحرم للزوم الحرج المنفي في الدين .
ثم قال وقيل : المراد بالظاهرة الثياب فقط . وهو الاصح عندي ، لاطباق الفقهاء على ان بدن المرأة كله عورة ، الا على الزوج والمحارم ، فعلى هذا المراد بالباطنة الخلخال والسوار والقرط وجميع ما هو مباشر للبدن ، ويستلزم نظره نظر البدن .

(٤/١١)

وأما باقي الاقوال في ذلك ، فهي انه الوجه والكفان والكحل والخضاب والخاتم ، وانما سومح فيها للحاجة الى كشفها ، فضعيفة لا تحقق لها ، فانه ان حصل ضرورة لزم حرج ، فذلك هو المبيح لا الآية ، والا فلا وجه لذلك (١) انتهى كلامه زيد اكرامه .
والأصح عندي ايضا ما هو الأصح عنده وعند القاضي البيضاوي وقد عرفته .
* ليجزيهم الله احسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب . [الآية : ٣٨]

---

(١) كنز العرفان : ٢ / ٢٢٢ .

قوله تعالى « بغير حساب » اي : بغير طلب وكسب ، او بغير ان يعرف سبيل رزقه ، ويجعله منسوبا في عداد وجه معايشه ، او بغير تقتير وتقدير ، او بما لا يأتي عليه الحساب ، فيوسع في الدنيا على من توجب الحكمة التوسعة عليه : اما استدراجا ، او ابتلاءً .
أو المراد انه يعطي ولا يحاسب عليه ، وذلك اما لاختلاف استعداد الاشخاص ، او العلم بأنه اصلح بحاله واوفق بمآله ، كما يشير اليه : وان من عبادي من لا يصلحه الا الغنى ، ولو افقرته لافسده .
ثم الارزاق نوعان : ظاهرة للابدان كالاقوات ، وباطنة للقلوب كالمعارف والعلوم . والرزق بالكسر اسم للمرزوق .
وفي الصحاح : انه ما ينتفع به (١) .

---

(١) صحاح اللغة : ٤ / ١٤٨١ .

---

* واجعل لي لسان صدق في الاخرين . [الآية : ٨٤]
قال في مجمع البيان : اي ثناء حسنا في آخر الامم ، وذكراً جميلاً وقبولاً عاماً في الذين يأتون بعدي الى يوم القيامة ، والعرب تضع اللسان موضع القول على الاستعارة ؛ لان القول يكون بها ، ويقولون : جاءني لساني فلان ، اي : مدحه وذمه ، قال
اني أتتني لساناً لا أسر بها * من علو لا عجب منها ولا سخر
وقيل : ان معناه واجعل لي ولد صدق في آخر الامم يدعو الى الله ويقوم بالحق ، وهو محمد . صلى الله عليه وآله . (١) انتهى .

والمراد بالصدق في مقام استعمال الآية الشريفة في الادعية مطلق الجودة والحسن ، لا الصدق في الحديث ، وان كان أصله ذلك ؛ لان الصدق في الحديث مستحسن جيد عندهم ، حتى صاروا يستعملونه في مطلق الجودة ، فيقال : رجل صدق ، وقدم صدق ، ومقعد صدق ، ومعنى كل ذلك جيد مستحسن .
وقال الرضي : والاضافة في نحو رجل صدق للملابسة ، وهم كثيراً ما يضيفون الموصوف الى مصدر الصفة ، نحو خير السوء ، اي : الخير السيء .

---

(١) مجمع البيان : ٤ / ١٩٤ .

(سورة القصص)
* ولا تدع مع الله الهاً آخر لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون . [الآية : ٨٨]
قال الطبرسي : رحمه الله : المعنى كل شيء فان بائد الا ذاته ، وهذا كما يقال : هذا وجه الرأي ووجه الطريق .
ثم قال : وفي هذا دلالة على ان الاجسام تفنى ثم تعاد ، على ما قاله الشيوخ في الفناء والاعادة .
وعن ابن عباس : اي كل شيء هالك الا ما اريد به وجهه ، فانه يبقى ثوابه (١) .
وقيل : ان المعنى كل شيء هالك ، وانما وجوده وبقاؤه وكماله بالجهة المنسوبة اليه سبحانه ، فانه

علة لوجود كل شيء وبقائه وكماله ، ومع قطع النظر عن هذه الجهة ، فهي فانية باطلة هالكة .
وقيل : ان المعنى كل شيء هالك ، اي : باطل ، الا دينه الذي يتوجه به اليه سبحانه ، وكل ما امر به من طاعته ، وقد وردت اخبار كثيرة على هذا الوجه .
وقيل : ان المراد بالوجه الانبياء والاوصياء . عليهم السلام . لان الوجه ما يواجه به عباده ويخاطبهم بهم . عليهم السلام . واذا اراد العباد التوجه اليه تعالى يتوجهون اليهم ، وبه ايضا وردت اخبار كثيرة .
وقيل : ان الضمير راجع الى الشيء ، اي : كل شيء بجميع جهاته باطل وفان ، الا وجهه الذي به يتوجه الى ربه ، وهو روحه وعقله ومحل معرفة الله منه التي

---

(١) مجمع البيان : ٤ / ٢٦٩ . ٢٧٠ .

تبقى بعد فناء جسمه وشخصه ، وهو ايضا مروي عنهم . عليهم السلام . (١) .
وقال البيضاوي : « كل شيء هالك الا وجهه » الا ذاته ، فان ما عداه ممكن هالك في حد ذاته معدوم .
وحاصله آيل الى ان المراد بهلاك كل شيء ، انه هالك في حد ذاته ، لضعف الوجود الامكاني ، فالتحقق بالهالك المعدوم ، كما تدل عليه صيغة الفاعل ، فانها ليست بمعنى الاستقبال على معنى انه سيهلك ، بل هو على حقيقته من معنى الحال ، فان سلسلة الممكنات لضعف وجوداتها الغيرية هالكة في حدود ذواتها ازلاً وابداً .
وقد اشار اليه بهمنيار في التحصيل وغيره ، حيث قال : كل ممكن بالقياس الى ذاته باطل ، وبه تعالى حق ، كما يرشد اليه قوله تعالى « كل شيء هالك الا وجهه » .
فهو آناً فآناً يحتاج الى ان يقول له الفاعل الحق : كن ، ويفيض عليه الوجود ، بحيث لو امسك عنه هذا القول والافاضة طرفة عين ، لعاد الى البطلان الذاتي والزوال الاصلي ، كما ان ضوء الشمس لو زال عن سطح المستضيء لعاد الى ظلمته الاصلية ، فله الحمد انه مالك هو باق وغيره هالك .
وفي كتاب التوحيد : عن ابي عبد الله . عليه السلام . في « كل شيء هالك الا وجهه » قال : من اتى الله بما امر به من طاعة محمد . صلى الله عليه وآله . والائمة من بعده ، فهو الوجه الذي لا يهلك ، ثم قرأ « من يطع الرسول فقد اطاع الله » (٢) .

وفيه : عنه . عليه السلام . انه سئل عن الآية ، قال : كل شيء هالك الا من

---

(١) هذه الوجوه كلها ذكرها العلامة المجلسي في مرآة العقول : ٢ / ١١٢ .
(٢) التوحيد : ١٤٩ ح ٣ .

اخذ طريق الحق (١) .
وفي المحاسن مثله ، الا ان في آخره : من اخذ الطريق الذي انتم عليه (٢) .

(٧/١١)

وفي الكافي عن الحارث بن المغيرة النصري ، قال : سئل ابو عبد الله . عليه السلام . عن قوله « كل شيء هالك الا وجهه » فقال : ما يقولون فيه ؟ قلت : يقولون يهلك كل شيء الا وجه الله ، فقال : سبحانه الله لقد قالوا قولاً عظيما ، انما عنى بذلك وجه الله الذي يؤتى منه (٣) .
قيل : لما كان مرادهم فناء كل شيء غير ذاته ، فاستعظمه وانكره . عليه السلام . اذ من المخلوقات ما لا يفنى ، وهو بعيد (٤) .
لان الظاهر من الآية على ما فسره الامام . عليه السلام . ان اهل كل مذهب من المذاهب الباطلة هالك الا اهل مذهب الحق ، وهم الذين توجهوا الى الله بارشاد الانبياء والاوصياء . عليهم السلام . فانهم وجه الله الذي من توجه اليه توجه الى الله ، وصار من اهل النجاة .
فالمراد بالهلاك ما يقابل النجاة ، كما يقال : فرقة ناجية ، وفرقة هالكة ، لا ما يقابل الحياة وهو الموت . وعلى هذا فلا دلالة في الآية على بقاء شيء ولا على فنائه .
وأما وصفه . عليه السلام . قولهم بالعظم ، فالظاهر انه لا ثباتهم له سبحانه وجهاً كوجوه البشر ، ومن قال ذلك فقد كفر ، والله تعالى اعلم وابصر .

---

(١) التوحيد : ١٤٩ ح ٢ .
(٢) المحاسن : ١٩٩ ح ٣٠ .
(٣) اصول الكافي : ١ / ١٤٣ ح ١ .
(٤) مرآة العقول : ٢ / ١١٢ .

---

(١٩٣)

(سورة الاحزاب)

* انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً . [الآية : ٣٣]

قال القاضي البيضاوي في تفسيره : وتخصيص الشيعة أهل البيت بفاطمة وعلي وابنيهما ، لما روي انه خرج ذات غدوة وعليه مرط مرجل من شعر اسود فجلس ، فأتت فاطمة فأدخلها فيه ، ثم جاء علي فأدخله فيه ، ثم جاء الحسن والحسين فأدخلهما فيه ، ثم قال : انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً .

والاحتجاج بذلك على عصمتهم ، وكون اجماعهم حجة ، ضعيف ؛ لان التخصيص بهم لا يناسب ما قبل الآية وما بعدها ، والحديث يقتضي انهم اهل البيت لا انه ليس غيرهم (١) .

أقول : وانت خبير بأن ما ذكره ضيعف . أما الاول ، فلان القرآن نزل على اسلوب لغة العرب ، ومن عادتهم انهم يذهبون من خطاب الى خطاب ، ثم يعودون اليه ، فكون ما قبل الآية وما بعدها في ازواج النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ لا ينافي كون وسطها فيهم ، اذ الخروج من حكم الى آخر في القرآن كثير جداً .

فكثير ما تنزل الآية اولها في شيء ، واوسطها في اخر ، وآخرها في آخر ، ولو اريد بالوسط النساء لقيل : عنكن ويطهركن دون عنكم ويطهركم ، فهذا

---

(١) انوار التنزيل : ٢ / ٢٧٢ .

---

(١٩٤)

قرينة على المراد . والقول بالتغليب سيظهر ضعفه .

وأما الثاني ، فلما قال ابو سعيد الخدري (١) ، وانس بن مالك (٢) ، وواثلة بن الاسقع (٣) ، وعائشة (٤) ، وأم سلمة (٥) ، من ان الآية مختصة برسول الله وعلي وفاطمة والحسنين ـ عليهم السلام .

وفي تفسير الثعلبي عن أم سلمة ان النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ كان في بيتها ، فأتته فاطمة ببرمة فيها حريرة ، فقال لها : ادعي زوجك وابنيك ، قالت : فجاء علي وحسن وحسين ، فدخلوا فجلسوا يأكلون من تلك الحريرة ، وهو وهم على منام واحد له على دكان تحته كساء خيبري .

قالت : وانا في الحجرة اصلي ، فأنزل الله تعالى « انما يريد الله » الآية ، فأخذ فضل الكساء فغشاهم به ، ثم اخرج يده فألوى بها الى السماء ، ثم قال : اللهم ان هؤلاء اهل بيتي وحامتي ، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً . فأدخلت رأسي البيت وقلت : وانا معكم يا رسول الله ؟ قال : انك الى خير .

وباسناده قال مجمع : دخلت امي على عائشة ، فسألتها امي أرأيت خروجك يوم الجمل ؟ قالت : انها كانت قدراً من الله ، فسألتها عن علي ، فقالت : تسأليني عن احب الناس كان الى رسول الله وزوج احب الناس كانت الى رسول الله .
لقد رأيت علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً قد جمع رسول الله بثوب عليهم ، ثم قال : اللهم ان هؤلاء اهل بيتي وحامتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم

---

(١) جامع البيان : ٢٢ / ٦ .
(٢) مسند احمد بن حنبل : ٣ / ٢٥٩ .
(٣) مستدرك الحاكم : ٢ / ٤١٦ .
(٤) نظم درر السمطين : ١٣٣ .
(٥) مسند احمد بن حنبل : ٦ / ٣٩٨ .

تطهيراً ، قالت فقلت : يا رسول الله انا من اهلك ؟ قال : تنحي انك الى خير (١) .
وروى الترمذي في الجامع عن عمر بن ابي سلمة ربيب رسول الله . صلى الله عليه وآله . قال : نزلت « انما يريد الله » الآية في بيت ام سلمة ، فدعا النبي فاطمة وحسناً وحسيناً ، فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره ، ثم قال : هؤلاء اهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، قالت ام سلمة : وانا معهم يا رسول الله ؟ قال : انك على مكانك وانت على خير (٢) .
وفي صحيح ابي داود السجستاني وهو كتاب السنن قالت ام سلمة : وانا جالسة عند الباب ، فقلت : يا رسول الله الست من اهل البيت ؟ فقال : انك الى خير انك من ازواج النبي (٣) .
فهذه الاخبار وامثالها الكثيرة الواردة في طريق القاضي تقضي بكونهم المراد بأهل البيت دون غيرهم من ازواج النبي ونسائه المذكورات فيما قبل الآية وما بعدها .
وبالجملة ما ذكروه واحتملوه من التغليب ، وكون الآية تعليلا لامرهن ونهيهن على الاستئناف ، ومن

كون الحكم عاماً وتخصيص الشيعة اهل البيت بهؤلاء والاحتجاج بذلك ، وكون اجماعهم حجة ضعيفا الى غير ذلك ، اجتهاد في مقابل النص الصحيح والبيان الصريح ، فغير مسموع ذلك منهم ، بل هو عين العناد واللداد الموجب للخلود في نار جهنم ، نعوذ بالله تعالى منها .

(١٠/١١)

نعم لولا ورود تلك الروايات الصحيحات الصريحات من الطرفين في بيانها ، لكان لما ذكروه واحتملوه وجه .

---

(١) احقاق الحق عنه : ٩ / ١٠ .

(٢) صحيح الترمذي : ١٣ / ٢٠٠ .

(٣) راجع تفصيل الروايات الواردة في ذلك عن طريق العامة الى احقاق الحق : ٢ / ٥٠١ . ٥٦٢ و ٣ / ٥١٣ . ٥٣١ و ٩ / ١ . ٦٩ و ١٤ / ٤٠ . ١٠٥ و ١٨ / ٣٥٩ . ٣٨٣ .

واذ قد ثبت ان المراد بأهل البيت في الآية هؤلاء المذكورون ثبت ان اجماعهم بل قول كل منهم حجة قاطعة ، لان اذهاب الرجس ووقوع التطهير ملزوم عدم العصيان والمخالفة لاوامر الله ونواهيه ، فوقوع الخطأ منهم مأمون ، فالاقتداء بهم والاخذ بقولهم وفعلهم دون من لم يؤمن وقوعه منه وتطرق الرجس اليه واجب .

ومن اعجب العجب ان هذا القاضي يقضي على خلاف ما ورد عليه من طرقه ، فيذكر من الاخبار ما يقبل التأويل الى ما يوافق دينه ومذهبه ، ويترك ويتناسى مما هو ناص بالباب .

ولعل عدوله عن طريق الصواب ، لعدم عثوره على الاخبار الواردة في الباب ، او لغفلته عنها ، او لتغافله ، او لتقيته ، او لعصبيته وعناده ، او لانه اتبع هواه فأضله الله على علم وختم على قلبه .

حتى انه لم يتأمل فيما رواه ايضا ، فانه ايضا يفيد حصر اهل البيت في آل العباء لمن تأمله ، اذ لو كان احد غيرهم داخلاً في اهل البيت المراد من الآية ، لما كان لإدخالهم بخصوصهم في الكساء ، ثم تلاوة الآية عليهم والسكوت عن غيرهم مدة العمر ، والا لنقل هذا ولتمسكت به السنة ، كما نقل ذاك وتمسكت به الشيعة ، وجه ، ففعله هذا وقوله ذاك برهانان وبيانان لاهل البيت .

فهو وان كان عاماً مفهوماً ، الا انه خاص بياناً ، وكيف يتصور منه . عليه السلام . ان يسميهم خاصة بأهل البيت عقيب نزول الآية ، ويسكت عن غيرهم ويهمله ، وهو داخل فيهم في الحكم

المذكور في الآية .
اقول : والطهارة النقاء من الدنس والنجس ، والطاهر النقي .

(١١/١١)

وفي اصطلاح ارباب العرفان : الطاهر من عصمه الله عن المخالفات ، وهو ينقسم :
الى طاهر الظاهر ، وهو من عصمه الله من المعاصي .
وطاهر الباطن ، وهو من عصمه الله عن الوسواس والهواجس .

وطاهر السر ، وهو من لا يزيغ عن الله طرفة عين .
وطاهر السر والعلانية ، وهو من قام بتوفيقه حقوق الحق والخلق جميعاً ، لسعته برعاية الجانبين .
ولا خفاء في المراد به هنا لا يعم جميع هذه الاقسام ، وهذه النعوت لهم . عليهم السلام . عين الحق ونفس الواقع ، كيف لا وهم مصداق الحقيقي للاية الشريفة .
قال الطبرسي : استدلت الشيعة باختصاصها بأصحاب الكساء ، بأن قالوا : « انما » لاثبات ما يذكر بعده ونفي ما سواه ، فالارادة في الآية : اما ارادة محضة ، او ارادة يتبعها التطهير واذهاب الرجس .
لا سبيل الى الاول ؛ لانه تعالى قد اراد من كل مكلف هذه الارادة المطلقة ، فلا اختصاص بأهل البيت ولان هذا القول يقتضي المدح والتعظيم لهم ، ولا مدح في الارادة المجردة ، فيثبت الثاني ، وفي ثبوته ثبوت عصمة المعنيين بالآية من جميع القبائح ، وقد علمنا ان من عدا من ذكرنا من اهل البيت غير مقطوع على عصمته ، فثبت ان الآية مختصة بهم (١) انتهى .
* ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما . [الآية : ٥٦]
ظاهر كثير من الاخبار ، كقوله . صلى الله عليه وآله : « من ذكرت عنده فنسي الصلاة عليّ خطئ به طريق الجنة » (٢) وجوب الصلاة عليه عند ذكره ،

---

(١) مجمع البيان : ٤ / ٣٥٧ .
(٢) كنز العمال : ١ / ٤٩١ .

على الذاكر والمذكور عنده ، لمكان الوعيد الدال عليه .
وهو مختار الصدوق والمقداد من اصحابنا ، والطحاوي من العامة . وقال الزمخشري : وهو الذي يقتضيه الاحتياط (١) .

(١٢/١١)

والقول بوجوبها في كل مجلس مرة ، او في مدة العمر مرة ، مما لا مستند له ، فالقول به تحكم .
والاحوط وجوبها عند كل ذكر ؛ للاخبار الكثيرة الصريحة بالامر بها كلما ذكر ، والاصل في الامر الوجوب .
وأما القول بالاستحباب مطلقاً ، كما ذهب اليه جماعة ، مستدلين عليه بالاصل والشهرة ، المستندين الى عدم تعليمه . صلى الله عليه وآله . للمؤذنين ، وتركهم ذلك مع عدم وقوع نكير عليهم ، كما يفعلونه ، الآن ، ولو كان لنقل .
ففيه ان عدم التعليم ممنوع ، وكذا عدم النكير كعدم النقل . لما في الكافي عن الباقر . عليه السلام : اذا اذنت فافصح بالالف والهاء ، وصل على النبي . صلى الله عليه وآله . كلما ذكرته ، او ذكره ذاكر في اذان او غيره (٢) .
على ان عدم النقل لا يدل على عدمه ، واصالة البراءة لا يصح التمسك بها ، بعد ورود القرآن والاخبار .
قيل : والظاهر من بعض الاخبار ، كقول الصادق . عليه السلام : « اذا ذكر النبي فأكثروا الصلاة عليه » (٣) حيث رتب الامر بالصلاة على الذكر بالفاء التعقيبية ، هو ايقاعها على الفور ، فلو اهمل الفور اثم على القول بالوجوب ولم يسقط .
وفيه ان الفاء التعقيبية هي العاطفة ، وأما الداخلة على جزاء الشرط ، فقد نصوا على عدم افادتها التعقيب . فهذا الحديث لا يدل على وجوب ايقاعها على

---

(١) الكشاف : ٣ / ٢٧٣ .
(٢) فروع الكافي : ٣ / ٣٠٣ ح ٧ .
(٣) اصول الكافي : ٢ / ٤٩٢ ح ٦ .

الفور .
هذا والظاهر ان الامر بها عام لكل احد وعلى كل حالة ، حتى في الصلاة ، فلو ترك الامتثال

واشتغل بالقراءة فيها هل تبطل على تقدير الوجوب ام لا ؟
فان قلنا ان الامر بالشيء نهي عن ضده الخاص ، والنهي في العبادة يقتضي الفساد بطلت ، وان قلنا بعدمه فلا .

(١٣/١١)

فلو تكرر الذكر تكراراً كثيراً ، بحيث يخرج بالاشتغال بالصلاة عليه عن كونه مصلياً ، لا يبعد القول بسقوط التكليف بها ؛ لان الفعلين اذا تضيقا وتعذر الجمع بينهما ، علمنا ان احدهما ليس بواجب قطعاً ، ولما كان مشتغلاً بالصلاة ، ووجب اتمامها والاستمرار فيها ، كان ما ينافيه غير مأمور به ، فليتأمل .
هذا وغاية ما يقتضيه حديث الباقر . عليه السلام . المتقدم ذكره (١) وجوب الصلاة عليه اذا ذكر باسمه ، لا اذا ذكر بلقبه او بكنيته ؛ لان المذكور في الاذان اصالة هو ذلك .
فهذا قرينة على ان المراد بذكره الموجب لوجوب الصلاة عليه هو ذكره باسمه ، ولعله لذلك لم يعممه علماؤنا ، بل اقتصر من قال منهم بالوجوب على ذكر اسمه .
وأما الاستدلال بحديث الاحتياط على التعميم ، فليس هنا موضعه ؛ لانه انما شرع فيما يثبت وجوبه ، كما قالوا في احدى الصلوات المنسية الغير المعينة ، او كان ثبوت الوجوب هو الاصل ، كما في صوم ثلاثين من رمضان اذا غم الهلال ، اذ الاصل بقاء رمضان .
وأما مالا وجوب فيه ولا اصل ، فلا يجب فيه احتياط ، والصلاة عليه بذكره باللقب والكنية والضمير مما لم يثبت وجوبه ، وليس ثبوته هو الاصل ، بل الاصل عدم الوجوب الى ان يثبت الوجوب ، ولم يثبت بعد ، فالاحتياط هنا لا

---

(١) فروع الكافي : ٣ / ٣٠٣ .

يصلح دليلاً ، بل هو محتاج الى الدليل .
على انه . صلى الله عليه وآله . مذكور في كثير من الادعية المأثورة والاخبار المنقولة عن ذريته المعصومين صلوات الله عليهم اجمعين باسمه وكنيته ولقبه من دون اتباعه بالصلاة عليه ، وبعيد من دأب الرواة ان يرووا اصل الادعية والاخبار ، ويتركوا الصلاة عليه المسموعة من المعصوم الواجبة عليهم عند ذكره .

(١٤/١١)

وما ذكرناه يعلم في مواضع من الصحيفة السجادية ، منها : قول ابي عبد الله . عليه السلام . وهو مذكور قبل الشروع في الادعية في مقام بيان السند : اخبر الله نبيه بما يلقى اهل بيت محمد واهل مودته وشيعتهم منهم ، اي : من بني امية . الى قوله : ونعمة الله محمد واهل بيته الحديث . وله نظائر .

(١٥/١١)

(سورة فاطر)

* اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه .[الآية : ١٠]

الضمير في « يرفعه » : اما ان يعود الى العمل الصالح ، اي : يتقبله . واما الى الكلم الطيب ، اي : العمل الصالح يرفع الكلم الطيب .

وقيل : هو من القلب ، اي الكلم الطيب يرفع العمل الصالح .

والظاهر من هذا الحديث هو الاول ، فالضمير المستكن في « يرفعه » وهو الضمير الفاعل يعود الى الكلم الطيب ، والبارز الى العمل الصالح ، اي : العمل الصالح يرفعه الكلم الطيب ، وهو ولايتنا اهل البيت ، فلا حاجة فيه الى القول بالقلب ، فافهم .

روى الكليني باسناده عن عمار الاسدي عن ابي عبد الله . عليه السلام . في قول الله عز وجل « اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » ولايتنا اهل البيت ، واهوى بيده الى صدره ، فمن لم يتولنا لم يرفع الله له عملاً (١) .

قيل : الظاهر ان قوله « ولايتنا » تفسير لعمل الصالح ، فالمستتر في قوله « يرفعه » راجع اليه والبارز الى الكلم ، والمراد به كلمة الاخلاص والدعاء والاذكار كلها ، وبصعوده بلوغه الى محل الاعلى والقبول ، اي : العمل الصالح وهو الولاية يرفع الكلم الطيب ويبلغه حد القبول ، والاظهر ما ذكرناه ، فتأمل .

---

(١) اصول الكافي : ١ / ٤٣٠ ح ٨٥ .

---

(٢٠٢)

* وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج . . . [الآية : ١٢]

العذب : الطيب الذي لا ملوحة فيه .
وفي القاموس : العذب من الطعام والشراب كل مستساغ (١) .
والاجاج : بالضم الماء الملح الشديد الملوحة .

والماء اذا كان لطيفاً خفيفاً وزنه لقلة ما يخالطه من الارضية ، وعدم ما يمازجه من الاوساخ المدنية ، والكيفيات المعدنية الموجبة لفسادها ، جارياً على تربة نقية غير قابلة للعفونة ، وخاصة الماء الجاري الى المشرق ؛ لان الرياح المشرقية معتدلة بين الحرارة والبرودة مائلة الى اليبوسة ، فتكون مصلحة له ، ولا سيما الماء المنحدر الى الاسفل ، فان حركته اسرع ، فيزيده لطافة ، وخاصة اذا بعد المنبع ؛ لانه حينئذ يكون الطف لكثرة حركته بطول المسافة .
يرقق (٢) لرقته ولطافته رطوبة الفم ، ويسيلها وينفذها في جرم اللسان وهو خال عن الطعوم ، وبذلك تحصل العذوبة ؛ لان طعم هذه الرطوبة مائل الى العذوبة ، كالبلغم الطبيعي .
والعذوبة او درجات الحلاوة ، ولذلك يخيل لشاربه انه حلو ، والا فالماء البسيط لا طعم له ولا رائحة ، بل ولا لون ، كما ثبت في محله .

---

(١) القاموس المحيط : ١ / ١٠١ .
(٢) خبر لقوله « والماء » ، « منه » .
---

(٢٠٣)

* انما يخشى الله من عباده العلماء [الآية : ٢٨]

دل بمنطوقه على ان العلماء يخشون الله لعلمهم ، لان تعليق الحكم على الوصف يشعر بعليته ، وبمفهومه على ان غير العلماء لا يخشون الله لجهلهم .
والمراد من العلم في الآية هو علم الشريعة لشرفه ، ولانه هو العلم النافع ، فكأن العلم منحصر فيه ، كما دلت عليه الظواهر .
وأما تخصيصه بعلم الفروع ، فهو اصطلاح مستحدث حدث بعد الصحابة والتابعين ، وليس في كلام الاسلاف منه عين ولا اثر .
وهذا الاصطلاح المستحدث لم يثبت في العلم ، كما ثبت في الفقه ، وكأن الوجه فيه ان الفقه لما اعتبر في مفهومه لغة ثم عرفاً تدقيق النظر واستعمال الفطنة ، خص بعلم الفروع بتلك المناسبة ،

لاحتياجه الى مزيد تدقيق واستعمال فطنة ، بخلاف العلم ، فانه لم يعتبر ذلك في مفهومه لا لغة ولا عرفاً .

(٢/١٢)

وانت خبير بأن في الآية جعل العلم موجباً للخشية ، ومعناه كما قيل : ان الخشية لا توجد بدون العلم ، لا كلما وجد العلم وجدت الخشية ، ليلزم ان ما لا خشية فيه لا يكون علماً .

وقال الطبرسي رحمه الله : ومتى قيل قد نرى من العلماء من لا يخاف الله ويركب المعاصي ، فالجواب انه لا بد من ان يخافه مع العلم به ، وان كان ربما يؤثر المعصية عند غلبة الشهوة لعاجل اللذة (١) .

والظاهر من كلامه هذا ان العلم بالله لا ينفك عن الخشية له ، كما ان الخشية له لا تنفك عن العلم به ، فهما متلازمان ، فكل ما تحقق احدهما تحقق الاخر ، كما اشار اليه الغزالي .

---

(١) مجمع البيان : ٤ / ٤٠٧ .

ولما كان مدار الخشية على معرفة المخشى ، كانت الخشية له تعالى على حسب العلم بنعوت كماله وصفات جلاله ، فمن كان اعلم به كان اخشى له .

وفي الحديث : اعلمكم بالله اشدكم خشية له (١) .

وقال بعض الفضلاء : المراد بالعلم قريب مما يراد من الفقه ، لا المعاني المصطلحة المستحدثة ، كحصول الصورة ، او الصورة الحاصلة عند العقل ، او ملكة تقتدر بها على ادراكات جزئية وما اشبه ذلك ، فان العلماء ورثة الانبياء ، وليس شيء من هذه المعاني ميراث الانبياء .

اقول : قد روي عن الصادق . عليه السلام . انه قال : ان الانبياء انما اورثوا الاحاديث من احاديثهم ، فمن اخذ بشيء منها فقد اخذ حظاً وافراً (٢) .

وعلى هذا فالمراد بالعلماء هم المحدثون العاملون بها ، لقوله . عليه السلام . في حديث آخر : يعني بالعلماء من صدق فعله قوله ، ومن لم يصدق فعله قوله فليس بعالم (٣) .

(٣/١٢)

ثم قال هذا الفاضل : وقد قال الله تعالى : « انما يخشى الله من عباده العلماء » فقد جعل العلم موجباً للخشية والخوف ، لتعليق الحكم على الوصف ، فجميع ما ارتسم في ذهنك من التصورات والتصديقات التي لا توجب لك الخشية والخوف ، وان كانت في كمال الدقة والغموض ، فليست من العلم في شيء بمقتضى الآية الكريمة ، بل هي جهل محض ، بل الجهل خير منها . انتهى كلامه .

وفيه ان العلم عبارة عن انكشاف المعلوم على العالم : اما بذاته ، او بصورته من غير ان يعتبر فيه افادة الخشية وعدمها . نعم لو كان المعلوم مما له هيبة ، فربما

---

(١) نفس المصدر .

(٢) اصول الكافي : ١ / ٣٢ ح ٢ .

(٣) اصول الكافي : ١ / ٣٦ ح ٢ .

يوجب العلم به خشية وخوفاً اذا تصور من تلك الجهة .

والآية لا تدل على ان العلم بغير الله ايضا يوجب الخشية ، حتى يلزم من انتفائها انتفاؤه ، وانما تدل على ان العلم بالله وبصفاته يوجب ذلك ، وهو كذلك ، كما اشار اليه علي بن الحسين صلوات الله عليهما « سبحانك اخشى خلقك لك اعلمهم بك » .

(سورة يس)

* ألم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون . [الآية : ٣١]

استدل صاحب الكشاف بهذه الآية الكريمة على انكار الرجعة وقال : وهذا مما يرد قول اهل الرجعة (١) .

واراد بهم اصحابنا الامامية رضوان الله عليهم ، فان القول بالرجعة والايمان بها مما تفردوا به ، ونقلوا فيه اخباراً كثيرة .

منها : ان الله سيعيد قوماً عند قيام المهدي . عليه السلام . ممن تقدم مودتهم من اوليائه وشيعته ممن محض الايمان محضاً ، ليفوزوا بثواب نصرته ومعونته ، ويبتهجوا بظهور دولته ، ويعيد ايضا قوما من اعدائه ممن محض الكفر محضا لينتقم منهم ، وينالوا بعض ما يستحقونه من العقاب في القتل

على ايدي شيعته ، او الذل والخزي بما يشاهدونه من علو كلمته (٢) .
وهذا . اي : تفردهم بذلك . هو المشهور بين اصحابنا .

(٤/١٢)

ولكن يظهر من ابن الاثير في نهايته ان القول بالرجعة ليس من متفرداتهم ، حيث قال : ان الرجعة مذهب قوم من العرب في الجاهلية معروف عندهم ، ومذهب طائفة من فرق المسلمين من اولي البدع والاهواء ، يقولون : ان الميت يرجع الى الدنيا ويكون فيها حياً كما كان .

---

(١) الكشاف : ٣ / ٣٢١ .
(٢) بحار الانوار : ٥٣ / ١٢٦ . ١٢٧ .
---
(٢٠٨)
ومن جملتهم طائفة من الرافظة يقولون : ان علي بن ابي طالب مستقر في السحاب ، فلا يخرج مع من خرج من ولده حتى ينادي مناد من السماء اخرج مع فلان ، ويشهد لهذا المذهب السوء قوله تعالى : « حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحاً » يريد الكفار ، نحمد الله على الهداية والايمان (١) انتهى .
وهذا منهم افتراء وبهتان عظيم على الرافضة ، فانهم وان قالوا برجعته . عليه السلام . ولكن لم يقل به احد منهم بحياته واستقراره في السحاب ، بل القول بحياته قول طائفة من الغلاة ليس الا .
اقول : وفيما ذكره الكشاف نظر ؛ اذ غاية ما دلت عليه الآية ان القرون الهالكة الخالية لا يرجعون بصورهم الاصلية الى العباد المستهزئين للرسل مدة حياتهم .
وأما أنهم لا يرجعون ابداً لا اليهم ولا الى غيرهم ، او ان غير هؤلاء الهالكين لا يرجع قبل يوم القيامة الى الدنيا بصورته التي كان عليها ، فلا دلالة لها عليه بشيء من الدلالات .
ثم أية منافاة بين رجوع علي . عليه السلام . الى الدنيا ، وبين نكاح نسائه وقسمة ميراثه ؛ اذا كان ذلك جائزاً في الشرع .
فما حكاه عن ابن عباس انه قيل له : ان قوماً يزعمون ان علياً . عليه السلام . مبعوث قبل يوم القيامة ، فقال : بئس القوم نحن ، ان نكحنا نساؤه وقسمنا ميراثه (٢) .
فمع انه فرية لا مرية فيها لا يدل على عدم الجواز ، فان كثيرا من القرون الماضية وغيرهم ماتوا ونكح نساؤهم وقسم اموالهم ، ثم رجعوا الى الدنيا وعاشوا

(١) نهاية ابن الاثير : ٢ / ٢٠٢ .

(٢) الكشاف : ٣ / ٣٢١ .

فيها ما شاء الله ، ثم ماتوا بآجالهم .

ثم كيف يصير قول ابن عباس . على فرض ثبوته وصحته . دافعاً لقول امير المؤمنين سلام الله عليه في حديث ابي الطفيل في الرجعة :

هذا علم يسع (١) الامة جهله ورد علمه الى الله . قال : وقرأ علي بذلك قراءة كثيرة ، وفسره تفسيراً شافياً ، حتى صرت ما انا بيوم القيامة اشد يقيناً مني بالرجعة الحديث (٢) .

وكان عامر بن واثلة الكناني ابو الطفيل هذا آخر من مات ممن رأى النبي . صلى الله عليه وآله .

كما في الاستيعاب ، قال : وقد روى عنه . صلى الله عليه وآله . نحو اربعة احاديث ، وكان محبا في علي . عليه السلام . وكان من اصحابه في مشاهده ، وكان ثقة مأموناً ، يعترف بفضل الشيخين ، الا انه كان يقدم علياً . عليه السلام (٣) .

ويقال (٤) : انه ادرك من حياة النبي . صلى الله عليه وآله . ثمان سنين ، وكان مولده في يوم احد ، ومات سنة مائة او نحوها انتهى .

وفي مختصر الذهبي : وكان ابو الطفيل من محبي علي ، وبه ختم الصحابة في الدنيا ، مات سنة عشر ومائة (٥) انتهى .

وهذان الكتابان ، وهما الاستيعاب والمختصر من كتب رجال العامة .

وفي الكشي في ترجمة عامر بن واثلة ابي الطفيل هذا باسناده الى شهاب

---

(١) في البحار : هذا علم خاص لا يسع .

(٢) بحار الانوار : ٥٣ / ٦٩ .

(٣) الاستيعاب : ٣ / ١٥ ، المطبوع على هامش الاصابة .

(٤) والقائل هو ابن الاثير في جامع الاصول ، راجع التعليقة على اختيار معرفة الرجال : ١ / ٣٠٩ والشيخ في رجاله : ٤٧ .

(٥) راجع تهذيب التهذيب لابن حجر : ٥ / ٨٢ .

---

(٢١٠)

ابن عبد ربه ، قال قلت لابي عبد الله . عليه السلام : كيف اصبحت جعلت فداك ؟ قال : اصبحت اقول كما قال ابو الطفيل يقول :

وان لاهل الحق لابد دولة * على الناس اياها أرجى وأرقب

ثم قال : انا والله ممن يرجي ويرقب ، وكان يقول : ما بقي من السبعين غيري (١) .

(٦/١٢)

واراد بهم الذين قتلوا مع الحسين . عليه السلام . ويظهر منه انه كان من اصحابه . عليه السلام . ايضا . ومن كلامه :

وبقيت سهماً من النكاية واحداً * سترمي به او يكسر السهم كاسرة (٢)

وكان يحفظ الاحاديث على ما يكون ، ولا يخلي دخول الغلط فيها .

ثم من العجب ان هذا الرجل المعتزلي الاصول حنفي الفروع صاحب التفسير يفّوه بكل ما خطر بباله من غير مبالاة .

ولعله ذهب عنه ما نقلوه في كتبهم انه اذا خرج المهدي . عليه السلام . نزل عيسى بن مريم فصلى خلفه ، ونزوله الى الارض رجوعه الى الدنيا بعد موته ، لقوله تعالى فيه « اني متوفيك ورافعك الي » (٣) .

الا يرى الى قوله تعالى : « الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم » (٤) فهؤلاء ماتوا ورجعوا الى الدنيا .

وقال تعالى في قصة عزير اوارميا على اختلاف القولين « فأماته الله مائة عام ثم بعثه » (٥) قال هذا الرجل المنكر للرجعة في تفسيره : انه كان كافراً

---

(١) اختيار معرفة الرجال : ١ / ٣٠٨ . ٣٠٩ .

(٢) نفس المصدر .

(٣) آل عمران : ٥٥ .

(٤) البقرة : ٢٤٣ .

(٥) البقرة : ٢٥٩ .

---

(٢١١)

بالبعث ، وهو الظاهر ، لانتظامه مع نمرود في سلك ، ثم قال وقيل : هو عزير او الخضر (١) .
اقول : وعلى اي الاقوال فهذا مات مائة عام ، ثم رجع الى الدنيا وبقي فيها ، ثم مات بأجله .
قال هذا المنكر بعد قوله تعالى : « ولنجعلك آية للناس » قيل : اتى قومه راكب حماره ، وقال : انا عزير ، فكذبوه ، فقال : هاتوا التوراة ، فأخذها يهذها هذا عن ظهر قلبه وهم ينظرون في الكتاب ، فما خرم حرفا ، فقالوا : هو ابن الله ، ولم يقرأ التوراة ظاهراً احد قبل عزير ، فذلك كونه آية . وقيل : رجع الى منزله ، فرأى اولاده شيوخاً وهو شاب ، فاذا حدثهم بحديث قالوا : حديث مائة سنة (٢) انتهى .

وفي قصة المختارين من قوم موسى لميقات ربه « ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون »(٣) فأحياهم فرجعوا الى الدنيا ، فأكلوا وشربوا ونكحوا وولد لهم الاولاد وبقوا فيها ، ثم ماتوا بآجالهم .
وكذلك جميع الموتى الذين احياهم الله لعيسى . عليه السلام . رجعوا الى الدنيا وبقوا فيها ثم ماتوا .
وقصة اصحاب الكهف معروفة .
والرواية النبوية : كل ما كان في الامم السالفة يكون في هذه الامة مثله حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة . (٤) مشهورة وسائر الاقاصيص في محالها مسطورة .
وليس ينبغي ان يعجب من ذلك ، فضلا عن ان ينكر ، فان الامور المجهولة

---

(١) الكشاف : ١ / ٣٨٩ .
(٢) الكشاف : ١ / ٣٩٠ . ٣٩١ .
(٣) البقرة : ٥٦ .
(٤) مسند احمد بن حنبل : ٢ / ٣٢٥ و ٣٢٧ و ٣٣٦ وغيرها .

العلل لا يعجب منها . الا يرى الى قول سيدنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه وقد سبق : هذا علم يسع الناس جهله ورد علمه الى الله (١) .
على ان بعض علله ، كفوز الاولياء بثواب النصرة والمعونة وبهجتهم بظهور الدولة والسلطنة ، والانتقام من الاعداء ، ونيلهم بعض ما يستحقونه من العقاب والعذاب في الدنيا ، الى غير ذلك من البواعث في الحكمة في الاخبار مذكور وفي الاثار مسطور . وقد سبق في الخبر الاول ، وله نظائر لا يسع ذكرها المقام .

والصلاة على محمد وآله خير البرية والانام .

---

(١) بحار الانوار : ٥٣ / ١٢٩ .

(سورة الصافات)

* وان من شيعته لابراهيم . [الآية : ٨٣]

الشيعة : بالكسر الاتباع والاعوان والانصار ، مأخوذ من الشياع ، وهو الحطب الصغار التي تشعل بالنار ، وتعين الحطب الكبار على ايقاد النار ، وكل قوم اجتمعوا على امر فهم شيعة ، ثم صارت الشيعة اسما لجماعة مخصوصة .

(٨/١٢)

وفي القاموس : شيعة الرجل بالكسر اتباعه وانصاره ، والفرقة على حدة ، وتقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث ، وقد غلب هذا الاسم على كل من يتولى علياً وأهل بيته ، حتى صار اسماً لهم خاصاً(١) .

وفي نهاية أبن الأثير : أصل الشيعة الفرقة من الناس ، وتقع على الواحد والأثنين والجمع ، والمذكر والمؤنث بلفظ واحد ومعنى واحد ، وغلب هذا الأسم على من يزعم أنه يوالي علياً وأهل بيته ، حتى صار لهم إسما خاصا ، فاذا قيل : فلان من الشيعة عرف انه منهم ، من المشايعة وهي المتابعة والمطاوعة (٢) انتهى كلامه .

وفي مجمع البيان في فصل اللغة : الشيعة الجماعة التابعة لرئيس لهم ، وصار بالعرف عبارة عن شيعة علي بن ابي طالب . عليه السلام . الذين كانوا معه على اعدائه ، وبعده مع من قام مقامه من ابنائه . عليهم السلام .

وفي موثقة ابي بصير عن ابي جعفر . عليه السلام . انه قال : ليهنئكم الاسم ، قلت : وما هو جعلت فداك ؟ قال : « وان من شيعته لابراهيم » وقوله

---

(١) القاموس المحيط : ٣ / ٤٧ .

(٢) نهاية ابن الاثير : ٢ / ٥١٩ . ٥٢٠ .

عز وجل : « فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه » فليهنئكم الاسم .
هكذا وجد في ثلاث نسخ معتبرة من تفسير علي بن ابي ابراهيم (١) ، والظاهر انه سقط هنا منه شيء .
والصحيح ما في مجمع البيان : روى ابو بصير عن ابي جعفر . عليه السلام . قال : ليهنئكم الاسم ، قلت : وما هو ؟ قال : الشيعة ، قلت : الناس يعيروننا بذلك ، قال : اما تسمع قول الله سبحانه « وان من شيعته لابراهيم » وقوله « فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه » (٢) انتهى ما في مجمع البيان .
أقول : ويستفاد من بعض الاخبار ان تسمية الشيعة بهذا الاسم باعتبار ان نور نبينا وروحه هو الذي تشعبت منه انوار اوصيائه المعصومين . عليهم السلام . ثم خلقت من شعاعها ارواح شيعتهم من الاولين والاخرين ، فلذلك سموا بهذا الاسم .

(٩/١٢)

واليه يشير ما روي عن المفضل بن عمر ، قال قلت لمولانا الصادق . عليه السلام . ما كنتم قبل ان يخلق الله السموات والارض ؟ قال : كنا انواراً حول العرش نسبح الله ونقدسه حتى خلق الله الملائكة ، فقال لهم الله : سبحوا ، فقالوا : اي رب لا علم لا ، فقال لنا : سبحوا فسبحنا ، فسبحت الملائكة بتسبيحنا ، الا انا خلقنا انواراً (٣) ، وخلقت شيعتنا من شعاع تلك الانوار ، فلذلك سميت شيعة ، فاذا كان يوم القيامة التحقت السفلى بالعليا ، ثم قرب ما بين اصبعيه (٤) .
وفيه من بشارة الشيعة والدلالة على جلالة قدرهم ما لا يخفى .

---

(١) تفسير القمي : ٢ / ٢٢٣ . أقول : والرواية في تفسير القمي المطبوع تطابق ما في مجمع البيان من دون سقط شيء .
(٢) مجمع البيان : ٣ / ٤٤٨ . ٤٤٩ .
(٣) في البحار : خلقنا من نور الله .
(٤) بحار الانوار : ٢٥ / ٢١ ح ٣٤ .

فان قلت : ما معنى قول ابي بصير الناس يعيروننا بذلك ؟
قلت : هو اشارة الى قول المخالفين ان اصل التشيع اليهودية .
قال الكشي في كتاب الرجال : ذكر بعض اهل العلم ان عبد الله بن سبأ كان يهودياً ، فأسلم ووالى

علياً . عليه السلام . وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون وصي موسى على نبينا وآله وعليه السلام بالغلو ، فقال في اسلامه بعد وفاة رسول الله . صلى الله عليه وآله . في علي . عليه السلام . مثل ذلك .

وكان اول من شهر بالقول بفرض امامة علي . عليه السلام . واظهر البراءة من اعدائه ، وكاشف مخالفيه وكفرهم ، فمن هاهنا قال من خالف الشيعة : ان اصل التشيع والرفض مأخوذ من اليهودية (١) انتهى .

اقول : وكان في زمن نوح النبي على نبينا وآله وعليه السلام طائفة من قومه قد آمنوا به يقال لهم : الشيعة ، وقوم آخرون في مقابلهم قد كفروا به يقال لهم : العامة .

(١٠/١٢)

وقد نالت الشيعة منهم شدة شديدة ، واشتدت عليهم البلوى ، وعظمت فيهم الرزية ، وكانوا منتظرين للفرج مدة مديدة وازمنة طويلة ، الى ان اهلك الله اعداءهم بالطوفان . وقريب منه ما يجري في هذه الازمان .

روى الصدوق رحمه الله في كتاب كمال الدين وتمام النعمة باسناده الى عبد الله بن الفضل الهاشمي ، قال قال الصادق جعفر بن محمد . عليهما السلام : لما اظهر الله تبارك وتعالى نبوة نوح . عليه السلام . وايقن الشيعة بالفرج ، اشتدت البلوى وعظمت الرزية (٢) ، الى ان آل الامر الى شدة شديدة نالت الشيعة ، والوثوب الى نوح (٣) بالضرب المبرح .

---

(١) اختيار معرفة الرجال : ١ / ٣٢٤ .

(٢) في المصدر : الفرية .

(٣) في المصدر : على نوح .

حتى مكث . عليه السلام . في بعض الاوقات مغشيا عليه ثلاثة ايام يجري الدم من اذنه ، ثم افاق ، وذلك بعد ثلاثمائة سنة من مبعثه ، وهو في خلال ذلك يدعوهم ليلاً ونهاراً فيهربون ، ويدعوهم سراً فلا يجيبون ، ويدعوهم علانية فيولون .

فهم بعد ثلاثمائة سنة بالدعاء عليهم ، وجلس بعد صلاة الفجر للدعاء ، فهبط اليه وفد من السماء السابعة وهم املاك فسلموا عليه ، ثم قالوا : يا نبي الله لنا حاجة ، قال : وما هي ؟ قالوا : تؤخر الدعاء على قومك ، فانها اول سطوة الله عز وجل في الارض ، قال : قد اخرت الدعاء عليهم

ثلاثمائة سنة اخرى .

وعاد اليهم فصنع ما كان يصنع ، ويفعلون ما كانوا يفعلون ، حتى انقضت ثلاثمائة سنة اخرى ، ويئس من ايمانهم ، جلس في وقت ضحى النهار للدعاء ، فهبط عليه وفد من السماء السادسة وهم ثلاثة املاك فسلموا عليه ، وقالوا : نحن وفد من السماء السادسة خرجنا بكرة وجئناك ضحوة ، ثم سألوه مثل ما سأله وفد السماء السابعة ، فأجابهم الى مثل ما اجاب اولئك اليه .

(١١/١٢)

وعاد الى قومه يدعوهم ، فلا يزيدهم دعاؤه الا فراراً ، حتى انقضت ثلاثمائة اخرى تتمة تسعمائة سنة ، فصارت الشيعة اليه وشكوا ما ينالهم من العامة والطواغيت ، وسألوه الدعاء بالفرج .

فأجابهم الى ذلك وصلى ودعا ، فهبط عليه جبرئيل . عليه السلام . فقال له : ان الله تبارك وتعالى قد اجاب دعوتك ، فقل للشيعة يأكلون (١) التمر ويغرسون (٢) النوى ، ويراعونه (٣) حتى يثمر ، فاذا اثمرت فرجت عنهم .

فحمد الله واثنا عليه ، وعرفهم ذلك فاستبشروا به ، فأكلوا التمر وغرسوا

---

(١) في المصدر : يأكلوا .

(٢) في المصدر : ويغرسوا .

(٣) في المصدر : ويراعوه .

النوى ، وراعوه حتى اثمر ، ثم صاروا الى نوح . عليه السلام . بالثمرة (١) ، وسألوه ان ينجز لهم بالوعد .

فسأل الله عز وجل في ذلك ، فأوحى الله اليه قل لهم كلوا هذا التمر واغرسوا النوى ، فاذا اثمر فرجت عنكم ، فلما ظنوا ان الخلف قد وقع عليهم ارتد منهم الثلث وثبت الثلثان .

فأكلوا التمر وغرسوا النوى ، حتى اذا اثمر اتوا به نوحاً . عليه السلام . فأخبروه وسألوه ان ينجز لهم الوعد ، فسأل الله عز وجل في ذلك ، فأوحى الله اليه قل لهم : كلوا هذا التمر واغرسوا النوى ، فاذا اثمر فرجت عنكم ، فارتد الثلث الاخر وبقي الثلث .

فأكلوا التمر وغرسوا النوى ، فلما اثمر اتوا به نوحاً . عليه السلام . فقالوا له : لم يبق منا الا القليل ، ونحن نتخوف على انفسنا بتأخير الفرج ان نهلك .

فصلى نوح . عليه السلام . فقال : يا رب لم يبق من اصحابي الا هذه العصابة ، واني اخاف عليهم

الهلاك ان تأخر عنهم الفرج ، فأوحى الله عز وجل اليه قد اجبت دعاءك فاصنع الفلك ، وكان بين اجابة الدعاء وبين الطوفان خمسون سنة (٢) .

فظهر مما نقلناه ان هذا الاسم وهو الشيعة ، كان شايعاً في زمن نوح النبي . عليه السلام . وكان يطلق على كل من اتبعه في طريق الحق .

(١٢/١٢)

ولذلك قال الله تبارك وتعالى « وان من شيعته لابراهيم » اي : وان من شيعة نوح ابراهيم . عليهما السلام . يعني : انه كان على منهاجه وسنته في التوحيد والعدل واتباع الحق .

---

(١) في المصدر : بالتمر .

(٢) كمال الدين : ١٣٣ . ١٣٤ .

---

* وويل للمشركين * الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالاخرة هم كافرون . [الايتان : ٦ . ٧]

قال الفاضل الاردبيلي قدس سره بعد نقله في آيات الاحكام كريمة « وويل للمشركين » الآية : فيها دلالة على وجوب الزكاة على الكفار ؛ لانه يفهم منها ان للوصف بعدم ايتاء الزكاة دخلاً في ثبوت الويل لهم ، ولكن علم من الاجماع وغيره عدم الصحة منهم الا بعد الاسلام (١) ، الى هنا كلامه طاب منامه .

فان قلت : « الذين لا يؤتون الزكاة » صفة كاشفة على طريقة الالمعي الذي يظن بك الظن ، فيدل على ان المراد بالمشركين من لا يؤتي الزكاة ، واطلاقه عليه من باب المبالغة ، كاطلاق الكافر على تارك الحج في قوله « ومن كفر » وكذلك حصر الكافرين بالاخرة فيهم ، للمبالغة والاشارة الى غاية اهتمامه تعالى بشأن الزكاة ووجوب اخراجها .

ويدل عليه بعض الروايات ، كرواية ابي بصير عن ابي عبد الله . عليه السلام : من منع قيراطاً من الزكاة ، فليس بمؤمن ولا مسلم (٢) .

وقوله « وهم بالاخرة هم كافرون » جملة حالية تعليلية ، اي : عدم ايتائهم الزكاة ، لانهم غير مؤمنين بالاخرة ، اذ الايمان بها يقتضي ايتائها ، فعدمه دليل على عدمه .

(١) زبدة البيان : ١٨٠ .
(٢) من لا يحضره الفقيه : ٢ / ١٢ .

فدلت الآية على شرك الموصوفين بعدم الايتاء المعلل بعدم الايمان بالاخرة ، ولا دلالة فيها على وجوب الزكاة على الكفار ، ليثبت به تكليفهم بالفروع .

(١٣/١٢)

قلت : فيها دلالة على ان ترك الزكاة من صفات الكفار ، وفي تعليق الويل على الوصف بعدم الايتاء اشعار بعليته لثبوتها لهم ، فتدل على وجوبها عليهم ، ويلزم منه كونهم مكلفين بها .
قال القاساني قدس سره في الصافي بعد نقله ما رواه القمي عن ابان بن تغلب ، قال : قال ابو عبد الله . عليه السلام : يا ابان اترى ان الله طلب من المشركين زكاة اموالهم وهم يشركون به ، حيث يقول « وويل للمشركين » الآية ، قلت له : جعلت فداك فسره لي ، فقال : ويل للمشركين الذين اشركوا بالامام الاول وهم بالائمة كافرون : يا ابان انما دعا الله العباد الى الايمان ، فاذا آمنوا بالله وبرسوله افترض عليهم الفرائض .
هذا الحديث يدل على ما هو التحقيق عندي من ان الكفار غير مكلفين بالاحكام الشرعية ما داموا على الكفر (١) .
وفيه ان هذا الحديث بظاهره لما كان مخالفاً للمذهب المشهور المنصور ، ولظاهره هذه الآية وظواهر كثير من الايات ، وجب تأويله على تقدير امكانه ، اورده على تقدير عدمه .
لما ورد عن الصادقين . عليهم السلام . في كثير من الاخبار : اذا جاءكم عنا حديث ، فاعرضوه على كتاب الله ، فاذا وافقه فخذوه ، وان خالفه فردوه واضربوا به عرض الحائط (٢) .
وفي الكافي بسند صحيح عن الصادق . عليه السلام : ان الحديث الذي لا

---
(١) تفسير الصافي : ٤ / ٣٥٣ .
(٢) تهذيب الاحكام : ٦ / ٣٠٢ ، مضمون الحديث ، واصول الكافي : ١ / ٦٩ ح ٢ .

يوافق القرآن فهو زخرف (١) .

وعنه صلى الله عليه وآله : ستكثر من بعدي الاحاديث ، فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالفه فانبذوه . (٢) الى غير ذلك من الاخبار .

وبالجملة مدار الاستدلال بالايات والروايات على الاحكام الشرعية من السلف الى الخلف على الظاهر المتبادر ، لما تقرر في الاصول من امتناع ان يخاطب اله بشيء يريد خلاف ظاهره من دون البيان .

والا لزم الاغراء بالجهل ، لان اطلاق اللفظ الظاهر الدلالة على معنى يوجب اعتقاد سامعه العالم بوضعه ارادة لافظه منه ذلك المعنى ، فاذا لم يكن ذلك المعنى مراداً للافظ كان اعتقاد السامع ارادته له جهلاً ، فاطلاقه مع عدم ارادته معناه الظاهر اغراء للسامع بذلك الاعتقاد الجهل ، ولانه بالنسبة الى غير ظاهره مهمل ، فتأمل .

---

(١) اصول الكافي : ١ / ٦٩ ح ٣ .

(٢) اصول الكافي : ١ / ٦٩ ح ٥ و ١ .

(سورة الشورى)

* قل لا أسألكم عليه أجراً الا المودة في القربى . [الآية : ٢٣]

هذه الآية تدل على فضائل محبيهم اكثر مما يتصور ، لانه تعالى جعل مودتهم اجر الرسالة ، والاجر على قدر العمل ، فكما ان حقوق رسالته . صلى الله عليه وآله . لا يتناهى ، فكذا ثمرة مودتهم لا يعد ولا يحصى ، وظاهر ان المودة والمحبة بشرائطها لا تحصل الا للشيعة .

يصدق ذلك ما في صحيحة اسماعيل الجعفي ، قال قلت لابي جعفر . عليه السلام : رجل يحب امير المؤمنين . عليه السلام . ولا يتبرأ من عدوه ، ويقول : هو احب اليّ ممن خالفه ، قال : هذا مخلط وهو عدو ، فلا تصل خلفه ولا كرامة الا ان تتقيه (١) .

أي : هو يلبس عليكم انه ليس من المعادين وهو منهم ، او انه مخلط بين المحبة والعداوة . ويفهم منه ان المؤمن من يتبرأ من اعدائهم ، بل التبرأ جزء منه ، كيف لا وحب علي . عليه السلام . عبادة ، والنظر الى علي . عليه السلام . عبادة ، ولا يقبل الله ايمان عبد الا بموالاته وبالبراءة من اعدائه .

وفي رواية اخرى : من اراد ان يحيى حياتي ويموت ميتتي ، ويدخل جنة عدن التي غرسها الله بيده ، فليتول علي بن ابي طالب . عليه السلام . وليتول

---

(١) من لا يحضره الفقيه : ١ / ٣٨٠ ح ١١١٧ .

وليه ، وليعاد عدوه ، وليسلم للاوصياء من بعده (١) .

فأمر اولاً بمحبته ، ثم بمحبة من يحبه وعداوة من يعاديه ، اذ بذلك تتم المحبة وتخلص المودة ، ولعله لذلك قدم هاتين الفقرتين على التسليم للاوصياء .

وفي ذلك تنبيه على ان محبتهم الواجبة التي امر الله بها وجعلها اجر الرسالة هي هذه ، فكما تجب على كافة البرايا محبتهم تجب عليهم محبة اوليائهم وعداوة اعدائهم ، كما وردت به روايات كثيرة .

وبالجملة لا تتم المحبة والمودة الا باستجماع مراتب الصداقة ، والاجتناب عما يوجب العداوة .

واعلم ان المحبة على ضربين : ما ركز في الطبع من الميل الجبلي الى مشتهيات النفس الامارة بالسوء ، وما جبل عليه العقل ونشأ من الايمان والاعتقاد ، ومن حب الله ورسله وملائكته واوليائه ، الى غير ذلك من مقتضيات النفس المطمئنة التي فطر الناس عليها .

واليه يشير قوله تعالى « ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم » (٢) وهذه المحبة كما انها ناشئة عن الايمان ، داعية الى الاستسلام والانقياد ، وهذا هو المراد بمحبة آل محمد . عليهم السلام .

ومنه يظهر سر ايجاب محبتهم ومودتهم ، فانها تدعو الى التسليم ، وهو الى الصراط المستقيم ، الموصل الى جنات النعيم .

وسر جعلها اجر الرسالة والنبي . صلى الله عليه وآله . لم يقبل اجراً على رسالته ، هو ان فائدة هذا الاجر وثمرته تعود الى الامة ، فالله سبحانه لما علم من اهتمامه . صلى الله عليه وآله . بأمر امته ورأفته ورحمته بهم ، حتى كادت نفسه النفيسة وروحه الشريفة ان تذهب حسرات عليهم ، جعل ما يرجع نفعه اليهم

---

(١) المناقب للخوارزمي : ٤٤ ط تبريز ، وكنز العمال : ١٢ / ١٠٣ .

(٢) الحجرات : ٧ .

أجراً للرسالة .

ومن هنا علم انه ليس في الاسلام انفع من محبتهم ، اذ لو كان لكان اولى بأن يجعل اجر الرسالة ليعود نفعه الى الامة .

هذا والمراد بـ « آله » صلى الله عليه وآله عند الخاصة عترته الطاهرة من اهل العصمة صلوات الله عليهم ، ولا وجه لتخصيص الشهيد الثاني في شرحه على اللمعة بأصحاب الكساء ، وهم علي وفاطمة وابناهما الحسن والحسين . عليهم السلام . ثم قال : ويطلق تغليبا على باقي الائمة . عليهم السلام .

وفي الحديث : لا تحل الصدقة لمحمد وآل محمد(١) .

وسئل الصادق . عليه السلام . من الآل ؟ فقال : ذرية محمد . صلى الله عليه وآله . فقيل له : من الاهل ؟ فقال : الائمة ، فقيل له : قوله تعالى : « ادخلوا آل فرعون اشد العذاب » (٢) قال : والله ما عني الا ذريته (٣) .

وفي معاني الاخبار : سئل . عليه السلام . من آل محمد ؟ فقال : ذريته ، فقيل : ومن اهل بيته ؟ قال : الائمة . عليهم السلام . قيل : ومن عترته ؟ قال : اصحاب العباء ، قيل : فمن امته ؟ قال : المؤمنون (٤) .

وللعامة في آله صلى الله عليه وآله اختلافات ، فقيل : آله امته ، وقيل : عشيرته ، وقيل : من حرم عليه الزكاة من بني هاشم وعبد المطلب .

وقال بعض العامة بعد قوله تعالى « قل لا أسألكم عليه اجراً الا المودة في القربى » : ذكروا في معنى الآل اختلافاً كثيراً .

وأنا اقول : آل محمد هم الذين يؤول امرهم اليه ، فكل من كان مآل امرهم

---

(١) كنز العمال : ٦ / ٤٥٩ ، نحوه .

(٢) غافر : ٤٦ .

(٣) معاني الاخبار : ٩٤ مع تفاوت يسير .

(٤) معاني الاخبار : ٩٤ ح ٣ .

اليه اشد واكمل كانوا هم الآل ، ولا شك ان فاطمة وعلياً والحسن والحسين . عليهم السلام . كان التعلق بينهم وبين رسول الله . صلى الله عليه وآله . اشد التعلقات ، وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر ، فوجب ان يكونوا هم الآل .

وايضا اختلفت الناس في الآل ، فقيل : هم الاقارب ، وقيل : هم امته ، فان حملناه على القرابة فهم الآل ، وان حملناه على الامة الذين قبلوا دعوته فهم ايضا آل ، فثبت على جميع التقديرات انهم آل . واما غيرهم يدخلون تحت لفظ الآل ، فمختلف فيه ، فثبت على جميع التقديرات انهم آل محمد . عليهم السلام .

وروى صاحب الكشاف انه لما نزلت هذه الآية ، قيل : يا رسول الله من قرابتك الذين وجبت علينا مودتهم ؟ فقال : علي وفاطمة وابناهما (١) .

فثبت ان هؤلاء الاربعة اقارب النبي . صلى الله عليه وآله . واذا ثبت هذا وجب ان يكونوا مخصوصين لمزيد التعظيم ، ويدل عليه وجوه :

الاول : قوله تعالى « الا المودة في القربى » ووجه الاستدلال به ما سبق .

الثاني : لا شك ان النبي . صلى الله عليه وآله . كان يحب فاطمة . عليها السلام . قال : فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها (٢) . وثبت بالنقل المتواتر عن محمد . صلى الله عليه وآله . انه كان يحب عليا والحسن والحسين ، واذا ثبت ذلك وجب ان يجب على كل الامة مثله ، لقوله « فاتبعوني لعلكم تفلحون » .

الثالث : ان الدعاء للآل منصب عظيم ، وكذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهد في الصلوات ، وهذا التعظيم لم يوجد في حق غير الآل ، فكل ذلك يدل على ان حب آل محمد واجب .

والظاهر ان مراد صاحب الكشاف بالآل احد المعنيين الاخيرين لا ما

---

(١) الكشاف : ٣ / ٤٦٧ .

(٢) رواه جماعة من اعلام السنة راجع احقاق الحق : ١٠ / ١٨٧ . ٢٢٨ .

ذكرناه اولا ، فانه ناصبي لا يقول به .

وبالجملة المراد بآله الذين يترتب على مودتهم ومحبتهم هذا النفع الذي لا يتصور فوقه نفع ، وعلى

مبغضهم هذا الضرر الذي لا يتصور فوقه ضرر ، المعصومون من اهل بيته وعترته الهادون لامته ، لا امته ولا مطلق قرابته وعشيرته .

كما يشير الى ذلك صحيحة اسماعيل بن عبد الخالق ، قال : سمعت ابا عبد الله ـ عليه السلام ـ يقول لابي جعفر الاحول وانا اسمع : اتيت البصرة ؟ فقال : نعم ، قال : كيف رأيت مسارعة الناس الى هذا الامر ودخولهم فيه ، قال : والله انهم لقليل ، ولقد فعلوا وان ذلك لقليل ، فقال : عليك بالاحداث فانهم اسرع الى كل خير .

ثم قال : ما يقول اهل البصرة في هذه الآية « قل لا أسألكم عليه اجراً الا المودة في القربى » قال : جعلت فداك انهم يقولون : انها لاقارب رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ قال : كذبوا ، انما نزلت فينا خاصة في اهل البيت في علي وفاطمة والحسن والحسين اصحاب الكساء ـ عليهم السلام (١) .

---

(١) روضة الكافي : ٨ / ٩٣ ح ٦٦ .

---

* ولا يسألكم اموالكم * ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج اضغانكم . [الايتان : ٣٦ ـ ٣٧]

المعروف من مذهب علمائنا الاماميين ان الزكاة انما تجب في الغلاة الاربع على ما يحصل في ايدي اربابها من النماء والفائدة ، بعد وضع جميع المؤونات واخراج حق السلطان ، وهو الاقوى .

واستدل عليه بقوله تعالى : « ولا يسألكم اموالكم * ان يسألكموها » الآية ، فانه صريح في انه لم يقع التكليف ببذل عامة الاموال ، وان الاحفاء والمبالغة فيه يقضي الى تعذر الامتثال وانتفاء الانقياد .

فمقتضى الحكمة الاقتصار على جزء يسير منها ، كالعشر ونصف العشر وربع العشر ، على ما اختاره جماعة من المفسرين وغيرهم من العامة والخاصة .

قال في مجمع البيان : ان يسألكم جميع ما في ايديكم تبخلوا ، ويظهر بغضكم وعداوتكم لله ولرسوله ، ولكنه فرض عليكم ربع العشر (١) .

وفي جوامع الجامع : اي لا يسألكم جميعها في الصدقة ، وان اوجب عليكم الزكاة في بعضها

واقتصر منه على القليل (٢) .

وقال في الكشاف : الاحفاء المبالغة وبلوغ الغاية في كل شيء ، يقال : احفأه

---

(١) مجمع البيان : ٥ / ١٠٨ .

(٢) جوامع الجامع : ٤٥١ .

في المسألة اذا لم يترك شيئاً من الالحاح ، واحفى شاربه اذا استأصله (١) .

فيدل على نفي احتساب المؤونات على ارباب الاموال اذا ادى الى اجحاف واحفاء ، كما وقع في ما تكثر مؤوناته من السقي بالقنوات مع ايجاب العشر فيه ، واذا انتفى في بعض الصور ثبت مطلقاً ، اذ لا قائل بالفرق .

وبوجه آخر لطيف : لو قلنا بعدم استثناء المؤمن مطلقا لزم احتسابها عليهم وان اجحف بجميع المال او اكثره ، وهو مناف لما نطق به الكتاب العزيز ، فيكون باطلاً ، فيبطل ملزومه ، وعلى هذا لا حاجة الى تجشم مؤونة انتفاء القول بالفصل .

وبطريق ثالث : هو ان الظاهر من الآية عدم تعلق الطلب بالاموال مطلقا ، فيقتصر على ما يقطع بوقوع التكليف به ، وهو العشر او نصفه فيما يبقى ، ويتوقف الزائد عليه على دليل .

قال السيد المرتضى في الانتصار : المعنى انه لا يوجب حقوقا في اموالكم ، لانه تعالى لا يسألنا الا على هذا الوجه ، وهذا الظاهر يمنع من وجوب حق في الاموال ، فما اخرجناه عنه فهو بالدليل القاطع (٢) .

وفي الناصريات : ظاهر هذه الآية يقتضي انه لا حق في المال على العموم ، وانما اوجبنا ما اوجبناه من ذلك بدليل اضطررنا الى تخصيص العموم (٣) انتهى كلامه ولكن عمومات ايجاب العشر ونصف العشر غير وافية به .

وهاهنا تقرير رابع : هو انه يستفاد من الآية بمعونة المقام انه لا يطلب الا النذر اليسير ، وهو ينافي نفي الاستثناء .

ويمكن ان يقال : مطلق احتساب المؤونة على المالك احفاء واجحاف به ،

---

(١) الكشاف : ٣ / ٥٣٩ .

(٢) الانتصار : ٧٥ .
(٣) الناصريات : ٢٤٠ مسألة ١١٧ .
---

(٢٣١)

كما قال في المختلف : ان المؤونة تخرج وسطاً ، ثم يزكي الباقي والا لزم الضرر .
وبعبارة اخرى اوردها في المعتبر : هي ان الزام المالك من دون الشركاء حيف عليه واضرار به ، فيكون منفياً ، لقوله تعالى : « ولايسألكم اموالكم » (١) .
وحاصله انه يفهم من الآية نفي الاضرار في التكليف المالي المحض بخصوصه ، فيترتب عليه الحكم بصحة الاستثناء ، وعليه يحمل ايضا ما تمسك به في المنتهى من ان الزام المالك بالمؤونة كلها حيف عليه واضرار به ، فيكون منفياً ، على معنى ان الاجحاف في طلب الاموال بالحيف على المالك منفي بهذه الآية وما يجري مجراها ، او بأن الاضرار في خصوص الزكاة منفي ، الا ان مبناها على المسامحة ، فانها مؤاساة ، فلا تتعقب الضرر كما صرح به .

فاندفع ما اجاب به عنه صاحب المدارك (٢) ، وحكاه في الذخيرة ، من ان مثل هذا الاضرار غير ملتفت اليه في نظر الشرع ، والا سقطت التكاليف كلها .
فانه ان اراد بهذا الاضرار خصوص الاضرار المالي المحض ، فالالتفات الى مثله لا يوجب سقوط التكاليف البدنية ، كالطهارة والصلاة والصيام ، لا ما يشوبه المال كالحج والجهاد مما ينفق فيه على ارباب ، ويجعل ذريعة لتحصيله ولا يتكرر كل عام .
وأما الخمس ، فمثل هذا الاضرار فيه منتف ايضا ، لانه بعد المؤونة .
واذا اريد نفي الاضرار في خصوص الزكاة ، فأظهر .
وان اراد به الاعم من المالي ، فلا نقض ، اذ الاستدلال خاص ، على انه لا ينتقض بالتكاليف ، وان احتج بالعام حيث اطلق ، بمعنى ان مطلق الاضرار منفي بما ثبت في الشريعة السمحة السهلة من انتفاء العسر والحرج والضيق والضرر .
لانه يعتبر في الضرر المنفي كونه بحيث لا يتحمله الجمهور عادة ، وظاهر

---

(١) المعتبر : ٢ / ٥٤١ .
(٢) مدارك الاحكام : ٥ / ١٤٤ .

انه لا يجزىء في سائر التكاليف ، بخلاف الاجحاف في الاموال المؤدي الى البغضاء ، وكراهة الدين المنجر الى الانكار .

قال في الكشاف في تفسير قوله تعالى : « ويخرج اضغانكم » اي : تضطغنون على رسول الله . صلى الله عليه وآله . وتضيق صدوركم لذلك ، واظهرتم كراهتكم ومقتكم لدين يذهب بأموالكم (١) .

وقال قتادة : علم الله ان في مسألة الاموال خروج الاضغان ، وهي الاحقاد التي في القلوب والعداوة الباطنة ، كذا في المجمع (٢) .

وفيه تنبيه على ان مقتضى اللطف ، وهو ما يقرب الى الطاعة ويبعد عن المعصية ، الاعراض عن هذا التكليف المقتضي للعصيان ، والا اختل امر الفلاحة ، كما هو المشاهد ، فلا يصدر من اللطيف الرؤوف العليم ما يؤدي الى اختلاف نظم المعاش والمعاد .

(٧/١٣)

الا يرى انه جل سلطانه سامح ارباب الاموال ، وأمر بالعفو والتخفيف وتفويض الامر اليهم ، وعلى المصدق ان يصدقهم في مواضع شتى ، فكيف يشدد عليهم بايجاب ما يذهب بها .

لا يقال : قد حكى الطبرسي رحمه الله عن ابي مسلم تفسير الاحفاد باللطف ، قال : فيلطف في السؤال بأن يعد عليه الثواب الجزيل . وعن بعضهم ان المعنى لا يسألكم الرسول على اداء الرسالة اموالكم . وفسره اخر بأن لا يسألكم اموالكم ، لان الاموال كلها له ، فهو املك بها ، وهو المنعم باعطائها .

لانا نقول : يستفاد منها نفي طلب جميع الاموال على كل حال ، قضية للجمع المضاف ، كما في قوله عز وجل : « خذ من اموالهم صدقة » (٣) فالمعنى انه لا

---

(١) الكشاف : ٣ / ٥٣٩ .

(٢) مجمع البيان : ٥ / ١٠٨ .

(٣) التوبة : ١٠٣ .

يسأل جميع امواله التي عندكم ، ومن ثم سماها اموالهم ، وان سألها مع اللطف ووعد الثواب الجزيل ، كما قال عز من قائل « وآتوهم من مال الله الذي آتاكم » (١) بخلتهم بها واظهرتهم الحقد فكيف بدونه .

وبالجملة فجميعها غير مسؤول ، سواء كان على اداء الرسالة او مطلقا ، وانما المسؤول والمأخوذ والمأمور باتيانه واعطائه البعض ، كما افاده « من » التبعيضية ايضا ، على ان تلك التفاسير كلها خلاف الظاهر ، كالقول بأن المعنى ان الله جل سلطانه لا يسألكم اموالكم .

وانما يوجب عليكم ايتاء بعضكم بعضا ، مع انه لا يلائم ذلك ما بعده ، ولهذا لم يرتضها المحققون ، كالطبرسي وعلم الهدى والمحقق وصاحب الصافي والزمخشري والبيضاوي وغيرهم .

---

(١) النور : ٣٣ .

(سورة الرحمن)

* والسماء رفعها ووضع الميزان * الا تطغوا في الميزان * واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان . [الايات : ٧ . ٩]

عبر بالميزان عن العدل ، لانه من اثره ومن اظهر افعاله للحاسة ، اذ كان العدل مراعاة الاستقامة على حاق الوسط في طرفي الافراط والتفريط اللذين هما ككفتي الميزان ، مهما رجحت احداهما فالنقصان لازم والخسران قائم .

وقال . عليه السلام : بالعدل قامت السموات والارض .

اذ لو كان شيء من موجودات العالم واصولها زائداً على الآخر افراطاً ، او ناقصا عنه تفريطا ، لم يكن منتظماً ، هذا النظام .

وبيان ذلك : ان مقادير العناصر لو لم تكن متكافئة متعادلة بحسب الكمية والكيفية ، لاستولى الغالب على المغلوب ، وانتقلت الطبائع كلها الى طبيعة الجرم الغالب .

ولو كان بعد الشمس من الارض اقل مما هو عليه الآن ، لاحترق كل ما في العالم ، ولو كان اكثر لاستولى البرد والجمود .

وكذا القول في مقادير حركات الكواكب ومراتب سرعتها وبطوءها ، فان كلاً منها مقدر على ما يليق بنظام العالم وقوامه وقيامه .

ولهذا المعنى وصف الله بالعدل ، اذا كان معنى عدله وضعه لكل موجود في مرتبة وهيئة له ما

يستحقه من غير زيادة ونقصان مضبوطاً بنظام الحكمة .

(سورة الحديد)

* هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو على كل شيء قدير . [الآية : ٢]

روى الكليني رحمه الله في اصول الكافي باسناده عن ابن ابي يعفور ، قال : سألت ابا عبد الله الصادق . عليه السلام . عن قوله عز وجل « هو الأول والآخر » وقلت : اما الاول فقد عرفناه ، واما الاخر فبين لنا تفسيره .

فقال : انه ليس شيء الا يبيد او يتغير ، او يدخله التغير والزوال ، او ينتقل من لون الى لون ، ومن هيئة الى هيئة ، ومن صفة الى صفة ، ومن زيادة الى نقصان ، ومن نقصان الى زيادة ، الا رب العالمين ، فانه لم يزل ولا يزال بحالة واحدة .

هو الاول قبل كل شيء ، وهو الاخر على ما لم يزل ، لا يختلف عليه الصفات والاسماء ، كما تختلف على غيره ، مثل الانسان الذي يكون تراباً مرة ، ومرة لحماً ، ومرة دماً ، ومرة رفاتاً ورميماً ، وكالتمر (١) الذي يكون مرة بلحاً ، ومرة بسراً ، ومرة رطباً ، ومرة تمراً ، فتتبدل عليه الاسماء والصفات ، والله عز وجل بخلاف ذلك (٢) .

وقال الفاضل العالم الرباني محمد باقر بن محمد تقي المجلسي نور الله

---

(١) في الكافي : وكالبسر .

(٢) اصول الكافي : ١ / ١١٥ ح ٥ .

مرقديهما في شرحه (١) على الصحيفة الكاملة الملقبة بزبور آل محمد . عليهم السلام . اعلم ان اوليته تعالى وآخرتيه فسرتا بوجوه :

الاول : ان يكون المراد الاسبقية بحسب الزمان ، وهذا انما يتم اذا كان الزمان امراً موهوماً ، كما ذهب اليه المتكلمون ، او بحسب الزمان التقديري ، كما ذكره الطبرسي في مجمع البيان .

اي : لو فرضنا وقدرنا قبل حدوث الزمان زماناً اخر ، كان الواجب تعالى اسبق واقدم ؛ اذ لو قيل بزمان موجود قديم ، يلزم اثبات قديم سوى الواجب ، وهو خلاف ما ذهب اليه المليون من المسلمين وغيرهم ، والاخبار المتواترة من طرق العامة والخاصة ، بل هو من ضروريات الدين ، وجاحده كافر .

وعلى هذا فالمراد بالاخرية انه الموجود بعد الاشياء بأحد المعنيين ، وهذا يدل على انه تعالى ينفي الاشياء جميعاً ثم يوجدها ، كما يدل عليه صريح كلام امير المؤمنين . عليه السلام . في بعض خطب نهج البلاغة ، فلا عبرة بما يقال من امتناع اعادة المعدوم ، فان دلائلهم مدخولة ضعيفة ، لا تعارض بها النصوص الجلية الواضحة .

(١٠/١٣)

اقول : وفيه نظر . اما اولاً ، فلان هذا الكلام من ذلك العلام : اما مبني على انه لا يقول بتجرد النفس ومغايرتها للبدن ، وهو من مثله بعيد ، كيف لا وتجردها مما لا ينبغي ان يشك فيه عاقل ، لكونه مما قد قامت عليه البراهين العقلية ، واشارت اليه الكتب السماوية ، وشهدت له الاخبار النبوية .

او على انه يقول به ، ولكنه يقول : انها تفنى بفناء البدن ، وهو ايضا منه بعيد بل ابعد ؛ لان كل من قال بتجردها ومغايرتها للبدن ، قال : بأنها لا تفنى بفنائه ، ومع ذلك فهو مخالف لكثير من الايات والروايات الدالة على بقائها بعد خرابه ما دامت في عالم البرزخ .

---

(١) المسمى بالفرائد الطريفة في شرح الدعاء الاول « منه » وهذا الكتاب مطبوع بتحقيقنا .

او على انه يقول ببقائها مدة البرزخ ، كما يظهر منه في بعض كتبه ، ولكنه يقول بفنائها عند النفخة الاولى ، وهو ابعد من سابقيه .

واما ثانيا ، فلانه لما قال ببقائها بعد فناء البدن وتعلقها في عالم البرزخ بأجساد مثالية ، فلابد من القول بتجردها ، ولذا قال الشهيد : دل القرآن العزيز على بقاء النفس بعد الموت ، وتعلقها بأبدان مثالية بناءً على تجردها .

وأما ثالثاً : فلان القول بالزمان الموهوم مخالف للشرع ، على ما يدل عليه ظاهر بعض الاخبار . ومنها : الخطبة المستدل بها لقوله . عليه السلام : وانه يعود سبحانه بعد فناء العالم وحده ، لا شيء معه ، كما كان قبل ابتدائها ، كذلك يكون بعد فنائها بلا وقت ولا مكان ولا حين ولا زمان ، عدمت

عند ذلك الآجال والاوقات ، وزالت السنون والساعات ، فلا شيء الا الله (١) .
فان الزمان الموهوم لو كان شيئا في نفس الامر ، لتكون الاولية والآخرية بحسبه ، لكان قبل ابتداء الدنيا ، وكذلك بعد فنائها زمان . وقوله . عليه السلام : « كما كان قبل ابتدائها » الى اخره ينفيه ، وان لم يكن شيئا في نفس الامر .

(١١/١٣)

وبالجملة الظاهر ان ما ذكره الطبرسي من الزمان التقديري هو الاظهر بالنظر الى الشرع الانور .
وأما رابعاً ، فلانه لما فرض ان المراد بالاولية الاسبقية بحسب الزمان ، فحينئذ لا معنى لقوله « اذ لو قيل بزمان موجود قديم يلزم اثبات قديم سوى الواجب » فانه صريح في ان الزمان لو كان موجوداً قديماً لتم القول بالاسبقية الزمانية .
لكن يلزم اثبات قديم سوى الواجب ، وليس كذلك ، اذ للزمان وراسمه وما هو موضوع للراسم وغيرها على هذا الفرض معية ازلية مع الواجب ، والا لزم

---

(١) نهج البلاغة : ٢٧٦ ط ١٨٦ .

حدوث الزمان ، وهو خلاف الفرض .
نعم لو كان المراد بالاسبقية الاسبقية الذاتية دون الزمانية ، لكان له وجه ، وليس فليس ، فكان الواجب ان يقول : اذ لو قيل بزمان موجود قديم ، لا يتصور الاسبقية بحسب الزمان ، مع انه يلزم اثبات قديم سوى الواجب .
والحاصل يمكن ان يكون المراد انه تعالى يصير بعد فناء العالم الجسماني واحداً ، لا شيء معه في ذلك العالم ، كما كان قبل ابتدائه ، بلا وقت ولا مكان ولا حين ولا زمان .
كذلك يكون بعد فنائه ، لان انعدام ما هو موضوع لما هو راسم للزمان يستلزم انعدامه ، واذا انعدم انعدمت الآجال والاوقات ، وزالت السنون والساعات ، فلا شيء من هذا العالم موجوداً الا الله ، فالحصر اضافي .
ثم قال قدس سره : او المراد البقاء ذاتاً وصفة ، بحيث لا يتطرق اليه تغير وتحول من هيئة الى هيئة ، ومن حال الى حال ، ومن صفة الى صفة ، وكل من سواه في معرض الزوال والفناء والتغير ، ويدل عليه صحيحة ابن ابي يعفور التي رواها ثقة الاسلام والصدوق رحمهما الله ، عن ابي عبد الله . عليه السلام . وغيرها من الاخبار .

اقول : هذا هو الصحيح ، وبه يجمع بين الآيات والروايات المتعارضة بحسب الظاهر ، وقد مرت صحيحة ابن ابي يعفور في اول البحث .

وهو قدس سره قال في شرحه على الاصول : ان الغرض منها ان دوام الجنة والنار واهلهما وغيرها لا ينافي آخريته تعالى ، واختصاصها به ، فان هذه الشياء دائماً في التغير ، وهو تعالى باق من حيث الذات والصفات ازلاً وابداً (١) .

ثم قال : الوجه الثاني : ان يكون المراد الاول القديم ، لا الاسبق ، وبالآخر الابدي ، وبه فسرهما اكثر المحققين ، وعلى هذا لا ينافي ابدية الجنة واهلها .

---

(١) مرآة العقول : ٢ / ٤١ .

أقول : لا وجه لهذا التخصيص ، فانه كما لا ينافي ابديتهما ، كذلك لا ينافي ابدية النار واهلها ، وابدية النفوس الناطقة مطلقاً من الجن والانس وغيرهما .

ثم قال : الوجه الثالث : ان يكون المراد بالاولية العلية ، اي : هو علة العلل ومبدأ المبادىء ، وبالاخرية الغائية ، اي : هو غاية الغايات ، كما هو مصطلح الحكماء .

او هو منتهى سلسلة العلل ذهناً ، فانك اذا فتشت عن علة شيء ، ثم عن علة علته وهكذا ، ينتهي بالاخرة اليه تعالى ، فعلى هذا الوجه يكون اوليته تعالى عين اخريته ، وتختلفان بالاعتبار .

الوجه الرابع : انه مبدأ سلوك العارف ومنتهاه ، فان بتوفيقه يبتدىء واليه ينتهي ، اذ انه اول الاشياء معرفة واظهرها ، ومنتهى مراتب الكمال بالنظر الى كل استعداد وقابلية .

وقيل : هو الاول باحسانه ، والاخر بغفرانه (١) .

---

(١) الفرائد الطريفة : ١٠٩ . ١١٣ .

(سورة الحشر)

* هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون . [الآية : ٢٣]

الملك لاصناف المملوكات ، كما قال « ملكوت السموات والارض » (١) فان الملكوت ملك الله زيدت فيه التاء ، كما زيدت في رهبوت ورحموت . يقول العرب : رهبوت خير من رحموت . اي : لين ترهب خير من ان ترحم .

والقدوس : فعول من القدس ، وهو الطهارة ، والقدوس الطاهر من العيوب المنزه عن الانداد والاضداد والاولاد ، والتقديس التطهير والتنزيه .

والسلام : هو الذي سلم من كل عيب ، وبرىء من كل آفة ونقص .

وقيل : معناه المسلم ؛ لان السلامة تنال من قبله ، والسلام والسلامة مثل الرضاع والرضاعة ، وقوله « لهم دار السلام » (٢) يجوز ان تكون مضافة اليه ، ويجوز ان يكون قد سمي الجنة سلاماً ؛ لان الصائر اليها تسلم من كل آفة الدنيا ، فهي دار السلامة .

والايمان في اللغة : التصديق ، فالمؤمن المصدق ، اي : يصدق وعده ، ويصدق ظنون عباده المؤمنين ، ولا يخيب آمالهم ، او انه آمنهم من الظلم والجور .

وعن سيدنا الصادق . عليه السلام : سمي الباري عز وجل مؤمناً ، لانه يؤمن

---

(١) الانعام : ٧٥ .

(٢) الانعام : ١٢٧ .

عذابه من اطاعه . وسمي العبد مؤمناً ، لانه يؤمن على الله فيجيز الله امانه (١) .

والمهيمن : الشهيد ، والله هو الشاهد على خلقه بما يكون منهم من قول او فعل . وقيل : المهيمن الامين . وقيل : الرقيب على الشيء والحافظ له .

والعزيز : هو المنيع الذي لا يغلب ، يقال : من عز بز ، اي : من غلب سلب ، وقد يقال للملك ، كما قال اخوة يوسف « يا ايها العزيز » (٢) .

والجبار : هو الذي جبر مفاقر الخلق وكثرهم ، وكفاهم اسباب المعاش والرزق . وقيل : الجبار العالي فوق خلقه ، والقامع لكل جبار ، او القاهر الذي لا ينال ، يقال للنخلة التي لا تنال : جبارة .

والمتكبر : هو المتعالي عن صفات الخلق ، او المتكبر على عتاة خلقه ، إذ نازعوه العظمة .
* هو الله الخالق البارىء المصور له الاسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم . [الآية : ٢٤]
اسناد التصوير اليه سبحانه على الاطلاق ، يدل على بطلان القول بوجود قوة مصورة في الانسان والحيوان يصدر عنها التصوير ، كما ذهبت اليه الفلاسفة بناءً على اصولهم .
وكيف يصح القول باسناده اليها ؟ وهو قوة عديمة الشعور ، وتلك الافعال

---

(١) التوحيد : ٢٠٥ .
(٢) يوسف : ٨٨ .

في غاية الاتقان والاحكام ، وقد روعي فيها من الحكم والمصالح ما تحيرت فيه الاوهام ، وقصرت عن ادراكها العقول والافهام .
فكل من له عقل سليم وطبع مستقيم ، يحكم بأن امثال هذه الصور العجيبة والاشكال الغريبة ، والنقوش المؤتلفة ، والالوان المختلفة ، مما لا يمكن ان يصدر عن حكيم عليم خبير قدير .
وقد بالغ في ذلك الغزالي حتى نفى مطلق القوى ، وادعى ان الافعال المنسوبة اليها صادرة عن ملائكة موكلة بهذه الافعال ، يفعلها بالشعور والاختيار .

(سورة الجمعة)
* يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون . [الآية : ٩]
استدل المحقق الكاشاني في رسالته بالآية الشريفة على عينية وجوب الجمعة ، فقال : اتفق المفسرون على ان المراد بالذكر المأمور بالسعي اليه في الآية ، صلاة الجمعة ، او خطبتها ، او هما معاً ، كما نقله غير واحد من العلماء .
فكل من تناوله اسم الايمان مأمور بالسعي اليها ، واستماع خطبتها وفعلها ، بعض الاوقات فعليه الدليل ، قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين ، وفي الآية مع الامر الدال على الوجوب ضروب التأكيد وانواع الحث ما لا يخفى .

قال زين المحققين الشهيد الثاني في رسالته التي الفها في تحقيق هذه المسألة واثبات الوجوب العيني في زمان الغيبة ، وبسط القول فيه بما ملخصه .

ان تعليق الامر في الآية انما هو على النداء الثابت شرعيته لفريضة الوقت ، اربعا كانت او اثنتين ، وحيث ينادي لها يجب السعي الى ذكر الله ، وهو صلاة الجمعة ركعتين واستماع خطبتها ، وكأنه قال : اذا نودي للصلاة عند الزوال يوم الجمعة فصلوا الجمعة ، او فاسعوا الى صلاة الجمعة وصلوها .

قال : وهذا واضح الدلالة لا اشكال فيه ، ولعله السر في قوله تعالى : « فاسعوا الى ذكر الله » ولم يقل فاسعوا اليها ، وانما علقه على الاذان حثاً على فعله لها ، حتى ذهب بعضهم الى وجوبه لها لذلك .

وكذا القول في تعليق الامر بالسعي ، فانه امر بمقدماتها على ابلغ وجه ، واذا وجب السعي اليها وجبت هي ايضا بطريق الاولى ، ولا معنى لايجاب السعي اليها مع عدم ايجابها ، كما هو ظاهر (١) انتهى كلامه .

اقول : وبالله التوفيق (٢) « اذا » الشرطية ليست بناصة في العموم لغة ، لكونها من سور المهملة ، ودعواهم ان المستعملة في الآيات الاحكامية تكون بمعنى « متى » و « كلما » فتفيد العموم عرفاً ، نحو « اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم » (٣) « فاذا قرأت القرآن فاستعذ »(٤) « واذا حييتم بتحية فحيوا » (٥) غير مسلمة .

وعموم الاوقات في الايات ليس لدلالتها عليه ، بل للاجماع والاخبار .

والمراد بالنداء الاذان ، يعني : اذا اذن في يوم الجمعة للصلاة . واللام فيها للعهد ، والمعهود صلاة الظهر المذكورة في قوله « واقم الصلاة لدلوك الشمس » (٦) وامثالها .

وهي . اي : الظهر . اول صلاة صلاها رسول الله . صلى الله عليه وآله . وهي الصلاة الوسطى التي خصها الله من بين الصلوات اليومية بالامر بالمحافظة

---

(١) الشهاب الثاقب : ١٥ . ١٦ .

(٢) الغرض من هذا التفصيل الايماء الى كيفية الاستدلال بالآية ، وطريقة الاستنباط منها ، وفيه تعريض على المستدل ، فان المراد بكون آية مثلاً دليلا على حكم ، انه يستنبط من منطوقها او مفهومها ذلك الحكم ، ويستدل بها عليه بعد العلم بضوابط الاستدلال من غير ان يستعان فيه بقول زيد وعمرو « منه » .

(٣) المائدة : ٦ .

(٤) النحل : ٩٨ .

(٥) النساء : ٨٦ .

(٦) الاسراء : ٧٨ .

عليها ، بعد الامر بالمحافظة على الجميع ، كما دلت عليه الاخبار وصرحت به الاخيار .

وذلك لان اللام منها لا يحتمل ان يكون للجنس ولا للاستغراق ، وهو ظاهر ، ولا للعهد الذهني ؛ لانه موضوع للحقيقة المتجددة في الذهن ، وارادة الفرد المنتشر منه محتاجة الى القرينة ، وليست فليست ، مع انه غير مستلزم للمطلوب ، فتعين كونه للعهد الخارجي ، ولا عهد في موضع من القرآن بصلاة الجمعة .

فان قلت : العهد الخارجي على ثلاثة اقسام : الذكري ، وهو الذي تقدم لمصحوبه ذكر ، نحو « انا ارسلنا الى فرعون رسولاً فعصى فرعون الرسول » (١) والعلمي ، وهو الذي تقدم لمدخوله علم ، نحو « بالواد المقدس طوى » (٢) « اذ يبايعونك تحت الشجرة » (٣) لان ذلك كان معلوما عندهم . والحضوري ، نحو « اليوم اكملت لكم دينكم » (٤) فيجوز ان يكون المراد هنا الثاني ، اذ لا مانع له دون الاول .

قلت : هذا مع انه خارج عن موضع استدلالهم انما يصح ان لو ثبت بطريق صحيح ان نزول الآية انما كان بعد علمهم بوجوب صلاة الجمعة ، واشتهارها وشيوعها فيما بينهم ، ودون ثبوتها خرط القتاد .

وكيف لا ؟ وهم انما يثبتون اصل وجوبها بالآية ، فكيف يصح هذا الاحتمال والحال هذه ؟ بل صرح بعض مثبتي وجوبها بأنها ما كانت معهودة ولا مشروعة قبل نزولها .

هذا و « من » : اما للابتداء ، وعلامته صحة ايراد « الى » او ما يفيد معناه في

---

(١) المزمل : ١٦ .

(٢) طه : ١٢ .

(٣) الفتح : ١٨ .
(٤) المائدة : ٣ .

مقابلتها ، اي : اذا نودي ناشئاً من مؤذني يوم الجمعة الى الصلاة ، فعليكم السعي الى ذكر الله ، فاللام هنا مفيدة لمعنى الانتهاء ، كالباء في قولنا « اعوذ بالله من الشيطان الرجيم » .

واما بمعنى « في » كما اومأنا اليه ، فانه في الظروف كثيراً ما يقع بمعناه ، « من بيننا وبينكم حجاب » (١) وكنت من قدامكم ، ولعله من اظهر الوجوه ، فان المراد بالنداء هنا ما يقع في وسط الجمعة وعرضه ، لا ما يقع في اوله وابتدائه ، تأمل فيه .

واما للتعليل ، مثله « ما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا ناراً »(٢) ويحرم من الرضاع ما يحرم من النسب (٣) .

واما للتبيين ، وهو اظهار المقصود من امر مبهم ، فهو هنا بيان لـ « اذا » لان قولك وقت نداء الصلاة « وجب عليكم السعي اليها » مبهم ، فاذا قلت : الذي هو يوم الجمعة ، ظهر المقصود ورفع الابهام .

واما للتبعيض ، ومعناه : اذا نودي بعض يوم الجمعة .

واما زائدة على القول بجوازها في الآيات .

وفي الآية صنوف التأكيد وضروب الحث والمبالغة في طلب الخير والاستباقة اليه ، حيث عبر عن الذهاب الى ذكر الله بالسعي المفيد للاسراع في المشي والمبالغة فيه ، ثم امر بترك البيع .

ثم قال : السعي والترك انفع لكم عاقبة ان كنتم من اهل العلم ، وهو مشعر بأن من لم يفعلهما فهو ليس من اهله ، بل هو ممن لم يميز بين الخير والشر والصلاح والفساد ، ولم يفرق بين الضار والنافع .

---

(١) فصلت : ٥ .
(٢) نوح : ٢٥ .
(٣) عوالي اللآلي : ١ / ٤٤ ح ٥٥ .

ولعل الوجه فيه ان يوم الجمعة يوم مبارك مضيق على المسلمين ، وهو يوم العمل والتعجيل ، وفيه ساعة مباركة لا يسأل الله عبد مؤمن فيها شيئاً الا اعطاه ، وفيه يضاعف العمل ، ويغفر للعباد ، وينزل عليهم الرحمة ، من وافق منكم يوم الجمعة فلا يشتغلن بشيء غير العبادة .

(٥/١٤)

ولكن الناس لما لم يحيطوا به علماً ، وكانوا فيه من الزاهدين ، ومنه ومن فضائله من الغافلين ، حثهم عليه وامرهم بترك جميع اسباب المعاش في ذلك الوقت ، وقال « هو خير لكم » لان ما عندكم ينفد وما عند الله باق ، والعاقل لا يؤثر الفاني على الباقي .

هذا والاضافة في ذكر الله للعهد ، لان تعريفها باعتباره ، لا تقول غلام زيد الا لغلام معهود باعتبار تلك النسبة ، لا لغلام من غلمانه ، وإلا لم يبق فرق بين النكرة والمعرفة ، والمعهود هو الصلاة ، لانه لم يسبق غيرها .

ولذلك قال المستدل قدس سره بعد ما بلغ الى درجة الفهم والانصاف ، وتخلى عن التعصب والاعتساف في تفسير الصافي وهو كاسمه : فان الاسماء تنزل من السماء« فاسعوا الى ذكر الله » يعني الى الصلاة ، كما يستفاد مما قبله ومما بعده .

ولم يقيدها بالجمعة ، ولا استدل بها على وجوبها ، بل اكتفى بذكر نبذ من الاخبار ، كما هو دأبه في هذا التفسير ولذلك وضعه .

ثم قال : والاخبار في وجوب الجمعة اكثر من ان تحصى (١) .

وقد عرفت ان المراد بالصلاة في الآية هو الظهر ، فمن ادعى ان المراد بالذكر صلاة الجمعة او خطبتها ، او هما معاً ، فعليه الدليل ، قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين .

وبالجملة الاستدلال بالآية على وجوبها العيني موقوف على اثبات تلك

---

(١) الصافي : ٥ / ١٧٥ .

المقدمات الممنوعة ، ودون اثباتها خرط القتاد ، وعلى تقدير دلالتها عليه ، فهو مخصوص بأهل زمانه . صلى الله عليه وآله .

لما تقرر في الاصول من ان الخطابات العامة المشافهة الواردة على لسان الرسول . صلى الله عليه وآله . ليست خطابات لمن بعدهم ، وانما يثبت حكمها لهم بدليل آخر من نص او اجماع او غيرهما ، واما بمجرد الصيغة فلا .

فالآية بانفرادها لا تدل على وجوبها العيني في هذا الزمان ، بل لا بد في الدلالة عليه من انضمام امر آخر من نص او اجماع ، وهما غير ظاهرين .

---

* يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرين . [الآية : ٩]

استدل القائلون بوجوب صلاة الجمعة بالآية الشريفة على وجوب عينيتها ، وذلك انهم فسروا الذكر الموجود في الآية بصلاة الجمعة ، ولكن لا دلالة للاية الشريفة عليها بوجه من الوجوه .

وأما المفسرون ، فانهم لم يفسروا الذكر هاهنا بصلاة الجمعة .

قال في الكشاف بعد ان ابقى الذكر في مقام التفسير على عمومه ولم يفسره بشيء قيل : ذكر الله الصلوات الخمس ، وعن الحسن جميع الفرائض ، كأنه قال : عن طاعة الله . وقيل : القرآن . وعن الكلبي الجهاد مع رسول الله . صلى الله عليه وآله (١) .

وزاد في مجمع البيان قوله وقيل : ذكره شكره على نعمائه ، والصبر على بلائه ، والرضا بقضائه . ثم قال : وهو اشارة الى انه لا ينبغي ان يغفل المؤمن عن ذكر الله في بؤس كان او نعمة ، فان احسانه في جميع الحالات لا ينقطع (٢) .

وقال في الصافي : اي لا يشغلكم تدبيرها والاهتمام به عن ذكره كالصلاة

---

(١) الكشاف : ٤ / ١١١ .

(٢) مجمع البيان : ٥ / ٢٩٥ .

وسائر العبادات (١) .

والحق مع الزمخشري ، حيث ابقاه على حاله ، ولم يفسره بشيء ، ونعم ما فعل ، كذلك يفعل الرجل البصير ؛ لان الذكر يعم ، الثناء ، والدعاء ، والصلاة ، وقراءة القرآن ، والحديث ، وذكر الحلال والحرام ، واخبار الانبياء والاوصياء . عليهم السلام . والصالحين ، وهو اعم من ان يكون باللسان او الجنان او الاركان .

وبالجملة كلما كان لله سبحانه ، وهو غايته من الاعمال والتروك ، فهو ذكر ، حتى المباحات لو قصد فيها لله تعالى وفعل توصلاً الى عبادته ، انسلك سلك الذكر .

(٧/١٤)

ولما كان لله تعالى مدخلية في كل الاشياء جواهرها واعراضها التي من فعل الله ، او فعل العباد من حيث الخلق او الاقدار ، والتمكين والحكم والامر والنهي ، كان كل شيء صالحاً لان يقع موقعاً لذكر الله ، فالاعتبار اذن بالقصد والملاحظة لله سبحانه او لغيره ، فتأمل واعتبر ولا تكن من الغافلين .

وعلى هذا فكيف يمكن تخصيص الذكر بصلاة الجمعة في مقام الاستدلال ؟ مع عدم النص والقرينة ، وهل هذا الا مجرد دعوى خال عن البينة والبرهان ، قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين .

---

(١) الصافي : ٥ / ١٨٠ .

---

(٢٥٥)

(سورة الطلاق)

* الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علماً . [الآية : ١٢]

هذه الآية الشريفة صريحة في ان الارض متعددة ، وانها سبع كالسموات .

وذهب بعضهم الى ان قوله « مثلهن » اي : في الخلق لا في العدد .

وهذا خلاف ما دلت عليه الاخبار والادعية المأثورة عنهم . عليهم السلام .

وقيل : انها سبع ارضين متصل بعضها ببعض ، وقد حالت بينهن بحار لا يمكن قطعها ، والدعوة لا تصل اليهم .

وقيل : انها سبع طبقات بعضها فوق بعض لا فرجة بينها ، وهذا يشبه قول الفلاسفة ، منها : طبقة هي ارض صرفة تجاوز المركز . ومنها : طبقة معدنية تتولد فيها المعادن . ومنها : طبقة تركبت بغيرها وقد انكشف بعضها . ومنها : طبقة الابخرة والادخنة على اختلاف احوالها . ومنها : طبقة الزمهرير . وقد تعد هذه الطبقات من الهواء .

وقيل : انها سبع ارضين بين كل واحدة منها الى الاخرى مسيرة خمسمائة عام ، كما جاء في ذكر السماء وفي كل ارض منها خلق ، حتى قالوا في كل منها آدم وحواء ونوح وابراهيم ، وهم يشاهدون السماء من جانب ارضهم ، ويشهدون الضياء منها ، او جعل الله لهم نوراً يستضيؤون به .

وفي مجمع البيان : « مثلهن » اي في العدد لا في الكيفية ؛ لان كيفية السماء مخالفة لكيفية الارض . ثم قال وقال قوم : انها سبع ارضين طباقاً بعضها

---

(٢٥٦)

فوق بعض كالسموات ؛ لانها لو كانت مصمتة لكانت ارضاً واحدة ، وفي كل ارض خلق خلقهم الله تعالى كيف شاء (١) .

---

(١) مجمع البيان : ٥ / ٣١٠ . ٣١١ .

---

(٢٥٧)

(سورة الجن)

* وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً . [الآية : ٩]

سماع الصوت هو كيفية تحدث في الهواء بتموجه المعلول للقرع ، والقرع انما يحصل بقرع الهواء المتموج تجويف الصماخ ، فحيث لا هواء كما في الفلك وكرة الاثير ، فلا تموج فلا صوت فلا مسموع .

فكيف يجوز ان يسمع الشياطين كلام الملائكة ، لصعودهم الى قرب كرة النار ولا هواء بينهما حتى تحدث فيه اصواتهم وتصل به اليهم ؟ مع ان البعد المفرط ايضا مانع منه .

فما افاده الشيخ البهائي في جواب من قال : ان كرة النار في طريقهم فكيف يتجازونها ولا يحرقون ؟ قال : وتقرير الجواب ان وجود كرة النار لم يقم عليه دليل يعول عليه ، ولو سلمنا فيجوز ان تسمع الشياطين كلام الملائكة بصعودهم الى قرب كرة النار ، ولا يتوقف سماعهم على الارتقاء في الصعود عن ذلك القدر (١) انتهى .

فبعد تسليه وجود كرة النار لا يتم جوابه هذا ، فان من قال بوجودها لا يقول بوجود الهواء فيها ولا فيما فوقها ، فاذا انتفى الهواء انتفى السماء والمسموع .

اللهم الا ان يمنع توقف حدوث الصوت وسماعه على وجود الهواء او

---

(١) مفتاح الفلاح : ٩٩ .

تموجه ، ومعه فشبهة البعد المفرط المانع من السماع باق بحاله .

(٩/١٤)

والظاهر انه غير قابل للمنع ، والا فلا وجه لصعودهم الى قرب كرة الاثير ، على ان الطبقة الدخانية من الهواء المجاورة للنار لشدة حرارتها تحرق ما يصل اليها من الاجسام القابلة للاحتراق ، فكيف يمكنهم الصعود الى قرب كرة الاثير ، غاية ما يمكنهم ان يصلوا في صعودهم اليه هو طبقة الهواء القريب من الخلوص .

فالصواب في الجواب ان يمنع وجود كرة الاثير ، وتوقف حدوث الصوت وسماعه على وجود الهواء وتموجه ، ويقال : ان الشياطين لا يسمعون كلام الملائكة الا اذا انتهوا في صعودهم الى قرب السماء ، فاذا استرق الشيطان السمع وبادر الى النزول لحقه الشهاب فأحرقه .

مع ما ورد في اخبار كثيرة ان الشياطين كانوا يرتقون في صعودهم الى السماء ، وكانت لهم مقاعد في السماء الثالثة ، وكانوا يسترقون فيها الكلمات ، ثم يلقونها الى الكواهن ، فلما ولد سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ حجبوا منها ورموا بالشهب .

في كتاب الاحتجاج حديث طويل عن مولانا امير المؤمنين سلام الله عليه ، يذكر فيه مناقب رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ وفيه : ولقد رأى الملائكة ليلة ولد تصعد وتنزل ، وتسبح وتقدس ، وتضطرب النجوم وتتساقط ، علامة لميلاده .

ولقد هم ابليس بالظعن في السماء لما رأى من الاعاجيب في تلك الليلة ، وكان له مقعد في السماء الثالثة ، والشياطين يسترقون السمع ، فاذا هم قد رموا بالشهب جلالة لنبوته ـ صلى الله عليه وآله . (١)

وعن ابي عبد الله ـ عليه السلام ـ حديث طويل ، وفيه : واما اخبار السماء ،

---

(١) الاحتجاج : ١ / ٣٣٢ .

فان الشياطين كانت تقعد مقاعد استراق السمع ، اذ ذاك وهي لا تحجب ولا ترجم بالنجوم ، وانما منعت من استرقاق السمع ، لئلا يقع في الارض سبب تشاكل الوحي من خبر السماء ، ويلبس على اهل الارض ما جاءهم عن الله لإثبات الحجة ونفي الشبهة .

وكان الشيطان يسترق الكلمة الوحدة من خبر السماء ويلبس على اهل الارض ما جاءهم عن الله من خبر السماء بما يحدث من الله في خلقه ، فيتخطفها ثم يهبط بها الى الارض ، فيقذفها الى الكاهن ، فاذا قد زاد كلمات من عنده فيختلط الحق بالباطل .

فما اصاب الكاهن من خبر مما كان يخبر به ، فهو مما اداه اليه شيطانه مما سمعه ، وما اخطأ فيه فهو من باطل ما زاد فيه ، فمذ منعت الشياطين عن استراق السمع انقطعت الكهانة .

فقال : كيف صعدت الشياطين الى السماء وهم امثال الناس في الخلقة والكثافة ، وقد كانوا يبنون لسليمان بن داود . عليهما السلام . من البناء ما يعجز عنه ولد آدم ؟

قال : غلظوا لسليمان لما سخروا وهم خلق رقيق غذاهم التنسم ، والدليل على ذلك صعودهم الى السماء لاستراق السمع ولا يقدر الجسم الكثيف على الارتقاء اليها الا بسلم او بسبب (١) .

---

(١) نور الثقلين : ٥ / ٤٣٧ ح ٥ ، الاحتجاج : ٢ / ٨١ .

(سورة التكوير)

* انه لقول رسول كريم . [الآية : ١٩]

قال الزمخشري في ذيل الآية الكريمة : وناهيك بهذا دليلاً على مباينة منزلة جبرئيل . عليه السلام . لمنزلة أفضل الأنس محمد . صلى الله عليه وآله . اذا وازنت بين الذكرين ، حين قرن بينهما ، وقايست بين قوله « انه لقول رسول كريم * ذي قوة عند ذي العرش مكين * مطاع ثم امين » وبين قوله « وما صاحبكم بمجنون » (١) .

وفيه ان هذا الكلام مما اقتضاه هذا المقام ، لان المشركين لما بهتوا رسول الله . صلى الله عليه وآله . ورموه بالجنون ونسبوه اليه ، وقالوا : ان الذي جاء به مما القاه اليه الشيطان ، كما يلقى نظائره الى الكهنة ، رد الله سبحانه عليهم بأن صاحبكم الذي يدعوكم الى الله وطاعته ليس بمجنون ، وان القرآن الذي جاءكم به ليس بقول شيطان القاه اليه كما زعمتم ، بل هو قول رسول كريم الى آخر ما وصفه به .

وهذا لا يدل على انحطاط درجته . صلى الله عليه وآله . عن درجته . عليه السلام . كما لا يخفى . مع انه معارض بمثل قوله تعالى : « وما ارسلناك الا رحمة للناس » (٢) وقوله :

(١) الكشاف : ٤ / ٢٢٥ .
(٢) الانبياء : ١٠٧ .
---
(٢٦٢)
« ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين » (١) خرج من آلهما غير الانبياء بالاجماع ، فيكون آدم ونوح وجميع الانبياء مصطفين على العالمين ومنهم الملائكة ، اذ لا مخصص لهم من العالمين ، ولا جهة لتفسيره بالكثير من المخلوقات .

(١) آل عمران : ٣٣ .
---
(٢٦٣)
(سورة الشرح)
* فاذا فرغت فانصب * والى ربك فارغب . [الآيتان : ٧ . ٨]
عن أبي جعفر وابي عبد الله وغيرهما . عليهم السلام : وانصب من النصب وهو التعب . اي : لا تشتغل بعد الصلاة بالراحة (١).

مثل النوم والاكل ، وعدم الاشتغال بشيء ، بل اشتغل بالعبادة ، واوصل بعضها ببعض ، ولا تخل وقتاً من اوقاتك فارغاً لم تشغله بعبادة ، فيكون المراد التعقيب ، وهو الدعاء بعد الصلاة .
وعن ابي عبد الله . عليه السلام : هو الدعاء في دبر الصلوات وانت جالس (٢) .
فيكون اشارة الى استحباب التعقيب ، كما هو المشهور والمجمع عليه ، وهو الاشتغال بعد الفريضة بالدعاء والمسألة ، كما تدل عليه الاخبار من الخاصة والعامة .
وفي تفسير القمي : اذا فرغت من حجة الوداع ، فانصب امير المؤمنين . عليه السلام . وروي عن ابي عبد الله . عليه السلام : « فاذا فرغت » من نبوتك « فانصب » علياً « والى ربك فارغب » في ذلك (٣) .
وفي الكافي عنه . عليه السلام : فاذا فرغت فانصب علمك واعلن

(١) مجمع البيان : ٥ / ٥٠٩ .

(٢) نفس المصدر .

(٣) تفسير القمي : ٢ / ٤٢٨ . ٤٢٩ .

---

(٢٦٤)

وصيك (١) .

والمستفاد من هذه الاخبار انه بكسر الصاد من النصب بالسكون ، بمعنى الرفع والوضع . يعني : اذا فرغت من امر تبليغ الرسالة فانصب علمك بفتح اللام . اي : ارفع علم هدايتك للناس ، وضع من يقوم به خلافك موضعك ، يكون قائماً مقامك بتبليغ الاحكام وهداية الانام .

وفي الكشاف : ومن البدع ما روي عن بعض الرافضة انه قرأ « فانصب » بكسر الصاد ، اي : فانصب عليا للامامة . ولو صح هذا للرافضي ، لصح للناصبي ان يقرأه هكذا ، ويجعله امراً بالنصب الذي هو بغض عليّ وعداوته .

وفيه ان نصب الخليفة بعد تبليغ الرسالة ، او الفراغ من العبادة ، امر معقول ، بل واجب ، لئلا يكون الناس بعده في حيرة وضلالة ، فصح ان يرتب عليه .

واما بغض علي . عليه السلام . وعداوته ، فما وجه ترتبه على تبليغ الرسالة ، او الفراغ من العبادة ؟ على ان كتب العامة مشحونة بذكر محبته . صلى الله عليه وآله . لعلي . عليه السلام . واظهار فضله للناس مدة حياته ، وان حبه ايمان وبغضه كفر .

(٢/١٥)

انظر ايها العاقل الى هذا الملقب بجار الله العلامة كيف اعمى الله بصره بغشاوة حمية التعصب في مثل هذا المقام ، حتى اتى بمثل هذا الكلام المنكر والزور ، بلى انها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور .

---

(١) اصول الكافي : ١ / ٢٩٤ .

---

(٢٦٥)

(سورة القدر)

بسم الله الرحمن الرحيم

* انا انزلناه في ليلة القدر * وما ادراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من الف شهر * تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر * سلام هي حتى مطلع الفجر .

ظاهر اكثر الاخبار (١) الواردة في طريقنا يفيد ان ليلة القدر النازل فيها الملائكة على الامام . عليه السلام . في بقعة هو فيها غير خارجة عن احدى تلك الليالي الثلاث ، ليلة تسع عشرة ، ليلة احدى وعشرين ، ليلة ثلاث وعشرين .

وانما وردت مبهمة غير معينة عندنا . وان كانت معينة عنده . عليه السلام . كما يدل عليه ما في بصائر الدرجات عن ابي الهذيل عن ابي جعفر . عليه السلام . قال قال : يا ابا الهذيل انا لا يخفى علينا ليلة القدر ، ان الملائكة يطوفون بنا فيها (٢) . لضرب من المصلحة ، كساعة الاجابة واسم الاعظم ونحوهما .

---

(١) انما قال اكثر الاخبار ، لان بعضها يفيد انحصارها في ليلتين : احدى وعشرين ، او ثلاث وعشرين ، بل يفيد بعضها انحصارها في ليلة ثلاث وعشرين ، وان فيها انزل القرآن ، ولا شك ان نزوله كان في ليلة القدر ، لقوله « انا انزلناه في ليلة القدر » ، « منه » .

(٢) بصائر الدرجات : ٢٢١ ح ٥ .

ولكن تلك الليلة الواحدة بناءً على ما ثبت من كرية الارض وعليه فقهاؤنا ، تتعدد في سنة واحدة بتعدد البلدان والبقاع شرقية وغربية ، كما ان رؤية الهلال والعيد وغير ذلك ايضا كذلك .

لذلك قال الفاضل العلامة في التذكرة : ان الارض كرة ، فجاز ان يرى الهلال في بلد ولا يظهر في آخر ، لان حدبة الارض مانعة لرؤيته ، وقد رصد ذلك اهل المعرفة وشوهد بالعيان خفاء بعض الكواكب الغربية لمن جد في السير نحو المشرق وبالعكس .

اقول : فيختلف بذلك . اي : باختلاف البلدان في طلوع الكواكب وغروبها . ليلة القدر فيها ، فرب بلدة تكون ليلة القدر فيها مثلاً ليلة الجمعة ، وهي في بلد آخر انما تكون في ليلة الخميس وهكذا . وتكون كل ليلة من تلك الليالي ليلة القدر شرعاً ، ويكون العمل الصالح فيها من الصلاة والزكاة وانواع الخير في تلك البقاع خيراً من العمل في الف شهر ليس فيها ليلة القدر .

الى غير ذلك من احكام تلك الليلة المباركة ، فمن احياها في اية بقعة من تلك البقاع وعمل فيها اعمالها ، فقد ادركها وفاز بما وعده الشارع .

ويمكن ان يتفق لشخص ان يدركها في سنة واحدة في بقعتين او اكثر ويفوز بثوابها ، وذلك مثل العيد ، فانه ايضا يتعدد بتعدد البلدان شرقاً وغرباً ، ويكون كل عيد من تلك الاعياد عيداً شرعياً ،

يترتب على الاعمال الواقعة فيها ليلاً ونهاراً ثوابها .
وبالجملة ليلة القدر النازل فيها الملائكة على الامام . عليه السلام . في ارض هو فيها ، وان كانت في كل سنة واحدة بالعدد ، الا ان ليلة القدر التي يكون العمل الصالح فيها خيراً من العمل في الف شهر بالنظر الى سكان تلك البقاع الشرقية والغربية متعددة بتعدد تلك البقاع التي يرى الهلال في بعضها دون بعض .
---
(٢٦٧)
فكل بلد غربي بعد عن الشرقي بألف ميل ، يتأخر غروبه عن غروب الشرقي بساعة ، فرؤية الهلال في احدهما دون الاخر لا مانع منه .
وعليه يتفرع تعدد ليلة القدر واختلافها بالنسبة الى المساكن الشرقية والغربية ، وكلها ليلة القدر الشرعية ؛ لان تخصيصها ببلد دون بلد غير معلوم ولا مفهوم من الاخبار ، بل الظاهر منها خلافه .

(٤/١٥)

الا ان نزول الملائكة على الامام . عليه السلام . في واحدة منها ، ويمكن ان يكون في كل منها ، بأن يكون . عليه السلام . في كل ليلة من تلك الليالي في بقعة من تلك البقاع بطيّ الارض ونحوه ، ليدرك ثواب عمل تلك الليلة ، فتتعدد عليه ليلة القدر في سنة واحدة .
بل نقول : لا بعد في ان تكون ليلة قدره . عليه السلام . ايضا واحدة ، ولكن يكون نزول الملائكة عليه في كل ليلة من تلك الليالي القدر ، بأن يعرضوا عليه في كل ليلة ما يتعلق بأحوال سكان البلدة التي تلك الليلة ليلة قدرهم .
فان نزول الملائكة عليه في ليلة القدر اعم من ان تكون ليلة قدره او ليلة قدرهم ، كما يستفاد من الآية ، فان المفهوم منها ان الملائكة والروح تتنزل في ليلة القدر على امام الزمان ، وهو يعم الليلتين معاً ولا يخفى .
وعلى هذا فكل من تلك الليالي مصداق ليلة القدر النازل فيها الملائكة على الامام . عليه السلام . بما يكون من السنة الى السنة ، فتأمل .
نعم ليلة القدر التي نزل فيها القرآن جملة الى السماء الدنيا ، كما هو ظاهر « انا انزلناه في ليلة القدر » وقد وردت فيه عدة اخبار ، واحدة بالعدد لا تعدد فيها ، ولكنها لا يعلم انها كانت ليلة قدر سكان اية بلدة .
وعلى هذا فلابد من الاستخدام في ضمير «فيها » في قوله « تنزل الملائكة والروح فيها » فتدبر .

والحاصل ان تعدد ليلة القدر في سنة واحدة بالنسبة الى اهل المساكن الشرقية والغربية ، ونزول الملائكة في كل منها على الامام بأحكام اهل تلك

---

(٢٦٨)

المساكن ، وكون العمل الصالح في كل منها خيراً من العلم في الف شهر ، مما لا مانع منه لا عقلاً ولا نقلاً .

بل الواقع كذلك ، لان من ضروريات مذهب اهل البيت . عليهم السلام . بقاء ليلة القدر الى يوم القيامة ، ولا شك في إختلافها باختلاف البلدان ، وقد سبق ان تخصيصها ببعضها دون بعض لا وجه له ، اذ لا دليل عليه ، وخاصة بالاضافة الى الاعمال .

(٥/١٥)

فانهم . عليهم السلام . قد رغبوا الناس بالاشتغال فيها بالصلاة والدعاء والمسألة ، ليدركوا فضلها وما اعد للعمل فيها ، ولم يخصوها في شيء من الاخبار فيما علمناه ببلد دون بلد ، وترك التخصيص والتفصيل دليل العموم ، وهو ظاهر .

قال بعض الافاضل المتأخرين ناقلاً عن مجمع البيان : اختلفوا في تحقيق استمراره وعدمه ، فذهب قوم الى انها كانت على عهد رسول الله . صلى الله عليه وآله . ثم رفعت . وقال آخرون : لم ترفع ، بل هي الى يوم القيامة . الى ان قال : وجمهور العلماء على انها في شهر رمضان في كل سنة انتهى .

أقول : وهذا هو الحق يعلم ذلك من مذهب اهل البيت . عليهم السلام . بالضرورة .

ثم قال : ولا خلاف بين اصحابنا في انحصارها في ليلة تسعة عشر منه واحدى وعشرين وثلاث وعشرين ، الا من الشيخ رحمه الله .

فانه نقل الاجماع عنه في التبيان على انها في فرادى العشر الاواخر منه تتنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم على امام الزمان ، فيعرضون عليه كلما قدر في كل تلك السنة ، يسلمون عليه وعلى اوليائه من اول الليل الى مطلع الفجر ، والاخبار مستفيضة بذلك .

ثم قال : بقي هنا اشكال ، هو انه ربما تختلف باختلاف الاهلة المختلفة باختلاف الاقاليم ، فلا تعرف .

---

(٢٦٩)

أقول : عدم كونها معروفة لا يدل على عدمها ، مع انها معروفة للامام الذي تنزل عليه الملائكة

والروح فيها .
نعم يرد الاشكال على العمل فيها مع عدم الجزم بها ، ولكن سيأتي ما يدل على جواز العمل المعين لوقت من غير جزم بوجوده .
فيجوز مثلاً ان يغتسل بنية ليلة القدر مع عدم جزمه بوجودها ، وهكذا في سائر الاعمال المتعلقة بتلك الليلة ، فلا يشترط الجزم في النية ، ولهذا جاز الترديد فيها ليلة الشك .
واما الثواب الموعود من الشارع لذلك العمل ، فهو يترتب عليه ، لانه وعده عليه ذلك الثواب ، ولم يعين له الوقت على وجه يتمكن من الجزم به .

(٦/١٥)

فاذا عمل ذلك العمل المعين لوقت من غير جزم بوجوده ، يجب عليه ان يثيبه ، والا لكان ظالما ، لانه بذل جهده في تحصيل العلم بذلك الوقت ولم يحصل ، ومع ذلك فهو مخاطب بالعمل فيه ، فاذا عمل وجبت اثابته .
واليه اشار المستشكل بقوله : واجيب عنه بأجوبة ، منها : ان يكون المدار على بلد الامام في نزول الملائكة والروح ، ويكون للآخرين ثواب عبادة ليلة القدر اذا عبدوا الليلة الاخرى .
اقول : فان قلت : لو كانت عبادة الليلة الاخرى وان لم تكن ليلة القدر قائمة مقام عبادة ليلة القدر في بلد الامام ، فأي وجه للامر بعبادة ثلاث ليال متفرقة ؟
قلت : الوجه فيه هو الوجه في عبادة ثلاث ليال في بلد الامام ، وعالم بها بعينها ، كما سيأتي انشاء الله العزيز .
ثم قال : ومنها ان يكون الامام في كل ليلة في اقليم ، فتنزل الملائكة في الليلتين معاً . الثالث : ان يكون الامام في بلدة لكن تنزل عليه الملائكة في كل ليلة بأحوال اصحاب البلدة التي تلك الليلة قدرهم انتهى .
اقول : اختلاف الاقاليم لا مدخل له في اختلاف الاهله ، لانه باعتبار عرضها واختلاف الاهله انما هو باعتبار طولها ، كما اومأنا اليه ، وطول كل اقليم

من المغرب الى المشرق .
فالبلد المغربي جاز ان يرى فيه الهلال ، ولا يرى في البلد المشرقي ؛ لان حدبة الارض مانعة لرؤيته .
ولان غروبه في الاول بعد غروبه في الثاني بساعة مثلاً ، فيخرج بقدرها عن تحت الشعاع ، فيكون

ممكن الرؤية في هذا البلد دون ذاك ، فكلما كان البلد اغرب ، كانت رؤية الهلال فيه امكن واقرب . وبالجملة اختلاف الاهلة انما هو باختلاف البلدان شرقية وغربية ، فكل بلد غربي بعد عن بلد آخر شرقي بالف ميل يتأخر غروبه عن غروب الشرقي بساعة ، فيتحقق بذلك اختلاف المطالع .

(٧/١٥)

كما اشار اليه فخر المحققين في الايضاح بقوله : الاقرب ان الارض كروية ؛ لان الكواكب تطلع في المساكن الشرقية قبل طلوعها في المساكن الغربية ، وكذا في الغروب ، فكل بلد غربي بعد عن الشرقي بألف ميل يتأخر غروبه عن غروب الشرقي بساعة واحدة .

وانما عرفنا ذلك بارصاد الكسوفات القمرية ، حيث ابتدأت في ساعات اقل من ساعات بلدنا في المساكن الغربية ، واكثر من ساعات بلدنا في المساكن الشرقية ، فعرفنا ان غروب الشمس في المساكن الشرقية قبل غروبها في بلدنا ، وغروبها في المساكن الغربية بعد غروبها في بلدنا .

ولو كانت الارض مسطحة ، لكان الطلوع والغروب في جميع المواضع في وقت واحد ، ولان السائر على خط من خطوط نصف النهار على الجانب الشمالي يزداد عليه ارتفاع القطب الشمالي وانخفاض الجنوبي وبالعكس انتهى .

ومما حررناه ظهر ان قوله « ومنها ان يكون الامام في كل ليلة في اقليم » ليس في محله ، بل ينبغي ان يقال : انه يكون في كل ليلة من تلك الليالي في بلد من البلدان ، فتنزل عليه الملائكة بأحوال سكان ذلك البلد .

اذ ربما تختلف ليلة القدر على اهل اقليم واحد باختلاف بلدانهم شرقية

---

(٢٧١)

وغربية ، فتختلف عليهم الاهلة ، ويتبعه اختلاف ليلة القدر ، فتأمل .

تحديد ليلة القدر

فان قلت : اهل البلد الذي فيه صاحب هذا العصر والزمان . عليه السلام . مع علمه بليلة القدر بعينها هل يطلبونها في ثلاث ليال ام ليلة واحدة لاعلامه اياهم بها ؟

قلت : يحتمل الامرين ، والظاهر هو الاول ؛ لان ائمتنا السابقين صلوات الله عليهم اجمعين كانوا يعلمونها بعينها ، كما سبق في حديث ابي الهذيل ، ومع ذلك كانوا يأمرون اصحابهم بطلبها في ليلتين او ثلاث ليال .

(٨/١٥)

قال عبد الواحد بن المختار الانصاري : سألت ابا جعفر . عليه السلام . عن ليلة القدر ، قال : في ليلتين : ليلة ثلاث وعشرين ، واحدى وعشرين ، فقلت : افرد لي احداهما ، فقال : وما عليك ان تعمل في ليلتين هي احداهما (١) .

ولعل الوجه في اخفائها ما اشار اليه في مجمع البيان بقوله : والفائدة في اخفاء هذه الليلة ان يجتهد الناس في العبادة ، ويحيوا جميع ليالي رمضان طمعاً في ادراكها ، كما ان الله سبحانه اخفى الصلاة الوسطى في الصلوات الخمس ، واسمه الاعظم في الاسماء ، وساعة الاجابة في ساعات الجمعة . (٢)

ثم لا يذهب عليك ان حديث الانصاري صريح في انحصار ليلة القدر في تينك الليلتين : ليلة ثلاث وعشرين ، واحدى وعشرين ، وان من عمل فيهما في اية بقعة من تلك البقاع ، فقد ادركها بحقيقتها الفاضلة ، لا بمجرد ثواب عبادتها ، اذ لا يفهم منه اختصاصها ببلد دون بلد .

فيستفاد منه ضعف الجواب الاول ، وقوة الجوابين الاخيرين ، فيكون الامام

---

(١) وسائل الشيعة : ٧ / ٢٦٣ ح ١٩ .

(٢) مجمع البيان : ٥ / ٥٢٠ .

. عليه السلام . في كل ليلة من تلك الليالي في بقعة من تلك البقاع ، او يأتيه الملائكة بأحوال اصحاب تلك البقعة في تلك الليلة .

ومثله ما في الكافي عن ابي حمزة الثمالي ، قال : كنت عند ابي عبد الله . عليه السلام . فقال ابو بصير : جعلت فداك الليلة التي يرجى فيها ما يرجى ، فقال : في احدى وعشرين ، او ثلاث وعشرين .

قال : فان لم اقو على كلتيهما ، فقال : ما ايسر ليلتين فيما تطلب .

قلت : فربما رأينا الهلال عندنا وجاءنا من يخبرنا بخلاف ذلك من ارض اخرى ، فقال : ما ايسر اربع ليال تطلبها فيها .

قلت : جعلت فداك ليلة ثلاث وعشرين ليلة الجهني ، فقال : ان ذلك ليقال .

فقلت : جعلت فداك ان سليمان بن خالد روى في تسع عشرة يكتب وفد الحاج ، فقال لي : يا ابا محمد وفد الحاج يكتب في ليلة القدر والمنايا والبلايا وما يكون الى مثلها في قابل ، فاطلبها في ليلة احدى وثلاث ، وصل في كل واحد منهما مائة ركعة ، واحيهما ان استطعت الى النور ، واغتسل فيهما .

قال قلت : فان لم اقدر على ذلك وانا قائم ، قال : فصل وانت جالس .

قلت : فان لم استطع ، قال : فعلى فراشك ، لا عليك ان تكتحل اول الليل بشيء من النوم ، ان ابواب السماء تفتح في رمضان ، وتصفد الشياطين ، وتقبل اعمال المؤمنين ، نعم الشهر رمضان ، كان يسمى على عهد رسول الله . صلى الله عليه وآله . المرزوق (١) .

اقول : يستفاد من هذا الحديث ان من طلبها في اي بلد من تلك البلاد الشرقية والغربية في ليلة احدى وثلاث يدركها بحقيقتها ، لا بمجرد ان يكون له ثواب عبادتها ، كما قيل وقد سبق .

---

(١) فروع الكافي : ٤ / ١٥٦ . ١٥٧ ح ٢ .

والا فأية حاجة له الى طلبها في اربع ليال عند الاشتباه والاختلاف في رؤية الهلال ، لولا انه يطلبها ليدركها بحقيقتها الفاضلة .

فيستفاد منه ان الامام . عليه السلام . في كل ليلة من تلك الليالي في بلد من تلك البلاد ، فتنزل عليه الملائكة بأحكامها ، او هو في بلدته ولكنها تنزل عليه في كل ليلة بأحوال سكان بلدة تلك الليلة ليلة قدرهم .

وعلى التقديرين فأهل كل بلدة من تلك البلاد يدركونها بحقيقتها الفاضلة اذا طلبوها في ليلة احدى وثلاث ، واذاً فالمعتمد هو احد الجوابين الاخيرين او كلاهما ، فتأمل .

معنى ليلة القدر

اختلف العلماء في معنى هذا الاسم ، فقيل : سميت ليلة القدر لانها الليلة التي يحكم الله فيها ، ويقضي بما يكون في السنة بأجمعها من كل امر ، وهي الليلة المباركة في قوله تعالى « انا انزلناه في ليلة مباركة » لان الله تعالى ينزل فيها الخير والبركة والمغفرة .

أقول : ويدل على صحة هذا القول (١) أخبار كثيرة :

منها : ما في الكافي في حسنة حمران انه سأل ابا جعفر . عليه السلام . عن قول الله تعالى : « انا

انزلناه في ليلة مباركة » قال : نعم ليلة القدر ، وهي في كل سنة في شهر رمضان في العشر الاواخر ، فلم ينزل القرآن الا في ليلة القدر ، قال الله تعالى : « فيها يفرق كل امر حكيم » (٢) .
قال : يقدر في ليلة القدر كل شيء يكون في تلك السنة الى مثلها من قابل خير وشر وطاعة ومعصية ومولود واجل ورزق ، فما قدر في تلك الليلة فهو

---

(١) اشارة الى ترجيح هذا الوجه من جملة وجوه التسمية « منه » .
(٢) الدخان : ٤ .

المحتوم ، ولله تعالى فيه المشيئة الحديث (١) .
وفي رواية اخرى : وفيه . اي في شهر رمضان . رأس السنة يقدر فيها ما يكون في السنة من خير او شر ، او مضرة ، او منفعة ، او رزق ، او اجل ، ولذلك سميت ليلة القدر .
وقيل : لان للطاعات فيها قدراً عظيماً وثواباً جزيلاً .
وقيل : سميت ليلة القدر ، لانه انزل فيها كتاب ذو قدر ، الى رسول ذي قدر ، لاجل امة ذات قدر ، على يدي ملك ذي قدر .
وقيل : لان الله قدر فيها القرآن .
وقيل : سميت بذلك لان الارض تضيق فيها الملائكة من قوله « فقدر عليه رزقه » (٢) وهو منقول عن الخليل بن احمد رحمه الله .
والحمد لله رب العالمين .

---

(١) فروع الكافي : ٤ / ١٥٧ . ١٥٨ .
(٢) الفجر : ١٦ .

(سورة الاخلاص)
بسم الله الرحمن الرحيم
* قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد .
لفظة « الله » تدل على نفي الشريك ، والاحد على نفي التركيب ، وانه واحد في المعبودية بالحق ، لا يشاركه فيها احد .
وهذه السورة دلت على معرفة الله وتوحيده ، وتنزيهه عن مشابهة الخلق ، فانه فرد واحد احدي المعنى ، لا ينقسم في وجود ، ولا عقل ، ولا وهم .

فيفسر الصمد بما لا جوف له ، كما ورد في كثير من الاخبار مما لا قصور فيه ولا نقص ، كما ظنه ثقة الاسلام الكليني في الاصول .

فانه قال فيه بعد ان روى روايتين ضعيفتين دالتين على ان المراد بالصمد السيد المصمود اليه في القليل والكثير : هذا هو المعنى الصحيح في تأويل الصمد ، لا ما ذهب اليه المشبهة ان تأويل الصمد المصمت الذي لا جوف له .

لان ذلك لا يكون الا من صفة الجسم ، والله جل ذكره متعال عن ذلك ، هو اعظم واجل من ان تقع الاوهام على صفته ، او تدرك كنه عظمته . ولو كان تأويل الصمد في صفة الله المصمت ، لكان مخالفا لقوله « ليس كمثله شيء » لان ذلك من صفة الاجسام المصمتة التي لا جوف لها ، تعالى الله عن ذلك . فأما ما جاء في الاخبار من ذلك ، فالعالم . عليه السلام . اعلم بما قال (١) .

---

(١) اصول الكافي : ١ / ١٢٤ .

وفيه ان العالم . عليه السلام . اشار بقوله « الصمد هو الذي لا جوف له » الى ما اشرنا اليه ، لا الى ما فهمه منه رحمه الله ، فتأمل .

ثم استنساخ الكتاب وترتيبه وتحقيقه في يوم المولود الاعظم النبوي سنة ١٤١٢ هـ ق في بلدة قم المقدسة على يد العبد السيد مهدي الرجائي عفى عنه .